ISAAC ASIMOV

أيـــزاك أزيمـــوف

# القـــاعدة والإمبراطورية

FOUNDATION AND EMPIRE

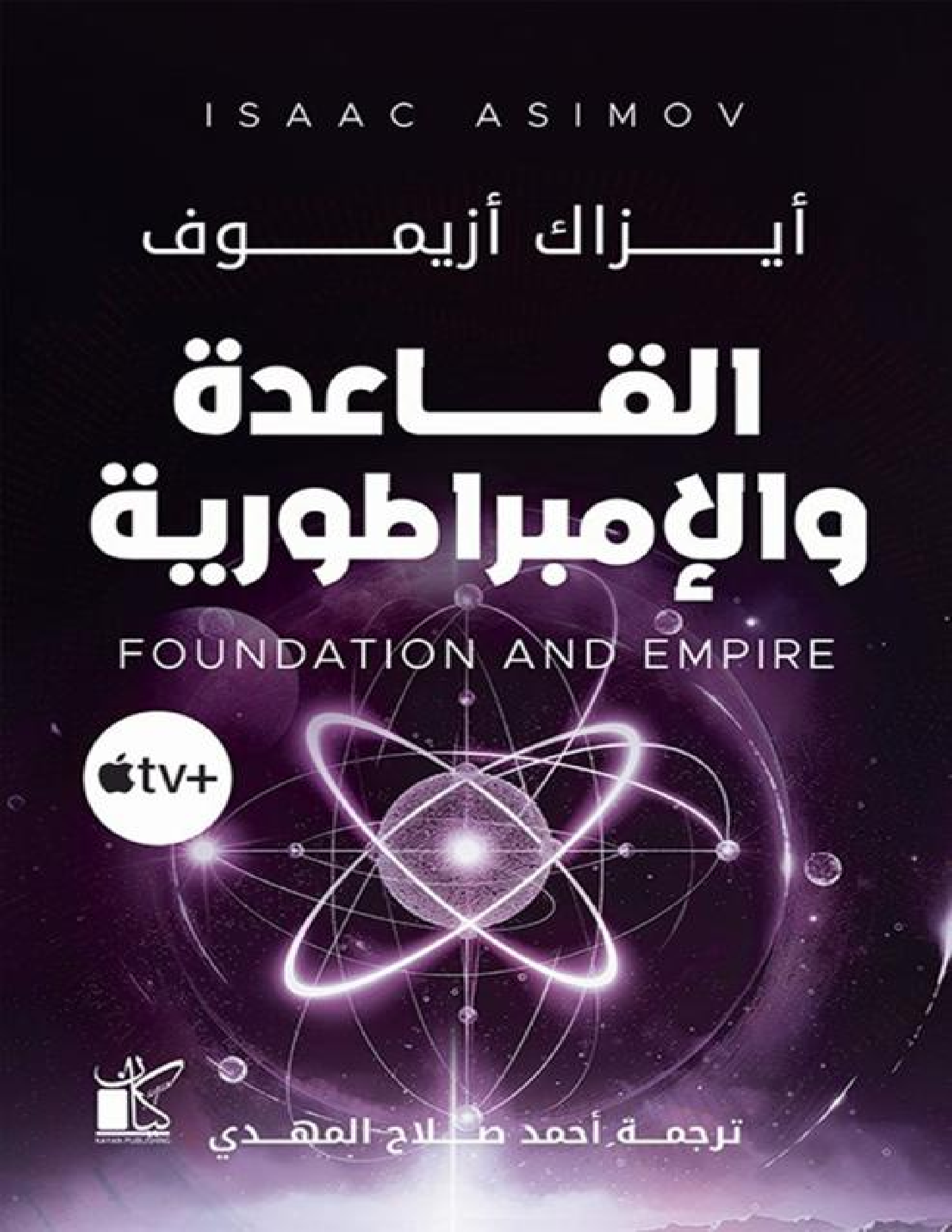

ترجمة أحمد صلاح المهدي

# القاعـدة
# والإمبراطورية

أزيموف ، أيزاك

**القاعدة والإمبراطورية :** رواية /أيزاك أزيموف.

ترجمة : أحمد صلاح مهدي.

القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.

346 صفحة، 20 سم.

تدمك : 978-977-820-128-4

# 1- القصص الأمريكية

أ– المهدي،أحمد صلاح (مترجم) ب– العنوان : 823

رقم الإيداع : 19758 / 2022

الطبعة الأولى : أكتوبر 2024.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

–

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام: محمد جميل صبري

نيفين التهامي

This translation published by arrangement with William Morris Endeavor Entertainment, LLC, all rights throughout the world are reserved to William Morris Endeavor Entertainment, LLC

Copyright © by Isaac Asimov Through Bears Factor Literary Agency ٤. ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني– الهرم

هاتف أرضي: **0235918808**

هاتف محمول: **201000405450+ – 201001872290+**

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com - إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعيةٍ أو بصريةٍ دون إذن كتابيٍ من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

# أيزاك أزيموف

# القاعـدة
# والإمبراطورية

رواية

ترجمة

أحمد صلاح المهدي

# تمهيد

كانت الإمبراطورية المجرية تسقط.

كانت إمبراطورية هائلة، تمتد عبر ملايين الكواكب من طرف المجرة إلى طرفها الآخر، تلك المجرة العظيمة متعددة الأذرع التي تُعرف باسم درب التبانة. كان السقوط هائلًا أيضًا وطويلًا، فقد كان أمامه طريق طويل ليقطعه.

لقد كانت تسقط لقرون قبل أن يُدرك رجلٌ هذا السقوط، هذا الرجل كان هاري سيلدون، الرجل الذي مثل شرارة الجهد الإبداعي الوحيدة الباقية بين الاضمحلال المتكاثف. لقد طَوَّر علم التاريخ النفسي ورفعه إلى أعلى مستوى.

لا يتعامل علم التاريخ النفسي مع شخص بمفرده، ولكن مع التكتلات البشرية، إنه علم الحشود، حشود تصل أعدادها إلى المليارات. باستطاعة هذا العلم أن يتنبَّأ بردود الفعل على المحفزات بدقة مثل الدقة التي يُمكن أن يتنبَّأ بها علم أبسط بارتداد كرة البلياردو. لا يُمكن لأي عالم رياضيات أن يتنبَّأ برد فعل شخص واحد، ولكن رد فعل مليار من البشر هو أمر مختلف.

لقد رسم هاري سيلدون تخطيطًا للأنماط الاجتماعية والاقتصادية في زمنه، ونظر إلى المنحنيات وتنبَّأ بالسقوط المستمر والمتسارع للحضارة، وفجوة الثلاثين ألف سنة التي يجب أن تمر قبل أن تبزغ إمبراطورية جديدة لتُكافح من بين الأنقاض.

كان الأوان قد فات على منع السقوط، ولكنه لم يفت على تقليص فجوة البربرية، لقد أسَّس هاري سيلدون قاعدتين في الطرفين المتقابلين من المجرة، وكان الهدف من اختيار موقعيهما هو أن تتشابك الأحداث وتتداخل في ألف سنة فقط حتى تُجبرهما على تأسيس إمبراطورية ثانية أكثر قوة وديمومة ومنفعة.

لقد ذكر كتاب القاعدة حكاية واحدة من هاتين القاعدتين أثناء القرنين الأولين من الزمن.

لقد بدأت كمستوطنة لعلماء متخصصين في العلوم الطبيعية على تيرمينوس، كوكب يقع في أقصى نهاية إحدى الأذرع الحلزونية للمجرة، وبسبب عزلتهم عن اضطرابات الإمبراطورية فإنهم عملوا على جمع خُلاصة كونية وافية للمعارف، ألا وهي الموسوعة المجرية، غير مدركين للدور الأعمق الذي خططه لهم هاري سيلدون، الذي كان حينها قد مات بالفعل.

مع اضمحلال الإمبراطورية سقطت المناطق الخارجية في أيدي ملوك مستقلين، تعرَّضت القاعدة للتهديد منهم، ولكن العمدة الأول لها سالفور هاردين استطاع الحفاظ على استقلال محفوف بالمخاطر، بتأليب الحُكَّام واحدًا ضد الآخر، ولأنها كانت وحدها تحوز الطاقة النووية بين الكواكب التي كانت تفقد علومها

وتهوي مجددًا إلى الفحم والبترول، فإنها استطاعت فرض نوع من الهيمنة، لقد صارت القاعدة هي المركز الديني للممالك المجاورة.

ببطء أسست القاعدة اقتصادًا تجاريًّا مع تراجع الموسوعة إلى الخلفية. هؤلاء التجار بتجارتهم في المعدات النووية ـ التي لا يُمكن حتى للإمبراطورية في أوجها أن تستنسخها بسبب صغر حجمها ـ استطاعوا التوسع عبر مئات السنوات الضوئية في محيط المجرة الخارجي.

تحت حكم هوبر مالو أول أُمراء التجارة في القاعدة استطاعوا تطوير تقنيات الحرب الاقتصادية لدرجة هزيمة جمهورية كوريل رُغم أن هذا الكوكب كان يتلقَّى دعمًا من الولايات الخارجية لما تبقى من الإمبراطورية.

في نهاية المئتي عام صارت القاعدة أقوى دولة في المجرة عدا من بقايا الإمبراطورية المتركِّزة في الثلث الداخلي من مجرة درب التبانة، التي كانت لا تزال تتحكم في ثلاثة أرباع سكان الكون وثرواته.

لقد بدا أنه من الحتمي أن الخطر التالي الذي ستضطر القاعدة لمواجهته سيكون الضربة الأخيرة للإمبراطورية المحتضرة.

يجب أن يُمهَّد الطريق من أجل معركة القاعدة والإمبراطورية.

# الجزء الأول

# الجنرال

**بِل ريوز**: ... أثناء مسيرته القصيرة نسبيًّا حاز ريوز على لقب «آخر الإمبراطوريين» واستحقَّه عن جدارة. إن دراسة حملاته العسكرية تُظهر أنه يُوازي بيوريفوي في القدرات الاستراتيجية ويتفوق عليه على الأرجح في القدرة على التعامل مع الرجال. إن مولده في أيام اضمحلال الإمبراطورية جعل من المستحيل عليه أن يُماثل سجل بيوريفوي التاريخي في الغزو العسكري، ولكن الفرصة واتته عندما صار أول جنرال في الإمبراطورية يواجه القاعدة بشكلٍ مُباشر ...

**الموسوعة المجرية**[(1)]

1 جميع اقتباسات الموسوعة المجرية المذكورة هنا مأخوذة من الطبعة 116 المنشورة في 1020 ح.ق. بواسطة شركة الموسوعة المجرية للنشر، تيرمينوس، بإذن من الناشر.

## الفصل الأول

# البحث عن السحرة

كان بِل ريوز يُسافر بدون حراسة، وهو ما لا ينص عليه إتيكيت البلاط بالنسبة لقائد أسطول متمركز في مجموعة شمسية تموج بالاضطراب، في تخوم الإمبراطورية المجرية.

ولكن بِل ريوز كان شابًّا نشيطًا ـ نشيطًا بما يكفي لكي يرسله حاشية متخوفون متحجرو المشاعر إلى أقرب ما يكون من حافة الكون ـ وفضوليًّا أيضًا. أثار فضوله حكايات غريبة وغير محتملة يُرددها المئات بشكلٍ خيالي ويعرفها الآلاف بشكلٍ مُبهم، بينما أثارت احتمالية المُغامرة العسكرية الشاب النشيط بداخله. لقد كانَ مزيجًا لا يُقاوم.

ترجَّل من العربة الأرضية العتيقة المخصصة له، وكان باب القصر المتداعي هو وجهته. كانت العين الفوتونية التي تُغطي الباب حَيَّة، ولكن الباب انفتح بشكلٍ يدوي.

ابتسم بِل ريوز للرجل العجوز وقال: «أنا ريوز...».

لم يبدُ على الرجل العجوز أنه تفاجأ بل قال بجمود: «لقد عرفتك، ماذا تُريد؟».

تراجع ريوز خطوة للوراء في إشارة للتوقير وقال: «أُريد السلام. إن كنت أنت دوسِم بار فأتمنى أن تسمح لي بالحديث معك».

خطا دوسِم بار جانبًا، وبداخل البيت أضاءت الجدران نابضة بالحياة. دلف الجنرال إلى ضوء النهار.

لمس جدران الغُرفة ثم حدَّق إلى أطراف أصابعه وقال: «لديكم هذا في سيوينا؟».

ابتسم بار ابتسامة شاحبة وقال: «لا توجد في أي مكان آخر حسبما أعتقد. أنا أُحافظ على صيانتها بنفسي قدر المستطاع. أعتذر لإبقائك مُنتظرًا، فالجهاز الأوتوماتيكي يُسجل وجود زائر ولكنه لم يعد يفتح الباب».

قال الجنرال بسخرية خافتة: «ألا تفي صيانتك بالغرض؟».

«بعض قطع الغيار لم تعد متاحة. فلتجلس من فضلك يا سيدي. هل تشرب الشاي؟».

«في سيوينا؟ من المستحيل اجتماعيًّا يا سيدي العزيز ألا أشربه هنا».

انسحب الأرستقراطي العجوز بلا صوت وبانحناءة بطيئة، كانت جزءً من إرث المراسم الأرستقراطية من الأيام المجيدة في القرن الماضي.

تتبع ريوز مضيفه بعينيه وهو يُغادر، وقد بدأ تحضُّرُه المدروس يتلاشى قليلًا، لقد كان تعليمه عسكريًّا بشكلٍ كامل، وكذلك حياته العملية. لقد واجه الموت مرَّات عديدة، كما تقتضي طبيعة الأمور، ولكنه كان دومًا موتًا ذا طبيعة مألوفة وملموسة، وبالتالي ليس هناك أي تناقض في حقيقة أن أسد الأسطول العشرين المرموق قد أحس فجأة بالقشعريرة في جو الغرفة العتيقة المتعفن.

لقد أدرك الجنرال أن الصناديق الصغيرة ذات اللون الأسود العاجي المصطفة على الأرفف هي كتب. كانت عناوينها غير مألوفة. خمَّن أن الجهاز الكبير في أحد أطراف الغُرفة هو جهاز استقبال يُحوِّل الكتب إلى صوت وصورة عند الحاجة. لم يرَ مثل هذه الأجهزة وهي تعمل من قبل، ولكنه سمع عنها.

لقد قيل له ذات مرة إنه قديمًا أثناء العصور الذهبية عندما كانت الإمبراطورية تشمل المجرة بأكملها فإن تسعة منازل من كل عشرة كان بها أجهزة استقبال كهذه، ومثل هذه الصفوف من الكتب.

ولكن هناك حدودًا يجب مُراقبتها الآن، لقد أصبحت الكتب من أجل كبار السن، ونصف الحكايات التي سمعها عن الأيام الخوالي كانت أسطورية على أي حال. أكثر من النصف.

وصل الشاي فجلس ريوز، ثم رفع دوسِم بار كوبه وقال: «نخبك».

«شكرًا لك، نخبك أيضًا».

قال دوسِم بار بشكلٍ مُتَأنٍّ: «لقد قيل إنك صغير السن؛ خمسة وثلاثون؟».

«إجابتك قريبة من الحقيقة؛ ثلاثة وأربعون».

قال دوسِم بار ببعض التشديد: «في هذه الحالة لا يُمكنني أن أبدأ حديثي بطريقة أفضل من إخبارك بأسف أنني لا أملك أي أكاسير حب أو تعاويذ أو وصفات، وليس عندي أدنى قدرة للتأثير على أي شابة قد تروق لك».

«لست بحاجة لأي مساعدة صناعية في هذا الصدد يا سيدي». كان الرضا عن الذات الذي لا يُمكن إنكاره في صوت الجنرال مُفعمًا بالتسلية. «هل تتلقَّى الكثير من الطلبات لمثل هذه السلع؟».

«الكثير بما يكفي للأسف، إن الجمهور غير المتعلم يميل إلى الخلط بين العلم والسحر، ويبدو أن حياة الحب هي العامل الذي يحتاج إلى أكبر قدر من الحيل السحرية».

«يبدو هذا طبيعيًّا للغاية، ولكني أختلف عنهم، فأنا لا أربط العلم بشيء سوى طُرُق الإجابة على الأسئلة الصعبة».

فكَّر السيويني في الأمر ثم قال: «ربما تكون مُخطئًا مثلهم».

قال الجنرال الشاب: «ربما، وربما لا». ثم وضع كوبه في الآلة الساخنة فامتلأ مُجددًا، قبل أن يُسقِط فيه كبسولة النكهة التي قُدِّمت له، فتناثر السائل بشكلٍ خفيف. «أخبرني إذن أيها النبيل؛ من هؤلاء السحرة؟ السحرة الحقيقيون».

بدا أن بار قد جفل قليلًا لسماع هذا اللقب الذي لم يُستخدم منذ وقت طويل ثم قال: «لا يوجد سحرة».

«ولكن الناس يتحدثون عنهم، سيوينا تذخر بحكايات عنهم، هناك جماعات دينية تُبنى حولهم، هناك علاقة غريبة بينها وبين أبناء وطنك الذين يحلمون بالأيام الخوالي ويتوقون إليها، وإلى ما يسمونه بالحرية والاستقلال، في نهاية المطاف قد يصير الأمر خطيرًا على الدولة».

هز الرجل العجوز رأسه وقال: «لماذا تسألني؟ هل تشم رائحة تمرد، وأنني على رأسه؟».

هز ريوز كتفيه وقال: «لا، مُطلقًا، رُغم أنها ليست فكرة سخيفة تمامًا. لقد كان أبوك منفيًّا في حياته، وأنت نفسك وطني ومتعصب في حياتك. إنها فظاظة مني كضيف أن أذكر هذا، ولكن مهمتي هنا تتطلب هذا. ولكن مؤامرة؟ أنا أشك في هذا، لقد كُسِرت أنف سيوينا في هذه الأجيال الثلاثة».

أجابه الرجل العجوز بصعوبة: «سأكون مضيفًا فظًّا كما أنت ضيف فظ، يجب أن أُذكِّرك أنه كان هناك والٍ فكَّر مثلك؛ أن السيوينيين مكسورو الأنف، بأوامر هذا الوالي صار والدي فقيرًا مُطارَدًا، واستشهد أخوتي وانتحرت أُختي، ومع ذلك فإن هذا الوالي قد مات ميتة شنيعة على يد هؤلاء السيوينيين المستعبدين أنفسهم».

«آه، نعم، لقد كدت أن تلمس شيئًا أتمنى أن أقوله، فمنذ ثلاث سنوات لم يعد غموض موت الوالي لغزًا بالنسبة لي، فقد كان هناك جندي شاب بين حرسه الشخصي، كانت تصرفاته مثيرة للاهتمام، كنت أنت هذا الجندي، ولكني أعتقد أنه لا داعي للتفاصيل».

قال بار بهدوء: «لا داعي إطلاقًا، ما الذي تريده؟».

«أن تجيب على أسئلتي».

«ليس تحت التهديد، أنا كبير في السن بما يكفي حتى إن الحياة لم تعد ذات أهمية كبيرة بالنسبة لي».

قال ريوز بطريقة ذات مغزى: «هذه أوقات عصيبة يا سيدي العزيز، وأنت لديك أطفال وأصدقاء، لديك دولة لطالما تغنَّيت من أجلها بعبارات الحب والحماقة في الماضي. أرجوك، إذا أردت أن أستخدم القوة فإن تصويبي لن يكون سيئًا حتى أصوب تجاهك أنت».

قال بار بجمود: «ما الذي تريده؟».

أمسك ريوز بكوبه الفارغ وهو يقول: «اسمعني أيها النبيل؛ في هذه الأيام يكون أنجح الجنود هم الذين تتمثل وظيفتهم في تقدم المسيرات التي تقطع أراضي القصر الإمبراطوري في أيام الأعياد، وحراسة سفن المتعة البرَّاقة التي تحمل جناب الإمبراطور إلى الكواكب الصيفية. أنا ... أنا فاشل. أنا فاشل في عمر الثالثة والأربعين، وسأبقى فاشلًا لأنني كما ترى أُحب القتال.

لهذا أرسلوني إلى هنا. أنا مُزعج للغاية بالنسبة للحاشية، ولا أنسجم مع مراسم البلاط، أنا أُزعج المتأنقين والسادة الأدميرالات. ولكني قائد جيد للسفن والرجال، جيد بما يفوق قدرتهم على التخلص مني بأن يتركوني عالقًا في الفضاء. لهذا فإن سيوينا هي البديل، إنه كوكب حدودي، ولاية متمردة ومقفرة، إنها بعيدة، بعيدة بما يكفي لإرضاء الجميع.

لهذا فأنا أتعفن، لا يوجد أي تمردات لقمعها، والولاة على الحدود لا يثورون مؤخرًا، على الأقل منذ أن جعل والد جلالة الإمبراطور الراحل مجيد الذكر الوالي مونتل من باراماي عبرة لمن يعتبر».

تمتم بار قائلًا: «إمبراطور قوي».

«أجل، ونحن بحاجة للمزيد من الأباطرة الأقوياء. إنه سيدي، تذكر هذا، وأنا أرعى مصالحه».

هزَّ بار كتفيه بلا اكتراث وقال: «ما علاقة كل هذا بالموضوع؟».

«سأُخبرك بإيجاز، إن السحرة الذين ذكرتهم قد جاؤوا من بعيد، أبعد بكثير من الحدود، من حيث تتناثر النجوم بعدد ضئيل».

قال بار مردِّدًا الاقتباس: «من حيث تتناثر النجوم بعدد ضئيل وتنساب من بينها برودة الفضاء».

عقد ريوز حاجبيه وقال: «هل هذا شعر؟»، لقد بدا البيت الشعري مألوفًا بشكلٍ ما، ثم قال: «على أي حال إنهم من محيط المجرة الخارجي، من الربع الوحيد الذي يُمكنني فيه أن أُقاتل من أجل مجد الإمبراطور».

«وهكذا تخدم مصالح جلالة الإمبراطور وتُشبع رغبتك في القتال».

«بالضبط، ولكني يجب أن أعرف ما الذي أُقاتله، وأنت من يُمكنه مُساعدتي في هذا».

«كيف تعرف هذا؟».

■ تم نشر هذا الكتاب من خلال قناة رف 404 | للمزيد من الكتب تفضلوا بزيارة قناتنا على تيليجرام ■ Rff404

أخذ ريوز قضمة من كعكة صغيرة ثم قال: «لأنني لثلاثة أعوام تعقَّبت كل شائعة وكل خُرافة وكل نفس متعلق بالسحرة، ومن بين مكتبة المعلومات التي جمعتها لا يوجد سوى حقيقتين منفصلتين عليهما إجماع، وبالتالي هما حقيقيتان؛ الأولى هي أن السحرة يأتون من طرف المجرة المقابل لسيوينا، الحقيقة الثانية هي أن أباك قد التقى مرة بأحد السحرة، ساحر حقيقي حي، وتحدث معه».

حدَّق السيويني العجوز بنظرات جامدة فأكمل ريوز: «من الأفضل أن تُخبرني ما الذي تعرفه».

قال بار وهو غارق في التفكير: «سيكون من المثير للاهتمام أن أُخبرك بأشياء معينة. ستكون تجربتي الخاصة في علم التاريخ النفسي».

«أي نوع من التجارب؟».

ظهر شبح ابتسامة على شفتي العجوز وهو يقول: «تجربة في علم التاريخ النفسي، من الأفضل أن تتناول المزيد من الشاي فسوف أتحدث طويلًا». ثم مال إلى الوراء على الوسائد الناعمة في كُرسيه، وخفتت أضواء الجدران إلى وميض وردي عاجي، خفَّف حتى من حدة ملامح الجندي الصارمة.

بدأ دوسِم بار حديثه قائلًا: «إن معرفتي الخاصة هي نتيجة حادثتين، الأولى هي أنني ابن أبي، والثانية هي أنني وُلِدت في هذه البلدة. لقد بدأت قبل أربعين عامًا، بعد المذبحة العظيمة بوقتٍ قصير، عندما كان أبي هاربًا في غابات الجنوب، بينما كنت أنا جندي مدفعية في أسطول الوالي الشخصي، بالمناسبة هو نفس الوالي الذي أمر بالمذبحة، والذي مات ميتة شنيعة بعد ذلك».

ابتسم بار ابتسامة مريرة ثم أكمل: «لقد كان أبي نبيلًا في الإمبراطورية، وعضوًا في مجلس شيوخ سيوينا، كان اسمه أونوم بار».

قاطعه ريوز في نفاد صبر وقال: «أنا أعرف تفاصيل نفيه جيدًا، لست بحاجة للاستفاضة في الأمر».

تجاهله السيويني وأكمل دون أن يُغير مسار حديثه: «أثناء نفيه جاء إليه أحد الجوَّالة، تاجر من حافة المجرة، شاب صغير يتحدث بلكنة غريبة، ولم يكن يعرف شيئًا عن التاريخ الإمبراطوري المعاصر، وكان يحمي نفسه بدرع طاقة شخصي».

قال ريوز بحدة: «درع طاقة شخصي؟ أنت تُبالغ، أي مولد يُمكنه أن يكون قويًّا بما يكفي لتكثيف درع طاقة بحجم رجل واحد؟ بحق المجرة العظيمة، هل كان يحمل معه خمسين ألف طن من الطاقة النووية في عربة صغيرة؟».

قال بار بهدوء: «هذا واحد من السحرة الذين تسمع عنهم الهمسات والحكايات والخرافات، فهو لم يستحق اسم ساحر من فراغ. لم يكن يحمل مولد طاقة كبيرًا بما يكفي لرؤيته، ولكن حتى أثقل الأسلحة التي يُمكن أن تحملها في يدك لم تكن لتخدش الدرع الذي يحمله».

«هل هذا هو كل ما في الحكاية؟ هل وُلِد السحرة من أوهام رجل عجوز حطمته المعاناة والنفي؟».

«إن حكاية السحرة أقدم من والدي يا سيدي، وهناك دليل ملموس على ذلك. بعد أن ترك هذا التاجر الذي يُسميه الناس ساحرًا والدي، زار تقنيًّا في المدينة أرشده والدي إليه، وهناك ترك مولدًا لدرع طاقة كالذي يحمله معه، هذا المولد حصل عليه والدي بعد عودته من النفي على إثر إعدام الوالي الدموي، وقد احتاج وقتًا طويلًا للعثور عليه.

المولد معلق على الجدار وراءك يا سيدي، إنه لا يعمل، لم يعمل قط بعد أول يومين، ولكن إذا نظرت إليه سترى أنه لا يُمكن أن يكون قد صُمم على يد أحد من الإمبراطورية».

مد بِل ريوز يده ناحية الحزام المكون من حلقات حديدية المعلق على الجدار المقوَّس، واستطاع انتزاعه بصوت امتصاص ضئيل عند كسر مجال الالتصاق بلمسة من يده، جذب اهتمامه الشكل الإهليجي في قمة الحزام، كان بحجم ثمرة جوز.

قال: «هذا ...».

أومأ بار برأسه وقال: «هذا هو المُوَلِّد، إن سر عمله يفوق الاكتشافات المعروفة حتى الآن، فقد أظهرت الفحوصات تحت الإليكترونية أنه مندمج في كتلة واحدة من المعدن ولم تكن أكثر الدراسات دقة قادرة على التمييز بين الأجزاء المنفصلة التي كانت موجودة قبل الاندماج».

«إذن فإن دليلك لا يزال قائمًا على مجرد كلمات بدون دليل ملموس».

هزَّ بار كتفيه وقال: «لقد طلبت مني أن أُخبرك بما أعرفه، وهددتني بانتزاعه بالقوة. إذا اخترت أن تواجهه بالشك فماذا يُمكنني أن أفعل؟ هل تريد مني أن أتوقف؟».

قال الجنرال بخشونة: «فلتُكمل».

«لقد أكملت أبحاث والدي بعد موته، ثم جاء دور الحادثة الثانية ـ التي ذكرتها ـ لكي تساعدني، فإن سيوينا كانت معروفة جيدًا لهاري سيلدون».

«ومن هاري سيلدون هذا؟».

«هاري سيلدون كان عالمًا أثناء فترة حكم الإمبراطور دالوبِن الرابع، كان من علماء التاريخ النفسي، آخرهم وأعظمهم على الإطلاق. لقد زار سيوينا ذات مرة، عندما كانت مركزًا تجاريًّا عظيمًا غنيًّا بالعلوم والفنون».

تمتم ريوز بسخرية: «وأي كوكب كاسد لا يزعم أنه كان أرضًا تفيض بالثراء في الأيام الخوالي؟».

«الأيام التي أتحدث عنها كانت منذ قرنين، عندما كان حكم الإمبراطورية يمتد حتى أقصى النجوم، عندما كانت سيوينا كوكبًا داخليًّا وليست ولاية حدودية شبه بربرية، في تلك الأيام تنبَّأ هاري سيلدون بانحسار القوة الإمبراطورية واجتياح البربرية للمجرة بأكملها بعد ذلك».

ضحك ريوز وقال: «هو تنبَّأ بهذا؟ إذن فقد تنبَّأ بشكل خاطئ يا صديقي العالم. أفترض أنك تعتبر نفسك عالمًا. إن الإمبراطورية أقوى مما كانت عليه قبل ألف عام، إن عينيك العجوزتين تعميهما كآبة الحدود الباردة، تعالَ إلى الكواكب الداخلية ذات يوم، تعالَ إلى الدفء والثروة في مركز المجرة».

هزَّ الرجل العجوز رأسه باكتئاب وقال: «تتوقف دورة الدماء أولًا عند الأطراف الخارجية. سوف يحتاج الاضمحلال لبعض الوقت حتى يصل إلى القلب. وهذا التدهور الواضح للجميع يختلف عن التدهور الداخلي، فهو ليس أمرًا جديدًا بل يحدث منذ قرابة خمسة عشر قرنًا».

قال ريوز بسخرية: «وهكذا فإن هاري سيلدون هذا قد تنبَّأ بسقوط المجرة بأكملها في البربرية، وماذا بعدها إذن؟».

«لذا فإنه قد أسس قاعدتين على الطرفين المتقابلين من المجرة؛ قاعدتين من أفضل الرجال وأكثرهم شبابًا وقوة، لكي يتكاثروا وينموا ويتطوروا. لقد وُضِعت القاعدتان على كوكبين جرى اختيارهما بعناية، بناءً على زمنهما وما يحيط بهما، وجرى ترتيب كل شيء بطريقة تجعل المستقبل ـ كما توقعته حسابات علم التاريخ النفسي غير القابلة للتغيير ـ ينطوي على عزلتهما المبكرة عن الجسد الرئيسي للحضارة الإمبراطورية، ونموهما ليصيرا نواة الإمبراطورية المجرية الثانية، مما يؤدي إلى تقليص فترة البربرية الحتمية من ثلاثين ألف سنة إلى ألف سنة فقط».

«من أين عرفت كل هذا؟ يبدو أنك تعرف الأمر بالتفصيل».

قال النبيل بهدوء: «أنا لا أعرف، ولن أعرف. إنها النتيجة المؤلمة لوضع الأدلة التي اكتشفها والدي جنبًا إلى جنب مع الأدلة القليلة التي عثرت عليها بنفسي. إن الأساس متزعزع، والهيكل الكلي قد أُضفي عليه جانب خيالي لملء الفجوات الضخمة، ولكني مقتنع أن الأمر في جوهره حقيقي».

«أنت تقتنع بسهولة».

«حقّا؟ لقد احتاج الأمر لأربعين سنة من البحث».

«أربعون سنة؟ يُمكنني حسم الأمر في أربعين يومًا، في الواقع أعتقد أنه يجب عليَّ أن أفعل هذا، ولكن النتيجة ستكون مختلفة».

«وكيف ستفعل هذا؟».

«بالطريقة المباشرة، يُمكنني أن أصير مستكشفًا، يُمكنني أن أجد هذه القاعدة التي تتحدث عنها وأنظر إليها بعينيّ. تقول إن هناك قاعدتين؟».

«السجلات التاريخية تتحدث عن اثنتين، ولكن لم يُعثر سوى على أدلة تدعم وجود واحدة منهما فقط، وهو أمر مفهوم، فالأخرى تقع في أقصى نهاية محور المجرة الطويل».

قال الجنرال وهو يقف على قدميه ويُعدِّل حزامه: «حسنًا، سنزور أقربهما».

سأله بار: «هل تعرف إلى أين تذهب؟».

«بطريقة ما. هناك حكايات مثيرة للريبة ـ في سجلات الوالي الأخير الذي قتلته أنت ببراعة ـ عن بربريين في الكواكب الخارجية، في الواقع لقد زوَّج إحدى بناته لأمير بربري. سأجد طريقي».

ثم مد يده وقال: «شكرًا لك على ضيافتك».

لمس دوسِم بار يده بأطراف أصابعه وانحنى بشكلٍ رسمي وقال: «لقد كانت زيارتك شرفًا عظيمًا».

أكمل بِل ريوز قائلًا: «أما بالنسبة للمعلومات التي قدَّمتها لي فسأعرف كيف أشكرك عليها عندما أعود».

اصطحب دوسِم بار ضيفه باحترام إلى الباب الخارجي ثم قال بهدوء وهو يُشاهد العربة الأرضية تختفي: «هذا إن عدت».

**القاعدة**: ... مع أربعين سنة من التوسع وراءهم كانت القاعدة تواجه خطر ريوز. لقد ولَّت أيام هاردين ومالو الملحمية، وولَّى معهما زمن الإقدام والحسم...

## الفصل الثاني

# السحرة

كان هناك أربعة رجال في الغُرفة المعزولة حيث لا يستطيع أحد الدخول إليها. تبادل الرجال الأربعة نظرات سريعة ثم نظروا مطولًا إلى الطاولة التي تفصل بينهم. كان هناك أربع زجاجات على الطاولة، ونفس العدد من الكؤوس، ولكن لم يلمسها أحد.

ثم مدَّ أقرب الرجال إلى الباب يده وطرق على الطاولة بطرقات بطيئة رتيبة، قبل أن يقول: «هل ستجلسون وتفكرون إلى الأبد؟ هل يهم من سيتحدث أولًا؟».

قال الرجل الضخم الجالس قُبالته مباشرة: «فلتتحدث أنت أولًا إذن، أنت من يجب أن يكون أكثرنا قلقًا».

ضحك سينيت فوريل ضحكة مكتومة جافة ثم قال: «لأنكم تظنون أنني أغناكم. حسنًا... أم أنكم تتوقعون مني أن أكمل ما بدأته؟ لا أعتقد أنكم نسيتم أن أسطولي التجاري الخاص هو الذي أمسك بسفينتهم الاستطلاعية تلك».

قال الثالث: «أنت تملك أكبر أسطول وأمهر ملَّاحين، وهو ما يعني بطريقة أُخرى أنَّك الأغنى. لقد كانت مُخاطرة مخيفة وأكبر من أن يقوم بها واحد منا».

ضحك سينيت فوريل مُجددًا ثم قال: «لديَّ موهبة فطرية في المغامرة ورثتها عن أبي. على أي حال، إن النقطة الجوهرية في المُخاطرة هو أن يكون هناك عائد يُبررها، وبالنسبة لهذا فإن سفينة العدو كانت معزولة ووقعت في الأسر دون خسائر لنا أو أي تحذير للسفن الأُخرى».

كان من المعروف في القاعدة أن فوريل يحمل صلة قرابة بعيدة للعظيم هوبر مالو، وكان من المقبول على نطاق واسع إلى حد ما أنه ابن مالو غير الشرعي.

رمش الرجل الرابع بعينيه الصغيرتين خلسة، ثم تسللت الكلمات من بين شفتيه الرفيعتين: «لا داعي للابتهاج بهذا الانتصار، إن الإمساك بهذه السفن الصغيرة لن يفعل شيئًا سوى إغضاب هذا الشاب أكثر».

سأله فوريل مُتجهمًا: «هل تعتقد أنه بحاجة إلى دوافع؟».

قال الرجل الرابع ببطء: «أجل، وهذا سيوفر عليه عناء التفكير في دافع. لقد كان هوبر مالو يعمل بطريقة مختلفة، وكذلك سالڤور هاردين، لقد كانا يتركان الآخرين يسلكون طرق العنف المُتقلبة بينما يناوران هما بثقة وهدوء».

هزَّ فوريل كتفيه وقال: «لقد أثبتت هذه السفينة أنها ذات قيمة. إن الدوافع رخيصة ونحن قد بعنا هذه السفينة بسعر مربح». كان هناك رضا في صوت الرجل الذي وُلِد تاجرًا، قبل أن يُكمل: «إن الشاب من

الإمبراطورية القديمة».

قال الرجل الثاني الضخم، بسخط هادر: «كنا نعرف هذا».

قال فوريل بهدوء مُصححًا: «كنا نشك في هذا. إذا جاء رجل بسفن وثروة يُبادر بالود ويعرض التجارة فإن الأمر المنطقي الوحيد هو أن نُحجم عن مُعاداته حتى نتيقن من أن التجارة هي مجرد قناع يختبئ وراءه في نهاية المطاف. ولكن الآن...».

كان هناك نبرة تذمر خافتة في صوت الثالث وهو يقول: «كان يُمكننا أن نكون أكثر حرصًا، كان يُمكننا أن نكتشف حقيقته أولًا، كان يُمكننا أن نعرف هذا قبل أن نسمح له بالرحيل. كانت هذه لتكون الحكمة الحقيقية».

قال فوريل: «لقد ناقشنا هذا من قبل وانتهينا منه». ثم لوَّح بيده مُنحيًا الموضوع جانبًا بإشارة صارمة أخيرة.

قال الثالث متذمرًا: «إن الحكومة ضعيفة، العمدة أحمق».

نظر الرجل الرابع إلى الثلاثة الآخرين واحدًا تلو الآخر، ثم انتزع عقب السيجار من فمه وألقى به ببساطة في فتحة على يمينه حيث اختفى بوميض تحلل صامت، قبل أن يقول بسخرية: «أعتقد أن السيد المحترم الذي تحدَّث أخيرًا يتحدث فقط بحُكم العادة. يُمكننا جميعًا أن نتذكر هنا أننا نحن الحكومة».

كان هناك تمتمة موافقة.

حدَّق الرجل الرابع بعينيه الصغيرتين إلى الطاولة وقال: «دعونا إذن ننحي سياسة الحكومة جانبًا. هذا الشاب... هذا الغريب، كان من المحتمل أن يكون زبونًا، لقد كان هناك حالات مُشابهة من قبل، لقد حاول ثلاثتكم مُداهنته من أجل توقيع عقد مُسبق. لقد كان بيننا اتفاق ـ اتفاق سادة محترمين ـ على ألا نفعل هذا، ولكنكم حاولتم».

قال الرجل الثاني مزمجرًا: «كذلك فعلت أنت».

قال الرابع بهدوء: «أنا أعرف هذا».

قاطعهما فوريل في نفاد صبر قائلًا: «دعونا ننسى إذن ما كان يجب علينا فعله سابقًا، ونُكمل حديثنا فيما يجب فعله الآن. على أي حال إن كنا قد سجناه أو قتلناه فماذا سيحدث إذن؟ نحن لسنا واثقين من نواياه حتى الآن، وفي أسوأ الأحوال نحن لا نستطيع تدمير إمبراطورية بإنهاء حياة رجل واحد، قد تكون هناك أساطيل أُخرى عديدة تنتظر على الجانب الآخر في حالة عدم عودته».

قال الرجل الرابع موافقًا: «بالضبط، والآن ما الذي حصلت عليه من السفينة التي أسرتها؟ أنا عجوز للغاية على كل هذا الحديث».

قال فوريل مُتجهمًا: «يُمكن تلخيص الأمر في كلمات قليلة، إنه جنرال إمبراطوري، أو أيًّا كانت الرتبة التي توازي هذا عندهم، إنه شاب قد أثبت عبقريته العسكرية ـ أو هكذا قيل لي ـ وهو يعد رمزًا بالنسبة لرجاله،

إنها مسيرة أسطورية حقّا. نصف القصص التي قالوها عنه هي أكاذيب بلا شك، ولكن حتى هذا يجعله رجلًا أعجوبة حقًّا».

سأله الرجل الثاني: «من الذين قالوا؟».

«طاقم السفينة المأسورة. لديَّ كل أقوالهم مسجلة على ميكروفيلم، أحتفظ به في مكان آمن، يُمكنكم رؤيته لاحقًا إذا أردتم، ويُمكنكم الحديث مع الرجال بأنفسكم إن كنتم تعتقدون أن هذا ضروري، لقد أخبرتكم بالأشياء الجوهرية».

«كيف استخرجتها منهم؟ كيف تعرف أنهم يقولون الحقيقة؟».

عقد فوريل حاجبيه وقال: «لم أكن لطيفًا معهم يا سيدي العزيز، لقد أبرحتهم ضربًا ووضعتهم تحت تأثير المخدر حتى الجنون، واستخدمت المسبار معهم بلا رحمة. لقد تحدَّثوا، يُمكنكم أن تصدقوهم».

قال الرجل الثالث فجأة بلا داعٍ: «في الأيام الخوالي كانوا يستخدمون علم النفس المحض، بلا ألم ولكن نتائجه مؤكدة حقًّا، لا توجد أي فرصة للخداع».

قال فوريل ببرود: «لقد كان لديهم الكثير من الأشياء في الأيام الخوالي، هذه أيام جديدة».

قال الرجل الرابع: «ولكن، ما الذي يسعى إليه هذا الجنرال هنا، هذا الرجل الأسطوري الأعجوبة؟». كان هناك هالة من الضجر والكسل تحيط به.

نظر إليه فوريل بحدة وقال: «هل تعتقد أنه سيعهد بتفاصيل سياسة الدولة إلى طاقمه؟ إنهم لا يعرفون، لا يوجد شيء للحصول عليه منهم في هذا الصدد، والمجرة وحدها تعلم ما جرَّبته معهم من أساليب».

«وهو ما يدعنا...».

«نصل إلى استنتاجنا بأنفسنا بالطبع». ثم نقر فوريل بأصابعه على الطاولة بهدوء مُجددًا قبل أن يُكمل: «إن هذا الشاب قائد عسكري في الإمبراطورية، ومع هذا فإنه قد تظاهر بأنه أمير صغير لبعض النجوم المتناثرة في ركن منزوٍ من محيط المجرة الخارجي، هذا وحده يؤكد لنا أنه ليس من مصلحته أن نعرف دوافعه الحقيقية، إذا أضفنا إلى هذا طبيعة مهنته وحقيقة أن الإمبراطورية قد دعمت بالفعل هجومًا علينا في زمن أبي فإن الاحتمالات تصير مخيفة. أشك أن الإمبراطورية تكنُّ لنا الحب بسبب ذلك».

سأله الرجل الرابع بحذر: «ألا يوجد شيء يقيني فيما توصلت إليه؟ ألا تُخفي شيئًا؟».

أجابه فوريل بجمود: «لا يُمكنني أن أُخفي أي شيء، من الآن فصاعدًا لا يُمكن أن يكون هناك أي مجال للتنافس التجاري، الوحدة مفروضة علينا».

قال الرجل الثالث: «أهي روح وطنية؟». كان هناك سخرية في صوته الرفيع.

قال فوريل بهدوء: «اللعنة على الروح الوطنية، هل تعتقد أنني أُبالي مقدار ذرة من إشعاع نووي بالإمبراطورية الثانية المستقبلية؟ هل تعتقد أنني سأُغامر بمهمة تجارية واحدة من أجل تمهيد الطريق لها؟

ولكن، هل تعتقد أن الغزو الإمبراطوري سيُكون في مصلحة تجارتي أو تجارتك؟ إذا انتصرت الإمبراطورية سيكون هناك عدد كافٍ من غربان الجيفة التي تتوق لغنائم المعركة».

أضاف الرجل الرابع بجمود: «ونحن الغنائم».

حرَّك الرجل الثالث جسده الضخم في غضب فأصدر الكرسي صريرًا أسفله وقطع صمته فجأة قائلًا: «ولكن لِمَ الحديث عن هذا؟ الإمبراطورية لا تستطيع أن تنتصر، أليس كذلك؟ هناك تأكيد من سيلدون أننا سنشكل الإمبراطورية الثانية في النهاية، هذه ليست سوى أزمة أُخرى، لقد كان هناك ثلاث أزمات من قبل».

قال فوريل وقد غرق في التفكير: «مُجرد أزمة أُخرى، أجل! ولكن في الأزمتين الأوليين كان لدينا سالڤور هاردين ليُرشدنا، وفي الثالثة كان هناك هوبر مالو، من لدينا الآن؟».

ثم نظر إليهم وقال بوجوم: «من المريح حقًّا الاعتماد على قواعد سيلدون للتاريخ النفسي، ولكن هناك واحدًا من العوامل المتغيرة المساهمة فيها، وهي المبادرة الطبيعية من ناحية سكان القاعدة أنفسهم، إن قوانين سيلدون تُساعد أولئك الذين يُساعدون أنفسهم».

قال الرجل الثالث: «إليك مثل آخر؛ الأوقات تصنع الرجال».

قال فوريل متذمرًا: «لا يُمكنك الاعتماد على هذا، ليس بثقة مُطلقة، الأمر كما أراه هو كالآتي؛ إن كانت هذه أزمة رابعة فإن سيلدون قد تنبَّأ بها، وإن كان قد تنبَّأ بها فمن الممكن التغلب عليها، ويجب أن يكون هناك طريقة لفعل هذا».

«الإمبراطورية أقوى منا الآن، لطالما كانت هكذا، ولكن هذه هي المرة الأولى التي نتعرض فيها لخطر هجومها المُباشر، لذا تغدو قوتها بمثابة تهديد مخيف، إن كان من الممكن التغلب عليها فيجب أن يكون مُجددًا ـ ككل أزمات الماضي ـ بطريقة أُخرى غير القوة المحضة، يجب أن نجد الجانب الضعيف في عدونا ونهاجمه منه».

سأله الرجل الرابع: «وما هو هذا الجانب الضعيف؟ هل تنوي طرح فرضية؟».

«لا، هذه هي النقطة التي أُريد الوصول إليها، لطالما رأى قادتنا العظماء في الماضي نقاط ضعف أعدائهم واستهدفوها، ولكن الآن...». كان هناك نوع من اليأس في صوته، ولوهلة لم يتبرَّع أحد بالتعليق.

ثم قال الرجل الرابع: «نحتاج إلى جواسيس».

التفت فوريل إليه بلهفة وقال: «هذا صحيح! لا أعرف متى ستهجم الإمبراطورية، قد يكون هناك وقت».

قال الرجل الثاني مُقترحًا: «هوبر مالو نفسه دخل إلى منطقة نفوذ الإمبراطورية».

ولكن فوريل هزَّ رأسه وقال: «لن نفعل شيئًا مُباشرًا كهذا، نحن لسنا شبابًا، وقد نال منا الصدأ بسبب الروتين والتفاصيل الإدارية. نحن بحاجة إلى شباب يكونون في الميدان الآن...».

سأله الرابع: «التجار الأحرار؟».
فأومأ فوريل برأسه وقال هامسًا: «إن كان لا يزال هناك وقتٌ...».

## الفصل الثالث

# اليد الطولى

كان بِل ريوز يقطع الغرفة جيئة وذهابًا في انزعاج، ثم توقف فجأة ورفع نظره في أمل عندما دلف مساعده. قال ريوز: «هل هناك أي أخبار من أسطول النُّجيم؟».

«لا شيء، لقد تمركزت فرقة الاستطلاع ولكن الآلات لم تلتقط أي شيء. يقول القائد يووم إن الأسطول مستعد للهجوم المُباشر من أجل الانتقام».

هزَّ الجنرال رأسه وقال: «لا، ليس من أجل سفينة دورية، ليس بعد. أخبره أن يُضاعف... مهلًا! سوف أكتب الرسالة، فلتأمر بترميزها وإرسالها عبر شعاع مُحكم».

حيَّاه المساعد بالتحية الرسمية، ثم استكمل ريوز حركته جيئة وذهابًا.

عندما فُتِح الباب مرة أُخرى كان دوسِم بار هو من يقف عند عتبة الباب. خطا ببطء وراء المُساعد إلى داخل الغُرفة المبهرجة، المُزيَّن سقفها بنموذج هولوجرامي للمجرة، وفي المنتصف يقف بِل ريوز في زيه الميداني الرسمي.

قال الجنرال: «طاب يومك أيها النبيل». ثم دفع كُرسيًّا للأمام بقدمه قبل أن يشير لمُساعده كي ينصرف وهو يقول: «فليبقَ هذا الباب مُغلقًا حتى أفتحه».

وقف الجنرال أمام السيويني، ساقاه متباعدتان ويده تُمسك بمعصم يده الأُخرى وراء ظهره وهو يوازن نفسه ببطء وبحركة مدروسة على مُشطيّ قدميه.

ثم قال بصرامة: «هل أنت من رعايا الإمبراطور المُخلصين أيها النبيل؟».

كان بار صامتًا بلا اكتراث حتى هذه اللحظة، فجعَّد جبينه بامتعاض وقال: «ليس لديَّ سبب لكي أُحب الحاكم الإمبراطوري».

«وهذا بعيد تمامًا عن القول بأنك خائن».

«هذا حقيقي. ولكن مُجرد عدم كون المرء خائنًا هو أيضًا بعيد تمامًا عن موافقته على أن يكون مُساعدًا متحمسًا».

قال ريوز بتأنٍّ: «هذا أيضًا صحيح عادة، ولكن رفضك المُساعدة في هذه المرحلة سوف يُعد خيانة وسنتعامل معك على هذا النحو».

عقد بار حاجبيه وقال: «فلتحتفظ بتهديداتك لمرؤوسيك. الإفصاح ببساطة عما تحتاجه وتُريده سيكون كافيًا بالنسبة لي الآن».

جلس ريوز ووضع ساقًا على الأُخرى ثم قال: «لقد جرت بيننا مناقشة منذ نصف عام يا بار».

«حول السحرة؟».

«أجل، هل تذكر ما قلت إنني سأفعله؟».

أومأ بار برأسه وقد وضع ذراعيه في حجره ثم قال: «لقد قلت إنك ستزورهم في عقر دارهم، وقد كنت غائبًا هذه الشهور الأربعة، هل عثرت عليهم؟».

صاح ريوز: «عثرت عليهم؟ لقد فعلت هذا». كانت شفتاه متيبستين وهو يتحدث، بدا أنه يبذل مجهودًا لكي يمنع نفسه من طحن ضروسه. «إنهم ليسوا سحرة أيها النبيل، إنهم شياطين، يعجز العقل عن تصورهم كما يعجز عن تصور المجرات البعيدة عن مجرتنا! إنه كوكب بحجم منديل، بحجم ظفر، بموارد شحيحة وطاقة ضئيلة، وكثافة سكانية ميكروسكوبية، لا تكفي حتى أكثر الكواكب تخلفًا في أكثر القطاعات المغبرة من النجوم المظلمة، ومع ذلك فإنهم شعب معتد بنفسه وطموح للغاية، حتى إنهم يسعون بصمت وبشكلٍ منهجي إلى حكم المجرة.

إنهم واثقون من أنفسهم للغاية حتى أنهم لا يتعجلون، بل يتحركون ببطء وروية، إنهم يتحدثون عن قرون ضرورية، ويبتلعون الكواكب في تراخٍ، ويتسللون عبر الأنظمة الشمسية بتباطؤٍ ورضا عن النفس.

وقد نجحو في هذا، لا يوجد أحد ليوقفهم. لقد أسسوا مجتمعًا تجاريًّا قذرًا يُحكم الخناق بمجساته حول مجموعات شمسية أبعد بكثير مما يُمكن أن تجرؤ سفنهم الصغيرة على الوصول إليه. إن نفوذ تجارهم ـ وهو الاسم الذي يُطلقه عملاؤهم على أنفسهم ـ يمتد لفراسخ نجمية».

قاطع دوسِم بار هذا الاندفاع الغاضب قائلًا: «كم من هذه المعلومات أكيد؟ وأيٌّ منها مجرد مُبالغة غاضبة؟».

التقط الرجل العسكري أنفاسه وتمالك رباطة جأشه ثم قال: «إن غضبي لا يُعميني، صدقني لقد كنت في كواكب أقرب إلى سيوينا منها إلى القاعدة، حيث كانت الإمبراطورية مجرد أسطورة بعيدة، وحيث التجار حقيقة حيَّة. نحن أنفسنا كنا مخطئين بشأن التجار».

«هل أخبرك سكان القاعدة أنفسهم أنهم يسعون للسيطرة على المجرة؟».

انفجر ريوز بغضب مُجددًا وهو يقول: «أخبروني! لم أكن بحاجة لأن يخبرني أحدٌ بهذا؛ لم يقل المسؤولون شيئًا، إنهم لا يتحدثون سوى في العمل، ولكني تحدَّثت إلى رجال عاديين، لقد استوعبت أفكار العوام، قدرهم المحتوم وقبولهم المستكين لمستقبل عظيم، إنه شيء لا يُمكن إخفاؤه، تفاؤل يشمل الكوكب بأكمله لا يحاولون حتى إخفاءه».

أظهر السيويني بوضوح نوعًا من الرضا وهو يقول: «ستُلاحظ أن هذا يتماثل حتى الآن ـ على ما يبدو ـ بدقة شديدة مع مُحاولتي لإعادة بناء الأحداث بناءً على المعلومات الضئيلة التي جمعتها حول الموضوع».

أجابه ريوز بسخرية مغتاظة: «هذا بلا شك شهادة على قدراتك التحليلية، ولكنه أيضًا تعليق قاسٍ ومتغطرس على الخطر المتزايد الذي يهدد نفوذ صاحب الجلالة الإمبراطورية».

هزَّ بار كتفيه بلا اكتراث فمال ريوز إلى الأمام فجأة ليُمسك بكتفي الرجل العجوز ويحدق بهدوء فضولي إلى عينيه، ثم قال: «دعنا من هذا أيها النبيل، ليس لديَّ أيُّ رغبة في أن أكون بربريًّا، فإن إرث العداء السيويني تجاه الإمبراطورية هو عبء بغيض من وجهة نظري، وسأبذل كل ما في وسعي لمحوه. ولكن اختصاصي هو الشئون العسكرية، والتدخل في الشئون المدنية أمر مستحيل، سيؤدي هذا إلى استدعائي ولن أكون ذا نفعٍ حينها، هل تفهم هذا؟ أنا أعرف أنك تفهمه. بيني وبينك، فلندع انتقامك من الجاني يسدد دين الفظائع التي ارتكبها قبل أربعين سنة، ولننسَ ذلك، أنا أحتاج إلى مُساعدتك، وأعترف بهذا صراحة».

كان هناك نبرة واضحة من الرجاء في صوت الشاب، ولكن دوسِم بار هزَّ رأسه برفق وبشكلٍ متعمد في إيماءة سلبية.

قال ريوز متوسلًا: «أنت لا تفهم أيها النبيل، وأشك في قدرتي على جعلك تفهم، لا يُمكنني الجدال معك على أرضية مشتركة، أنت العالِم ولست أنا، ولكن يُمكنني أن أقول لك إنه أيًّا كان رأيك في الإمبراطورية فعليك الاعتراف بخدماتها الجليلة. لقد ارتكبت قواتها المسلحة جرائم متفرقة، ولكنها بشكلٍ أساسي كانت قوة من أجل السلام والحضارة، لقد كانت الأساطيل الإمبراطورية هي التي أوجدت الإمبراطورية العظمى التي حكمت المجرة بأسرها لآلاف السنين، فلتُقارن بين آلاف السنين من السلام تحت راية الإمبراطورية مع الألف سنة من الفوضى المجرية التي سبقتها، فلتُفكِّر في الحروب والدمار في تلك الأيام القديمة، ولتُخبرني إن كانت الإمبراطورية رُغم كل عيوبها لا تستحق أن نحافظ عليها».

ثم قال في حزم: «فلتفكر إلى أي مدى انحدرت الأطراف الخارجية للمجرة في هذه الفترة من الانشقاق والاستقلال، واسأل نفسك إن كنت من أجل انتقام تافه ستتسبب في انحدار سيوينا من موقعها كولاية تحت حماية أسطول عظيم إلى كوكب بربري في مجرة بربرية، منغمسة بأسرها في شظايا الاستقلال والانحدار والبؤس المشترك».

تمتم السيويني قائلًا: «هل بلغ الأمر هذه الدرجة من السوء بهذه السرعة؟».

قال ريوز مُعترفًا: «لا، سنكون نحن أنفسنا آمنين بلا شك، حتى لو تضاعفت أعمارنا أربع مرات، ولكني أُقاتل من أجل الإمبراطورية، ومن أجل تقاليد عسكرية، وهو أمر يخصني وحدي، ولا يُمكنني حملكم عليه، إنها تقاليد عسكرية مبنية على النظام الإمبراطوري الذي أخدمه».

«أنت تزداد غموضًا، ولطالما وجدت صعوبة في اختراق غموض شخص آخر».

«لا يهم، أنت تفهم خطر هذه القاعدة».

«لقد كنت أنا من أشار إلى ما تُسميه خطرًا قبل حتى أن تخرج من سيوينا».

«إذن فأنت تفهم أننا يجب أن نوقفه في مهده، وإلا فقد لا نقدر على ذلك على الإطلاق. لقد عرفت أنت بهذه القاعدة قبل أن يسمع عنها أحد، أنت تعرف عنها أكثر من أي شخص آخر في الإمبراطورية. ربما

تعرف أفضل طريقة للهجوم عليها، وربما يُمكنك أن تُحذرني مُسبقًا من هجماتهم المضادة. بحقك، دعنا نصير صديقين».

اعتدل دوسِم بار واقفًا، ثم قال بشكلٍ قاطع: «هذه المُساعدة التي يُمكنني أن أقدمها لك لا تعني شيئًا، لذا فسوف أعفيك منها في مواجهة مسعاكَ الشاق».

«سأُفسِّر معنى كلامك بنفسي».

«لا أنا جاد، لن تقدر كل قوة الإمبراطورية على سحق هذا الكوكب الضئيل».

قال بِل ريوز: «ولِمَ لا؟». ثم لمعت عيناه في غضب وقال: «لا، فلتبقَ حيث أنت، سأُخبرك متى يُمكنك أن تُغادر. لِمَ لا؟ إذا كنت تعتقد أنني أستهين بقوة هذا العدو الذي اكتشفته فأنت مُخطئ أيها النبيل». ثم قال على مضض: «لقد فقدت سفينة أثناء عودتي، ليس لديَّ دليل على أنها قد سقطت في أيدي القاعدة، ولكن لم يتم تحديد موقعها منذ ذلك الوقت، وإن كانت مجرد حادثة، فكان يجب العثور على هيكلها الميت عبر المسار الذي قطعناه. إنها ليست خسارة مهمة، فهي لا تساوي جزءً من عشرة من جناح بعوضة، ولكن هذا قد يعني أن القاعدة قد بدأت بالفعل في التصرفات العدائية. هذا التَّعجُّل وعدم المبالاة بالعواقب قد يعني أن هناك قوى سرية لا أعرفها. هل يُمكنك إذن إجابتي على سؤال مُحدد؟ ما هي قوتهم العسكرية؟».

«ليس لديَّ أدنى فكرة».

«فلتُفسِّر لي بمصطلحاتك إذن لماذا تقول إن الإمبراطورية لا تستطيع هزيمة هذا العدو الصغير».

جلس السيويني مُجددًا وأشاح بنظره بعيدًا عن عينيّ ريوز المحدقتين إليه ثم قال ببطء: «لأنني أؤمن بمبادئ علم التاريخ النفسي، إنه علم غريب، لقد وصل إلى مرحلة النضج الرياضي على يد رجل واحد، ومات معه، فلم يتمكن أي رجل منذ ذلك الحين من التلاعب بتفاصيله المعقدة. ولكن في هذه الفترة القصيرة أثبت هذا العلم أنه أقوى أداة وُجِدت لدراسة البشرية، بدون الزعم بقدرته على التنبؤ بتصرفات الأفراد فإنه قد شكَّل قوانين محددة قادرة على التحليل الرياضي والاستقراء للتحكم في تصرفات المجموعات البشرية الضخمة والتنبؤ بها».

«إذن...».

«لقد كان علم التاريخ النفسي هو ما طبقه سيلدون والمجموعة التي عمل معها على أكمل وجه لتأسيس القاعدة. المكان والزمان والظروف كلها تتآمر رياضيًّا، ومن ثم حتميًّا نحو إقامة الإمبراطورية المجرية الثانية».

قال ريوز بصوت يرتجف بالاستنكار: «هل تعني أن فنه هذا يتنبَّأ بأنني سأُهاجم القاعدة، وأخسر هذه المعركة وتلك، لهذا السبب وذاك؟ أنت تحاول أن تقول إنني روبوت أحمق يتبع مسارًا محدد مسبقًا نحو الدمار».

أجابه النبيل العجوز بحدة: «لا، لقد قلت بالفعل إن هذا العلم لا دخل له بتصرفات الأفراد، إن ما جرى التنبؤ به هو الخلفية الأوسع».

«إذن، هل سنقف مكتوفي الأيدي أمام إلهة الحتمية التاريخية».

قال بار مُصححًا بهدوء: «الحتمية التاريخية النفسية».

«وإذا مارست حقي في الإرادة الحرة؟ إذا اخترت أن أُهاجم في العام القادم، أو ألا أُهاجم على الإطلاق، ما مدى مرونة هذه الإلهة؟ ما مدى ذكائها؟ ما مدى دهائها؟».

هزَّ بار كتفيه وقال: «فلتُهاجم الآن أو لا تُهاجم، بسفينة واحدة أو بكل قوة الإمبراطورية، بالقوة العسكرية أو بالحصار الاقتصادي، بإعلان الحرب صراحة أو بكمين غادر، فلتفعل ما يحلو لك بمنتهى الإرادة الحرة، ستخسر رغم كل شيء».

«بسبب اليد الطولى لهاري سيلدون؟».

«بسبب اليد الطولى لرياضيات السلوك البشري، الذي لا يُمكن إيقافه أو تغيير مساره أو تأجيله».

نظر كلاهما للآخر في جمود حتى خطا الجنرال للوراء وقال ببساطة: «لقد قبلت التحدي، إنها يد طولى في مواجهة إرادة حُرَّة».

**كليون الثاني**: ... عادة ما يُطلق عليه اسم «العظيم»، آخر إمبراطور قوي للإمبراطورية الأولى، لعب دورًا مهمًّا في النهضة السياسية والفنية التي حدثت أثناء حكمه الطويل. ولكنه معروف أكثر من الناحية الملحمية بسبب ارتباطه ببِل ريوز. بالنسبة للعامة فإنه ببساطة «إمبراطور ريوز». من المهم ألا نسمح لأحداث السنوات الأخيرة من عمره أن تطغى على أربعين سنة من ...

## الفصل الرابع

# الإمبراطور

كان كِليون الثاني سيد الكون، وكان كِليون الثاني يُعاني أيضًا من مرض مؤلم لم يقدر أحدٌ على تشخيصه، ولكن بسبب التقلب الغريب للطبيعة الإنسانية فإن الجملتين ليستا متناقضتين ولا متعارضتين. هناك عدد لا يُحصى من الحالات المشابهة السابقة في التاريخ.

ولكن كِليون الثاني لم يكن يُبالي بمثل هذه الحالات المُشابهة، إن التأمل في قائمة طويلة من الحالات المُشابهة لن يُخفف من معاناته الشخصية مقدار إلكترون. لم يكن يُريحه ـ إلا قليلًا ـ التفكير في أنه بينما جد جده كان قرصانًا حاكمًا لكوكب بحجم ذرة غبار فإنه هو نفسه ينام في قصر «أمينيتيك العظيم»، كوريث لنسل من الحكام المجريين يمتد بعيدًا في الماضي السحيق. لم يكن يستطيع في الوقت الحالي أن يتلمَّس الارتياح من فكرة أن مجهودات أبيه قد طهَّرت الإمبراطورية من جراثيم التمرد وأعادت إليها السلام والوحدة التي كانت تتمتع بهما تحت حُكم ستانيل السادس. وبناءً على ذلك لم تعكر سحابة واحدة من التمرد صفو مجده البرَّاق طيلة خمسة وعشرين عامًا من حكمه.

تأوَّه إمبراطور المجرة وسيد كل شيء وهو يريح رأسه إلى الوراء في حقل الطاقة المنشط الذي يُحيط بوسائده. كانت تمنحه نعومة لطيفة، ومع الوخز الممتع استرخى كِليون قليلًا. اعتدل في جلسته بصعوبة وحدَّق باكتئاب إلى الجدران البعيدة في غُرفته الشاسعة، كانت غُرفة سيئة لكي تكون فيها وحدك، كانت غُرفة كبيرة للغاية، كل الغُرف كانت كبيرة للغاية.

ولكن من الأفضل أن تكون وحيدًا خلال هذه النوبات من العجز على أن تتحمل مداهنة الحاشية، تعاطفهم المُسرَف وتذللهم الرخو البليد، من الأفضل أن تكون وحيدًا بدلًا من أن تُشاهد هذه الأقنعة السخيفة التي تُخفي وراءها التكهنات الملتوية حول فرص الموت وثروات الورثة.

تسارعت الأفكار في عقله، كان هناك أبناؤه الثلاثة، ثلاثة شبان مستقيمون ممتلئون بالفضيلة والمستقبل الواعد. أين اختفوا في هذه الأيام السيئة؟ ينتظرون بلا شك. كل واحد منهم يُراقب الآخر، والجميع يراقبونه.

ثم تململ في موضعه بقلق؛ لقد كان برودريج يطلب لقاءه. برودريج المخلص المولود لعائلة متواضعة بلا مكانة اجتماعية، إنه مخلص لأنه مكروه بشكل شديد وجماعي، وهذه الكراهية كانت نقطة الاتفاق الوحيدة بين عشرات الأحزاب المتفرقة التي ينقسم إليها البلاط.

برودريج الحظيّ المُخلص، الذي كان عليه أن يكون مُخلصًا لأنه ما لم يكن يمتلك أسرع سفينة في المجرة ليُقلع بها في يوم موت الإمبراطور فإن غُرفة الإشعاع ستكون مصيره في اليوم التالي.

لمس كِليون الثاني المقبض الأملس في ذراع سريره العظيم فتلاشى الباب الضخم في نهاية غُرفته.

دلف برودريج وهو يخطو على السجادة القرمزية وانحنى على رُكبته ليُقبِّل يد الإمبراطور المرتخية.

سأل السكرتير الشخصي في نبرة خفيضة قلقة: «ما أخبار صحتك يا مولاي؟».

قال الإمبراطور في سخط: «ما زلت على قيد الحياة، إن كان بإمكانك تسميتها حياة بينما كل وغد يُمكنه قراءة كتاب في الطب يستخدمني كحقل تجارب من أجل تجاربه التافهة. إن كان هناك علاج يُمكن تصوره، كيميائي أو فيزيائي أو نووي، ولم يتم تجربته بعد، فسوف يصل ثرثار متعلم من زاوية بعيدة في الإمبراطورية في اليوم التالي ليجربه، وسيكون هناك كتاب آخر مُكتشَف حديثًا ـ أو كتاب مزور بالأحرى ـ ليستخدمه كمرجع».

ثم تمتم بوحشية: «بحق روح أبي، يبدو أنه لم يعد هناك رجل يستطيع أن يدرس مرضًا أمام عينيه بنفس هاتين العينين، لم يعد هناك من يستطيع أن يحسب نبضات القلب بدون كتاب من كتب القدماء أمامه. أنا مريض وهم يقولون إنه مرض غير معروف. هؤلاء الحمقى. إذا كانت الأجساد البشرية قد تعلَّمت طرقًا جديدة للاعتلال خلال آلاف السنين الماضية، فإن كتب القدماء لن تذكرها وستظل غير قابلة للشفاء إلى الأبد. كان يجب أن يكون القدماء أحياء الآن أو أكون أنا حيًّا في زمنهم».

راح الإمبراطور يسب بصوت خافت غير مسموع بينما برودريج ينتظر في احترام، حتى سأله كِليون الثاني بحدة: «كم عدد المنتظرين بالخارج؟».

ثم أشار برأسه ناحية الباب.

قال برودريج في صبر: «إن البهو العظيم يضم العدد المعتاد».

«حسنًا، دعهم ينتظرون. إن شئون الدولة تشغلني، فلتطلب من قائد الحرس أن يُعلن هذا. أو انتظر، انسَ شئون الدولة دعه يُعلن فقط أنني لن أُقابل أحدًا، واطلب من قائد الحرس أن يبدو حزينًا». ثم أضاف بسخرية: «سوف يغدر الذئاب بينهم ببعضهم البعض».

قال برودريج بلطف: «هناك شائعة يا مولاي أن قلبك يؤلمك».

تلاشت السخرية من ابتسامة الإمبراطور وقال: «سوف يشعر البعض بألم أكبر من ألمي إذا تصرَّف أحدهم بتعجل بناءً على هذه الشائعة. ولكن ما الذي تريده أنت؟ دعنا ننتهي من هذا الأمر».

اعتدل برودريج واقفًا من جلسته على ركبته بإشارة من الإمبراطور وقال: «الأمر متعلق بالجنرال بِل ريوز، الحاكم العسكري لولاية سيوينا».

عقد كِليون الثاني حاجبيه وقال: «ريوز، لا أتذكر الاسم. مهلًا، أهو الرجل الذي أرسل رسالة بالغة المثالية منذ بضعة أشهر؟ أجل تذكرته، إنه يلهث من أجل السماح له ببدء الغزو من أجل مجد الإمبراطورية والإمبراطور».

«بالضبط يا مولاي».

ضحك الإمبراطور ضحكة قصيرة وقال: «هل تعتقد يا برودريج أنه لا يزال بجواري مثل هؤلاء الجنرالات؟ إنه يتوق بشكلٍ غريب إلى الماضي. ماذا كانت الإجابة؟ أعتقد أنك توليت الأمر».

«لقد فعلت يا مولاي، لقد طلبنا منه إرسال المزيد من المعلومات، وألا يأخذ أي خطوة متعلقة بتحرك السفن بدون تعليمات أُخرى من الإمبراطورية».

«هذا آمن بما يكفي. من ريوز هذا؟ هل جاء إلى البلاط من قبل؟».

أومأ برودريج برأسه بابتسامة شاحبة وقال: «لقد بدأ مسيرته كجندي في الحرس منذ عشر سنوات، لقد كان له دور في المسألة المتعلقة بعنقود ليمول النجمي».

«عنقود ليمول النجمي؟ أنت تعرف أن ذاكرتي... هل كانت هذه هي المرة التي أنقذ فيها جندي شاب سفينتين حربيتين من الاصطدام بواسطة... شيء أو آخر؟». ثم لوَّح بيده في نفاد صبر وقال: «أنا لا أتذكر التفاصيل، لقد كان عملًا بطوليًّا».

قال برودريج بجمود: «لقد كان ريوز هو هذا الجندي، لقد تلقَّى ترقية بسبب الأمر، وتم تكليفه بالواجب الميداني كقائد سفينة».

«والآن حاكم عسكري لأحد الأنظمة الشمسية الحدودية وهو لا يزال شابًّا. إنه رجل بارع يا برودريج».

■ تم نشر هذا الكتاب من خلال قناة رف 404 | للمزيد من الكتب تفضلوا بزيارة قناتنا على تيليجرام ■ Rff404

«ولكنه خطير يا مولاي، إنه يعيش في الماضي ويحلم بالأزمنة القديمة، أو بالأحرى الخرافات التي تحكي ما كانت عليه الأزمنة القديمة. مثل هؤلاء الرجال ليسوا مؤذين في حد ذاتهم، ولكن افتقارهم إلى الواقعية يجعلهم حمقى يعملون لصالح الآخرين». ثم أضاف: «إن رجاله ـ حسبما أعرف ـ تحت سيطرته تمامًا، إنه واحد من جنرالاتك الذين يتمتعون بشعبية كبيرة».

قال الإمبراطور وهو يفكر: «حقًّا؟ حسنًا يا برودريج، لن أرغب في ألا يخدمني سوى رجال غير أكفاء. إنهم أنفسهم بالتأكيد ليسوا مثالًا يُحتذى به في الإخلاص».

«الخائن غير الكفء لا يُمثِّل خطرًا، إنهم الرجال البارعون بالأحرى من يجب أن نحترس منهم».

«هل أنت واحد منهم يا برودريج». ضحك كِليون الثاني قبل أن تتلوى ملامحه في ألم. ثم قال: «حسنًا، فلتنسَ هذه المحاضرة الآن. ما التطورات الجديدة في الأمر المتعلق بهذا الغازي الشاب، آمل أنك لم تأتِ لتذكيري بالأمر فقط».

«لقد تلقَّينا رسالة أُخرى من الجنرال ريوز يا مولاي».

«حقًّا؟ وماذا تقول؟».

«لقد استطاع العثور على أرض هؤلاء البربريين ويقترح احتلالها بالقوة. إن مبرراته طويلة ومملة إلى حد كبير، الأمر لا يستحق إزعاج جلالتك الإمبراطورية به في الوقت الحالي أثناء مرضك، لا سيما أنه سيجري مناقشته باستفاضة أثناء جلسة مجلس اللوردات». ثم اختلس النظر بطرف عينه إلى الإمبراطور.

عقد كِليون الثاني حاجبيه وقال: «هل هذا طلب منهم يا برودريج؟ هذا سيعني مطالب أُخرى بتفسير أوسع للميثاق. دائمًا ما يتعلَّق الأمر بهذا».

«لا يُمكن تجنب هذا يا مولاي، ربما لكان من الأفضل أن يقمع أبوك المبجل التمرد الأخير بدون منح الميثاق، ولكن بما أنه موجود فيجب أن نتحمله لبعض الوقت».

«أعتقد أنك محق، إذن فلا مفر من مقابلة اللوردات. ولكن لم كل هذه الرسمية يا رجل؟ إنها مسألة صغيرة في نهاية المطاف، النجاح في حدود بعيدة بعدد محدود من القوات هو بالكاد من شؤون الدولة».

ابتسم برودريج ابتسامة شاحبة وقال بهدوء: «إنها مسألة أحمق حالم، ولكن حتى الأحمق الحالم قد يكون سلاحًا مميتًا عندما يستخدمه متمرد غير حالم كأداة، إن الرجل يا مولاي يحظى بشعبية هنا وهناك، إن استطاع أن يحتل كوكبًا بربريًّا نائيًا، أو كوكبين، فسوف يصير فاتحًا. إن فاتحًا شابًّا قد أثبت قدرته على إثارة حماس الطيارين وعمال المناجم والتجار ومثل هؤلاء الرعاع سيكون خطيرًا في أي وقت، حتى وإن كان يفتقر إلى الرغبة في أن يفعل معك ما فعله أبوك المبجل مع ريكر الذي اغتصب العرش، فإن واحدًا من لورداتك الأوفياء في الإمبراطورية قد يقرر استخدامه كسلاح».

حرَّك كِليون الثاني ذراعه على الفور، ثم تيبَّس في ألم، قبل أن يسترخي ببطء، ولكن ابتسامته كانت ضعيفة وصوته كان هامسًا وهو يقول: «أنت رجل مخلص يا برودريج، دائمًا ما تبالغ في الشك، وليس عليَّ سوى أن آخذ بنصف ما تقترحه من احتياطات لأكون آمنًا تمامًا. سوف نطرح الأمر على اللوردات لنرى ما سيقولونه وسنأخذ إجراءاتنا بناءً على ذلك. أفترض أن الشاب لم يتخذ أي إجراءات عدائية بعد».

«إنه لم يذكر في تقاريره شيئًا كهذا، ولكنه يطلب تعزيزات».

ضيَّق الإمبراطور عينيه بتساؤل وقال: «تعزيزات؟ ما حجم القوة التي لديه؟».

«عشر سفن قتالية يا مولاي مع مجموعة كاملة من المركبات المُساعِدة. اثنتان من السفن مجهزتان بمحركات مستخلصة من الأسطول العظيم القديم، وواحدة بها بطارية مدفعية قوية من المصدر ذاته. السفن الأُخرى هي سفن جديدة من الخمسين سنة الماضية، ولكنها صالحة للخدمة».

«عشر سفن تبدو كافية لأي مهمة معقولة، لقد استطاع والدي تحقيق أول انتصاراته ضد ريكر بأقل من عشر سُفن. من هم هؤلاء البربريون الذين يقاتلهم؟».

رفع السكرتير الخاص حاجبيه في استهزاء وقال: «إنه يُطلق عليهم اسم القاعدة».

«القاعدة؟ ما هذه؟».

«لا يوجد أي سجلات تاريخية عنها يا مولاي، لقد بحثت في المحفوظات بعناية، المنطقة التي يُشير إليها من المجرة تقع داخل حدود ولاية أناكريون القديمة، التي استسلمت منذ قرنين للقرصنة والبربرية والفوضى. ولكن لا يوجد كوكب معروف باسم القاعدة في الولاية. كان هناك إشارة مبهمة إلى مجموعة من العلماء قد أُرسلوا إلى هذه الولاية قبل انفصالها عن حمايتنا بقليل، كان دورهم هو إعداد موسوعة». ثم ابتسم ابتسامة شاحبة وقال: «أعتقد أنهم قد أطلقوا عليها قاعدة الموسوعة».

فكَّر الإمبراطور في الأمر متجهمًا ثم قال: «يبدو أن هذا رابط ضعيف للمضي قدمًا على أساسه».

«أنا لا أقترح هذا يا مولاي، فلم يَرِد أي خبر من تلك الحملة بعد تنامي الفوضى في تلك المنطقة. إن كان أحفادهم لا يزالون على قيد الحياة ويحتفظون بنفس الاسم فإنهم قد ارتدُّوا إلى البربرية بالتأكيد».

قال الإمبراطور: «ولهذا فهو يُريد تعزيزات». ثم مال إلى الأمام ونظر إلى سكرتيره بعينين متقدتين وقال: «هذا أمر غريب للغاية، أن يقترح مقاتلة همجيين بعشر سُفن وأن يطلب المزيد قبل أن تُضرب ضربة واحدة. ومع ذلك لقد بدأت أتذكر ريوز هذا، لقد كان فتى وسيمًا من عائلة مخلصة. هناك أشياء معقدة في هذا الأمر يا برودريج لا أستطيع سبر أغوارها، قد يكون الأمر أكثر أهمية مما يبدو عليه».

ثم راح ينقر بأصابعه بشرود على الغطاء اللامع الذي يُغطي ساقيه المتيبستين، قبل أن يقول: «أنا أحتاج إلى رجل هناك، رجل له عينان وعقل وولاء. برودريج...».

أحنى السكرتير رأسه بخضوع ثم قال: «والسفن يا سيدي؟».

قال الإمبراطور: «ليس بعد». ثم تأوَّه بخفوت في ألم وهو يتململ في موضعه بحركات خفيفة، قبل أن يشير بإصبعه الضعيف قائلًا: «ليس قبل أن نعرف المزيد. فلتعقد مجلس اللوردات بعد أسبوع من اليوم، سوف تكون فرصة جيدة لإعادة توزيع الموارد المالية للحكومة. سأفعل هذا وإلا فسوف تطير بعض الأعناق».

ثم أمال رأسه المُتْعَب للوراء داخل الوخز المهدئ لوسادة حقل الطاقة، قبل أن يقول: «اذهب الآن يا برودريج وأرسل الطبيب، إنه أسوأ ثرثار من بينهم جميعًا».

## الفصل الخامس

# بداية الحرب

من منظور سيوينا كانت قوات الإمبراطورية تتقدم بحذر نحو محيط المجرة الخارجي المُظلم المجهول. كانت السفن العملاقة تقطع المسافات الشاسعة التي تفصل بين النجوم النائية في حافة المجرة، وهي تتحسس طريقها حول الأطراف الخارجية لنفوذ القاعدة.

كانت الكواكب المنعزلة لمدة قرنين من الزمان في بربريتها الجديدة تشعر مرة أُخرى بإحساس وجود السادة الإمبراطوريين على تُربتها، فأقسموا بالولاء في وجه المدفعيات الضخمة التي تُغطي العواصم.

وُضعت هناك حاميات عسكرية من رجال بالملابس الإمبراطورية الرسمية، وشعار السفينة الفضائية والشمس على أكتافهم. رأى العجائز هذا وتذكروا مُجددًا الحكايات المنسية التي رواها أجداد أجدادهم عن الأزمنة التي كان فيها الكون ضخمًا وغنيًّا ومُسالمًا عندما حكم شعار السفينة الفضائية والشمس ذاته كل شيء.

ثم استمرَّت السفن العظيمة في طريقها لتحيك خيوط قواعدها الأمامية أكثر حول القاعدة، ومع كل كوكب يُغزل في موضعه المناسب في النسيج كانت التقارير تصل إلى بِل ريوز في المقر الرئيسي الذي أسسه على كوكب صخري قاحل متجول بلا شمس.

كان ريوز مسترخيًا وهو ينظر إلى دوسِم بار بابتسامة قاتمة، قبل أن يقول: «حسنًا، ما رأيك أيها النبيل؟».

«أنا؟ ما قيمة رأيي؟ أنا لست رجلًا عسكريًّا». ثم نظر في تعب وامتعاض إلى الغُرفة الصخرية المزدحمة الفوضوية التي قد حُفِرت في جدار كهف، وتتمتع بالتهوية الصناعية والإضاءة والتدفئة مما يجعلها فقاعة الحياة الوحيدة في هذا الكوكب الكئيب الشاسع.

ثم تمتم قائلًا: «من أجل المساعدة التي يُمكنني أن أقدمها لك، أو بالأحرى التي تُريدني أن أقدمها لك، فيجب أن تعيدني إلى سيوينا».

قال الجنرال: «ليس بعد، ليس بعد». ثم أدار كرسيه ناحية الرُّكن الذي يضم كرة ضخمة مضيئة شفافة تُشكل خريطة ولاية أناكريون الإمبراطورية القديمة والقطاعات المجاورة لها. قبل أن يقول: «لاحقًا عندما ينتهي كل هذا فسوف تعود إلى كتبك وإلى ما هو أكثر من هذا؛ سوف أحرص على أن تعود ممتلكات عائلتك لك ولأبنائك للأبد».

قال بار بسخرية خافتة: «شكرًا لك، ولكني أفتقر إلى إيمانك بالنهاية السعيدة لكل هذا».

ضحك ريوز بقسوة ثم قال: «لا تبدأ بالحديث عن نبوءاتك المشؤومة مُجددًا، هذه الخريطة تتحدث بصوت أعلى من كل نظرياتك الكئيبة». ثم مرر يده برفق على خطوطها المنحنية غير المرئية وقال: «هل

يُمكنك أن تقرأ هذه الخريطة من حيث الإسقاط نصف القطري؟ يُمكنك هذا؟ حسنًا، هاك، فلتنظر بنفسك، النجوم الذهبية تُمثل المناطق الإمبراطورية، النجوم الحمراء هي تلك الخاضعة للقاعدة، والوردية هي تلك التي من المحتمل أن تكون داخل مجال نفوذها الاقتصادي. انظر...».

وضع ريوز يده على مقبض مستدير، وببطء تغيرت منطقة من النقاط البيضاء إلى اللون الأزرق الداكن، وراحت تنطوي حول النجوم الحمراء والوردية في منحنى مقلوب.

قل ريوز برضا تام: «هذه النجوم الزرقاء هي تلك التي استولت عليها قواتي، ولا تزال قواتي تتقدم، دون أن تظهر أي معارضة في أي مكان. هؤلاء البربريون هادئون، ولم تأتِ أي معارضة من القاعدة على وجه الخصوص، إنهم يغطون في نومٍ عميق».

سأله بار: «أنت تُشتت قواتك، ألا ترى هذا؟».

قال ريوز: «في الواقع لا، على الرغم من أن هذا هو الظاهر، فالنقاط الرئيسية التي أُحصنها وأضع فيها الحاميات قليلة نسبيًّا، ولكني اخترتها بعناية، النتيجة هي أن القوة المستخدمة صغيرة، ولكن النتيجة الاستراتيجية عظيمة. هناك العديد من المزايا، أكثر مما قد يبدو لشخص لم يدرس الاستراتيجيات التوسعية بدقة. ولكن من الواضح لأي شخص، على سبيل المثال، أن باستطاعتي أن أشن هجومًا من أي نقطة في هذا المجال المُغلق، وأني عندما أُنهي هذا الهجوم سيكون من المستحيل على القاعدة أن تهجم على الجناح أو المؤخرة، فلن يكون لديَّ جناح أو مؤخرة بالنسبة لهم.

إن استراتيجية التطويق المسبق هذه قد سبق تجربتها، وخصوصًا في حملات لوريس السادس، قبل ألفي عام تقريبًا، ولكنها لم تكن مثالية من قبل، مع معرفة العدو بها ومحاولته للتدخل. هذه المرة الأمر مختلف».

قال بار بتعب ولا مبالاة: «هذه المرة هي الحالة المثالية؟».

قال ريوز في نفاد صبر: «ما زلت تعتقد أن قواتي ستفشل؟».

«يجب أن تفشل».

«أنت تُدرك أنه لم يكن هناك أي حالة في التاريخ العسكري جرى فيها إكمال التطويق لم تنتصر فيها القوات المُهاجمة في النهاية، باستثناء عندما يكون هناك أسطول خارجي بقوة كافية لكسر التطويق».

«كما تشاء».

«وأنت ما زلت متمسكًا بإيمانك؟».

«أجل».

هز ريوز كتفيه وقال: «كما يحلو لك».

سمح بار لهذا الصمت الغاضب أن يستمر لبضع لحظات ثم سأل بهدوء: «هل تلقيت ردًّا من الإمبراطور؟».

أخرج ريوز سيجارة من علبة معلقة على الجدار وراء رأسه، ثم وضع طرفها في فمه وأشعلها بحرص قبل أن يقول: «هل تعني طلبي من أجل التعزيزات؟ لقد وصل، ولكن هذا كل شيء، مجرد رد».

«لا سفن؟».

«ولا سفينة. لقد كنت أتوقع هذا تقريبًا. بصراحة أيها النبيل لم يكن يجب عليَّ أن أسمح لنفسي بأن أشعر بالذعر بسبب نظرياتك لكي أطلب منهم هذا الطلب من البداية، فهذا يُعطي عني صورة سيئة».

«حقًّا؟».

«بالتأكيد. إن السفن شيء ثمين، فالحروب الأهلية في القرنين الأخيرين قد حطمت أكثر من نصف الأسطول العظيم، وما تبقى منه في حالة سيئة. أنت تعرف أن السفن التي تُبنى هذه الأيام لا تُساوي شيئًا. أنا لا أعتقد أن هناك رجلًا في المجرة اليوم يُمكنه أن يبني مُحركًا نوويًّا فائقًا من الطراز الأول».

قال السيويني وعيناه غارقتان في التفكير: «أنا أعرف هذا، ولكني لم أكن أعرف أنك تعرف هذا. إذن فجلالة الإمبراطور لا يستطيع التخلي عن أي سفينة. ربما تنبَّأ علم التاريخ النفسي بهذا، في الواقع لقد تنبَّأ به على الأرجح. يجب أن أقول إن يد سيلدون الطولى قد انتصرت في الجولة الافتتاحية».

قال ريوز بحدة: «لدي ما يكفي من السفن بالفعل، إن سيلدون هذا لم ينتصر في شيء. إذا صار الموقف أكثر خطورة فحينها سيكون متاحًا المزيد من السفن. ولكن الإمبراطور لا يعرف القصة بالكامل حتى الآن».

«حقًّا؟ ما الذي لم تُخبره به؟».

نظر إليه ريوز بسخرية وقال: «نظرياتك بالتأكيد. إن هذه القصة ـ مع كامل احترامي لك ـ لا يُمكن تصديقها من الأساس. إن استدعت التطورات هذا، أو إذا مدتني الأحداث بالدليل، فحينها ـ وحينها فقط ـ يُمكنني أن أفترض حالة الخطر المميت».

ثم قال ببساطة بطريقة ذات مغزى: «بالإضافة إلى أن هذه القصة ـ التي لا تدعمها الحقائق ـ بها نكهة الخيانة العظمى التي لا أعتقد أنها قد تُعجب الإمبراطور إطلاقًا».

ابتسم النبيل العجوز وقال: «هل تقصد أن إخباره بأن عرشه المبجل مُعرَّض لخطر التخريب على يد مجموعة من الهمج البربريين من الطرف الآخر للكون هو ليس تحذيرًا يُمكن تصديقه أو تقديره؟ إذن فلا تتوقع منه شيئًا».

«هذا ما لم تعتبر أن المبعوث الخاص شيء».

«ولماذا مبعوث خاص؟».

«إنه تقليد قديم؛ يجب أن يكون هناك ممثل مباشر للتاج موجود في كل حملة عسكرية تكون تحت إشراف الحكومة».

«حقًّا؟ لماذا؟».

«إنها طريقة للحفاظ على رمز القيادة الإمبراطورية الشخصية في جميع الحملات، لقد اكتسبت وظيفة ثانوية وهي ضمان إخلاص الجنرالات، ولكنها لا تنجح دومًا في هذا الصدد».

«ستجد أن هذا مزعج أيها الجنرال، أعني السلطة الخارجية».

احتقن وجه ريوز قليلًا بالدماء وقال: «ليس لديَّ شك في هذا، ولكن ما باليد حيلة...».

ومض جهاز الاستقبال في يد الجنرال بضوء أحمر مع هزَّة غير محسوسة، ثم انبثقت الرسالة الأسطوانية من موضعها ففضها ريوز ثم قال: «جيد! هذا هو!».

رفع دوسِم بار حاجبيه في تساؤل، فقال ريوز: «أنت تعرف أننا قد أمسكنا بواحد من هؤلاء التجار حيًّا، وسفينته سليمة».

«لقد سمعت بالأمر».

«حسنًا، لقد أحضروه للتو، وسيكون هنا معنا في غضون دقيقة. فلتبقَ جالسًا في موضعك أيها النبيل، أُريدك أن تكون موجودًا هنا بينما أستجوبه. لهذا طلبت حضورك إلى هنا اليوم في المقام الأول، يُمكنك أن تفهمه، بينما يُمكن أن تفوتني أنا بعض النقاط الهامة».

صدر صوت إشارة عن الباب، وبلمسة من إصبع قدم الجنرال انفتح الباب على مصراعيه. كان الرجل الواقف عند الباب طويلًا وملتحيًا ويرتدي معطفًا قصيرًا من جلد بلاستيكي ناعم، ومتصل به غطاء رأس قد دفعه الرجل وراء عنقه. لم تكن يداه مقيدتين، وإن كان قد لاحظ أن الرجال الموجودين حوله مسلحون فإنه لم يكلف نفسه عناء إبداء مُلاحظته لهذا.

خطا الرجل إلى الداخل ببساطة وتلفَّت حوله بعينين تدرسان كل شيء جيدًا، ثم حيّا الجنرال بتلويحة من يده ونصف إيماءة.

سأله ريوز بصرامة: «اسمك؟».

وضع التاجر إبهاميه في حزامه العريض المبهرج وقال: «لاثان ديفرز. هل أنت الزعيم هنا؟».

«أنت تاجر من القاعدة؟».

«هذا صحيح. اسمعني، إذا كنت الزعيم فمن الأفضل أن تأمر مرتزقتك بإبعاد أيديهم عن بضاعتي».

رفع الجنرال رأسه ناظرًا إلى السجين ببرود وقال: «فلتُجب عن الأسئلة، لا تتطوع باقتراح الأوامر».

«حسنًا، ليس لديَّ مانع، ولكن أحد فتيانك بالفعل قد تسبب في حدوث فجوة باتساع قدمين في صدره، لأنه دسَّ أنفه فيما لا يعنيه».

نقل ريوز عينيه إلى الملازم المسؤول وقال: «هل يقول هذا الرجل الحقيقة؟ إن تقريرك يا فرانك يقول إنه لم يكن هناك خسائر في الأرواح».

قال الملازم بلهجة رسمية يشوبها التخوف: «لم يكن هناك خسائر يا سيدي في ذلك الوقت، لاحقًا كان هناك بعض الخسائر أثناء تفتيش السفينة، لقد انتشرت شائعة بأن هناك امرأة على متن السفينة، ولكن بدلًا

من هذا يا سيدي عثرنا على الكثير من الآلات ذات الطبيعة المجهولة، آلات يزعم السجين أنها بضاعته التجارية. ومضت آلة منهم عند التعامل معها، ومات الجندي الذي كان يحملها».

التفت الجنرال إلى التاجر وقال: «هل تحمل سفينتك متفجرات نووية؟».

«بحق المجرة، لا! ماذا سأفعل بها؟ هذا الأحمق أمسك بمثقاب نووي من الطرف الخاطئ وضبطه على أقصى طاقة، لا يُفترض أن تفعل هذا، هذا يُشبه أن تصوب مسدس نيتروني ناحية رأسك. كنت سأمنعه لو لم يكن هناك خمسة رجال جاثمون على صدري».

أشار ريوز إلى الحارس الواقف على أُهبة الاستعداد وقال: «فلتذهب أنت. ممنوع على أي شخص دخول السفينة. اجلس يا ديڤرز».

جلس التاجر في الموضع المُشار إليه، وصمد بصلابة في وجه نظرات الجنرال الصارمة المتفحصة ونظرات النبيل السيويني الفضولية.

قال ريوز: «أنت رجل عقلاني يا ديڤرز».

«شكرًا لك، هل أنت معجب بوجهي، أم أنك تريد شيئًا؟ ولكني سأخبرك إنني رجل أعمال بارع».

«إنه الشيء ذاته تقريبًا، لقد سلَّمت سفينتك رغم أنه كان بإمكانك أن تُقرر تبديد ذخيرتك، أو أن تتسبب في تفجيرك لتصير غبارًا إلكترونيًّا. من الممكن أن يترتب على الأمر حُسن مُعاملتك، إذا حافظت على نظرتك هذه للحياة».

«المعاملة الحسنة هي ما أتوق إليه أيها الزعيم».

ابتسم ريوز وقال: «جيد، والتعاون هو ما أتوق إليه». ثم قال مخاطبًا دوسِم بار بلهجة خفيضة جانبية: «آمل أن كلمة «أتوق» تعني ما أعتقد أنها تعنيه، هل سمعت مثل هذه المصطلحات البربرية من قبل؟».

قال ديڤرز بلهجة جامدة: «حسنًا، لقد فهمتك. ولكن أي نوع من التعاون تتحدث عنه أيها الزعيم؟ سأقول لك بصراحة، أنا لا أعرف أين أنا». ثم تلفَّت حوله وقال: «أين هذا المكان على سبيل المثال؟ وما الغرض من كل هذا؟».

قال ريوز بروح مرحة: «المعذرة لقد أهملت النصف الثاني من التعارف. هذا السيد المحترم هو دوسِم بار، أرستقراطي من الإمبراطورية. وأنا بِل ريوز، ممثل الإمبراطورية وجنرال من الدرجة الثالثة في قوات جلالة الإمبراطور المسلحة».

فغر التاجر فاه ثم قال: «الإمبراطورية؟ أعني الإمبراطورية القديمة التي تعلمنا عنها في المدرسة؟ هاه! هذا غريب! لطالما ظننت بطريقة ما أنها لم تعد موجودة».

قال ريوز بجدية: «انظر حولك، إنها موجودة».

نظر لاثان ديڤرز إلى السقف وقال: «كان يجب أن أعرف هذا، إن السفن التي أمسكت بمركبتي كانت ذات مظهر مصقول، ليس بوسع أي مملكة في محيط المجرة الخارجي أن تصنع مثلها». ثم عقد حاجبيه وقال:

«إذن ما هي اللعبة يا زعيم؟ أم يجب أن أَسميك جنرالًا؟».

«اللعبة هي الحرب».

«الإمبراطورية في مواجهة القاعدة، أليس كذلك؟».

«صحيح».

«لماذا؟».

«أعتقد أنك تعرف لماذا».

حدَّق التاجر إليه بحدة ثم هزَّ رأسه.

تركه ريوز يُفكر في الأمر ثم قال بهدوء: «أنا واثق أنك تعرف لماذا».

تمتم لاثان ديڤرز قائلًا: «المكان دافئ هنا». ثم اعتدل واقفًا وانتزع معطفه قبل أن يجلس مُجددًا ويمدد ساقيه أمامه.

قال بارتياح: «أتعرف؟ أعتقد أن بإمكاني أن أقفز فجأة وأوسعك ضربًا، يُمكنني أن أُمسك بك قبل أن تقدر على الحركة إذا اخترت الوقت المناسب، وهذا الرجل العجوز الجالس هناك لا يستطيع أن يفعل أي شيء لإيقافي».

قال ريوز بثقة: «ولكنك لن تفعل هذا».

وافقه ديڤرز قائلًا بودية: «لن أفعل؛ أولًا قتلك لن يوقف الحرب، أفترض أن هناك المزيد من الجنرالات من حيث أتيت».

«أصبت كبد الحقيقة».

«بالإضافة لذلك، فإنني على الأرجح سأتعرَّض لهجوم بعد أن أنال منك بثانيتين، قد أموت بسرعة أو ببطء، هذا يتوقف على ما سيحدث حينها. ولكني سأكون ميتًا في الحالتين، وأنا لا أُحب أن أضع هذا في الحسبان عندما أرسم خططي، فهذا لا يؤتي ثماره».

«أنت رجل عقلاني كما قلت».

«ولكن هناك شيئًا واحدًا أريده يا زعيم؛ أُريدك أن تُخبرني بالذي قصدته عندما قلت إنني أعرف ما الذي ترمي إليه. أنا لا أعرفه، وألعاب التخمين تُزعجني إلى أقصى حد».

«حقًّا؟ هل سمعت من قبل عن هاري سيلدون؟».

«لا، قلت لك إني لا أُحب ألعاب التخمين».

نظر ريوز نظرة جانبية إلى دوسِم بار، الذي ابتسم ابتسامة شاحبة، ثم ارتسم على وجهه مُجددًا التعبير الذي يدل على غرقه في أفكاره الخاصة.

قال ريوز متجهمًا: «لا تلعب معي يا ديڤرز، هناك تقليد، أو خُرافة، أو تاريخ شائع ـ لا أبالي أيهم ـ على قاعدتكم؛ أنكم في نهاية المطاف ستأسسون الإمبراطورية الثانية. أنا أعرف الكثير من التفاصيل عن هراء علم التاريخ النفسي الخاص بهاري سيلدون، وعن خططكم الحتمية للاعتداء على الإمبراطورية».

أومأ ديڤرز برأسه مُفكرًا وقال: «هكذا إذن؟ ومن أخبرك بكل هذا؟».

قال ريوز بهدوء مخيف: «وهل هذا مهم؟ أنت لست هنا لطرح الأسئلة، أنا أُريد ما تعرفه أنت عن خُرافة سيلدون».

«ولكنها إن كانت خُرافة...».

«لا تتلاعب بالكلمات يا ديڤرز».

«أنا لا أفعل هذا، في الواقع سأتحدث معك بشكلٍ مباشر، أنت تعرف كل ما أعرفه عنها، إنها أمور سخيفة غير مقنعة، كل كوكب له حكاياته الشعبية، ولا يُمكنك أن تسلبهم هذا. أجل لقد سمعت مثل هذا الحديث من قبل؛ سيلدون، الإمبراطورية الثانية، وما إلى ذلك. إنهم يقصون هذه الحكايات على الأطفال ليلًا لكي يخلدوا إلى النوم. الشباب يتكومون على أنفسهم في غُرف النوم مع أجهزة العرض المحمولة، ويلتهمون الأفلام المفعمة بالإثارة عن سيلدون. ولكنها أمور لا تليق بالبالغين، البالغين الأذكياء على أي حال». ثم هزَّ التاجر رأسه.

لمع الغضب في عينيّ الجنرال الإمبراطوري وهو يقول: «هل الأمر هكذا حقًّا؟ أنت تضيع وقتك في الأكاذيب يا رجل، لقد كنتُ على كوكب تيرمينوس، أنا أعرف قاعدتكم، لقد نظرت إليها وجهًا لوجه».

«وبعد هذا تسألني أنا؟ أنا الذي كل ما قضيته على كوكب تيرمينوس في خلال عشرة أعوام لا يزيد عن شهرين. ولكن فلتذهب وتمضِ قُدمًا في حربك، إن كانت الخُرافات هي ما تسعى وراءه».

تحدَّث بار للمرة الأولى قائلًا بنبرة هادئة: «أنت واثق تمامًا إذن أن القاعدة ستنتصر؟».

التفت التاجر إليه وقد احتقن وجها بالدماء قليلًا، فلمعت ندبة قديمة على صدغه بلون أبيض، قبل أن يقول: «هممم، الرفيق الصامت، كيف استنتجت هذا مما قلته يا دوك؟».

أومأ ريوز برأسه إيماءة بسيطة للغاية ناحية بار فواصل السيويني حديثه بهدوء: «لأن الفكرة ستزعجك إن كنت تعتقد أن كوكبك قد يخسر هذه الحرب ويُعاني من مرارة الهزيمة، أنا أعرف هذا لأن كوكبي قد عانى من مرارة الهزيمة يومًا، وما زال يُعاني».

أخذ لاثان ديڤرز يُداعب لحيته وهو ينقل نظره بين الرجلين الجالسين أمامه ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال: «هل يتحدث دومًا هكذا يا زعيم؟». ثم اكتست ملامحه بالجدية وقال: «اسمعاني، ما هي الهزيمة؟ لقد رأيت الحروب ورأيت الهزائم، ماذا إن استولى المنتصر على السلطة؟ من سيُبالي؟ أنا؟ الرجال أمثالي؟». ثم هز رأسه في استخفاف.

أكمل التاجر حديثه بحزم وجدية: «سأقول لكما شيئًا، عادة ما يكون هناك خمسة حمقى بدناء أو ستة يديرون الأمور في أي كوكب، هم من يتلقون الضربة القاضية، ولكني لن أُزعج نفسي بما سيحدث لهم. الشعب؟ العَوَام؟ بعضهم سيُقتل بالتأكيد، والبقية سيدفعون ضرائب إضافية لفترة من الوقت، ولكن الأمور تستقر في نهاية المطاف، ثم يعود الوضع القديم مُجددًا مع خمسة أو ستة مختلفين».

انتفخت فتحتا أنف دوسِم بار وانتفضت عروق يده اليُمنى، ولكنه لم يقل شيئًا.

كان لاثان ديڤرز ينظر إليه، دون أن يفوته شيئًا، ثم قال: «لقد قضيت حياتي في الفضاء، من أجل بضاعتي الزهيدة، وأرباحي الضئيلة التي أحصل عليها من النقابة». ثم أشار بإبهامه إلى وراء كتفه وقال: «ثمة أشخاص بدناء هناك، لا يُغادرون الكوكب، ويحصلون على ما يساوي دخلي السنوي مع كل دقيقة، يجمعون هذا من الفتات التي أربحها أنا والكثيرون أمثالي. فلنفترض أنكم ستديرون القاعدة، حينها ستحتاجون إلينا أكثر من حاجة النقابة إلينا، لأنكم لا تعرفون كيفية إدارة الأمور، ونحن يُمكننا أن نجلب الكثير من المال. سوف نعقد صفقة أفضل مع الإمبراطورية، أجل سنفعل هذا، فأنا رجل عملي، وإن كان الأمر سيؤدي إلى زيادة الأرباح فأنا أؤيده».

ثم حدق إلى الرجلين بشراسة ساخرة.

استمر الصمت لدقائق بلا انقطاع، ثم أصدرت رسالة أسطوانية صوتًا وهي تبرز من فتحتها. فضَّها الجنرال على الفور ونظر إلى حروفها الدقيقة ليقرأ المكتوب بنظرة سريعة.

«فلتجهزوا مُخططًا يوضح موقع كل سفينة في ميدان المعركة، انتظروا التعليمات في حالة دفاعية كاملة التسليح».

مد يده ليُمسك بوشاحه، وبينما هو يعقده حول كتفيه همس إلى بار بنبرة رتيبة: «سأترك هذا الرجل لك، أنا أتوقع نتائج، هذه حرب، ويُمكنني أن أتعامل بقسوة مع الفشل، تذكَّر هذا!». ثم غادر بعد أن ألقى التحية لكليهما.

لاحقه لاثان ديڤرز بعينيه ثم قال: «شيء ما قد أزعجه».

قال بار بنبرة خشنة: «معركة ما بالتأكيد، فقوات القاعدة تتأهب من أجل معركتهم الأولى. من الأفضل أن تأتي معي».

كان هناك رجال مسلحون في الغُرفة، وكانت وجوههم الصارمة تحمل نظرة احترام. لحق ديڤرز بالنبيل السيويني العجوز المعتد بذاته خارج الغرفة.

كانت الغُرفة التي اقتادهما المسلحون إليها أصغر حجمًا وأقل أثاثًا، كانت تحتوي على فراشين وشاشة تلفاز وحمَّام ومرافق صحية. خرج الجنود من الغُرفة ثم انغلق الباب الثقيل بدوي مرتفع تردد صداه.

تلفَّت ديڤرز حوله بامتعاض وقال: «لا يبدو هذا مؤقتًا».

قال بار باقتضاب: «أجل». ثم أدار السيويني العجوز له ظهره.

قال التاجر بانزعاج: «ما هي لُعبتك يا دوك؟».

«ليس لديَّ أي ألعاب. أنت تحت مسؤوليتي، هذا كل شيء».

اعتدل التاجر واقفًا بهيئته الضخمة واقترب من النبيل الساكن قائلًا: «حقًّا؟ ولكنك في هذه الزنزانة معي، وعندما كان الجنود يقتادوننا إلى هنا كانت الأسلحة مصوبة بصرامة ناحيتك مثلما هي مصوبة ناحيتي. اسمعني، لقد بدا عليك الغضب الشديد عندما سمعت رأيي في موضوع الحرب والسلام».

انتظر إجابة بلا جدوى فقال: «حسنًا، دعني أسألك عن شيء؛ لقد قلت إن دولتك قد هُزمت ذات يوم، على يد من؟ سكان النيازك القادمون من السُّدُم الخارجية؟».

نظر بار إليه وقال: «على يد الإمبراطورية».

«حقًّا؟ ما الذي تفعله هنا إذن؟».

حافظ بار على صمته البليغ.

مطَّ التاجر شفته السفلى وأومأ برأسه ببطء، ثم انتزع السوار السميك المعدني الذي يُحيط برسغ يده اليُمنى وأمسك به قائلًا: «ما رأيك في هذا؟». كان يرتدي واحدًا مُشابهًا في يده اليُسرى.

أخذ السيويني الحلية، ثم استجاب ببطء لإيماءة التاجر بأن يرتديها. اختفى الوخز الغريب الذي أحس به في رسغه على الفور.

تغيَّرت نبرة صوت ديڤرز على الفور وهو يقول: «حسنًا يا دوك، تحدَّث ببساطة، إن كانوا يتصنَّتون على هذه الغُرفة فلن يحصلوا على شيء، إن هذا الذي معك هو جهاز تشويش، جهاز أصلي من تصميم مالو نفسه. إنه يُباع مُقابل خمس وعشرين نقطة رصيد على أي كوكب من هنا وحتى الحافة الخارجية، لقد حصلت عليه أنت مجانًا. ابقِ شفتيك مغلقتين وأنت تتحدث وخُذ الأمر ببساطة، ستعتاد على الأمر سريعًا».

أحسَّ دوسِم بار بالتعب فجأة، بينما أضاءت عينا التاجر الملولتان فجأة بالإلحاح، أحس بعدم المساواة في مطالبهما.

قال بار: «ما الذي تريده؟». تلعثمت الكلمات بين شفتيه الساكنتين.

«لقد أخبرتك، أنت تتشدق بالحديث كرجل وطني، رُغم أن الإمبراطورية قد سحقت كوكبك، إلا أنك هنا تتعاون مع جنرال الإمبراطور ذي الشعر الناعم، هذا ليس منطقيًّا، أليس كذلك؟».

قال بار: «لقد أدَّيت دوري، لقد مات والي الإمبراطور المنتصر على يدي».

«حقًّا؟ هل كان هذا منذ وقتٍ قريب؟».

«منذ أربعين سنة».

«منذ... أربعين... سنة!». بدا أن الكلمات تعني شيئًا للتاجر، الذي عقد حاجبيه وقال: «لقد مرَّ وقت طويل على حدوث هذا لكي تعيش على ذكراه. هل الشاب الذي يرتدي ملابس جنرال يعرف بهذا؟».

أومأ بار برأسه.

غرقت عينا ديڤرز في التفكير وهو يقول: «هل ترغب في أن تنتصر الإمبراطورية؟».

انفجر السيويني النبيل العجوز في غضب مُفاجئ وهو يقول: «أتمنى أن تهلك الإمبراطورية وكل ما يمت لها بصلة في كارثة كونية، إن سيوينا بأسرها تصلي من أجل هذا كل يوم. لقد كان لديَّ أخوة يومًا، وأخت، وأب. ولكن الآن لديَّ أطفالًا وأحفادًا، والجنرال يعرف أين يعثر عليهم».

انتظر ديڤرز فأكمل بار حديثه هامسًا: «ولكن هذا لن يوقفني إن كانت النتائج المُحتملة تستدعي المُخاطرة. سيعرفون كيف يموتون».

قال التاجر بهدوء: «لقد قتلت واليًا ذات يوم، أليس كذلك؟ أتعرف، لقد تذكَّرت بضعة أشياء، لقد كان لدينا عمدة، اسمه هوبر مالو، لقد زار سيوينا، هذا هو كوكبك، أليس كذلك؟ لقد التقى برجل يُدعى بار».

حدَّق دوسِم بار إليه بشك وقال: «ما الذي تعرفه عن هذا؟».

«ما يعرفه كل تاجر في القاعدة. ربما تكون مجرد رجل عجوز ذكي، وضعوه هنا لكي يحصل على ثقتي، بالتأكيد سيصوبون الأسلحة نحوك، وستكره الإمبراطورية، وستكون مُستعدًّا لبذل قصارى جهدك لتحطيمها، حينها سأنخدع بك وأفتح لكَ قلبي، ولن يكون الجنرال مسرورًا لهذا. لا يُمكنني المُغامرة بهذا يا دوك.

ولكني في الوقت ذاته أُريد أن أُعطيك فُرصة لكي تثبت أنك ابن أونم بار من سيوينا؛ الابن السادس الأصغر الذي نجا من المذبحة».

ارتجفت يد دوسِم بار وهو يفتح الصندوق المعدني الموضوع في أحد تجاويف الجدار. أصدر الجسم المعدني الذي سحبه منه قعقعة خافتة وهو يُلقيه بين يدي التاجر. ثم قال: «انظر إلى هذا».

حدَّق لاثان ديڤرز وهو يُقرِّب الحلقة المعدنية الوسطى المنتفخة من عينيه، ثم قال بهدوء: «هذا شعار مالو بالتأكيد وإلا فأنا لا أفقه شيئًا، والتصميم عمره خمسون عامًا على الأقل».

ثم رفع عينيه مُبتسمًا وقال: «صافحني يا دوك، إن درع طاقة نووي لرجل واحد هو كل ما أحتاجه من دليل». ثم مد إليه يده الضخمة.

## الفصل السادس

# الحَظِيّ

ظهرت السفن الصغيرة فجأة من أعماق الفضاء واندفعت إلى قلب الأسطول العسكري، شقَّت طريقها دون طلقة أو قذيفة طاقة عبر المنطقة المُكتظة بالسفن، ثم أطلقت النار في كل اتجاه، بينما السفن الإمبراطورية تستدير لتلتفت إليهم كوحوش ضخمة ثقيلة. كان هناك تَوَهُّجان صامتان من الطاقة فتحلَّلَت سفينتان من السفن الصغيرة بشكل ذري قبل أن تختفي البقية.

راحت السفن الضخمة تبحث عنهم قبل أن تعود إلى مهمتها الأصلية وشبكة التطويق تستمر كوكبًا تلو الآخر.

كان زي برودريج الرسمي فخمًا، مُصمَّمًا بعناية، ويرتديه بأناقة. كان يسير على مهلٍ في حدائق كوكب «واندا» النائي الذي قد صار مقرًّا إمبراطوريًّا مؤقَّتًا، وقد اكتست ملامحه بالصرامة.

كان بِل ريوز يسير بجواره وزيُّه الميداني مفتوح عند الياقة، كئيبًا بلونه الرمادي الداكن الموحَّد.

أشار ريوز إلى المقعد الأسود الأملس تحت أشجار السرخس العطرة وأوراقها الضخمة المسطحة التي تحجب أشعة الشمس البيضاء. «انظر إلى هذا يا سيدي، إنه من بقايا الإمبراطورية، المقاعد المزخرفة المُخصَّصة للعشاق لا تزال باقية كأنها جديدة، بينما المصانع والقصور قد تهدَّمت لتصير أنقاضًا طواها النسيان».

اتَّخَذ مقعده بينما بقي سكرتير كِليون الثاني الخاص واقفًا وهو يُسقط الأوراق أعلاه بضربات دقيقة من عصاه العاجية.

عقد ريوز ساقيه ثم قدم سيجارة للآخر، قبل أن يخرج واحدة لنفسه وهو يقول: «هذا ما يتوقعه المرء من الحكمة المستنيرة لجلالة الإمبراطور، وهو أن يرسل مُراقبًا كُفءً مثلك، هذا يزيل خوفي من أن تطغى أمور أكثر أهمية وإلحاحًا على هذه الحملة الصغيرة في محيط المجرة الخارجي.

قال برودريج بنبرة جامدة: «إن أعين الإمبراطور في كل مكان. نحن لا نستهين بأهمية هذه الحملة العسكرية، ولكن يبدو أن هناك مُبالغة كبيرة في صعوبتها. بالتأكيد هذه السُّفن الصغيرة لا تمثل حاجزًا يُجبرنا على التحرك من خلاله عبر مناورة التطويق الاستباقية المُعقَّدة».

احتقن وجه ريوز بالدماء ولكنه حافظ على اتزانه وهو يقول: «لا يُمكنني المُخاطرة بأرواح رجالي الذين هم قلة بالفعل، أو بتدمير سُفني التي لا يُمكن الاستغناء عنها في هجوم متهور. سيؤدي هذا التطويق إلى تقليل خسائري إلى الربع في الهجوم النهائي مهما كانت صعوبته. لقد سمحتَ لي بالأمس أن أشرح الأسباب العسكرية لهذا».

«حسنًا، أنا لست رجلًا عسكريًّا. أنت تؤكد لي ـ في هذه الحالة ـ أن ما يبدو واضحًا وصحيحًا هو في الواقع خاطئ، سوف نسمح بهذا، ومع ذلك فأنت تُبالغ كثيرًا في حذرك. لقد طلبتَ تعزيزات في اتصالك الثاني، وهذا لمواجهة عدو صغير ضعيف بربري، دون أن يكون هناك أي اشتباك عسكري واحد معهم في ذلك الوقت، إن رغبتك في المزيد من القوات في ظل هذه الظروف قد تُشير إلى عدم الكفاءة أو ما هو أسوأ، لولا أن مسيرتك العسكرية السابقة تُقدِّم دليلًا كافيًّا على شجاعتك وسعة حيلتك».

قال الجنرال بجمود: «شكرًا لك، ولكن اسمح لي أن أُذكِّرَك أن هناك فارقًا بين الشجاعة والتهور، هناك مجال للمقامرة الحاسمة عندما تعرف عدوَّك ويكون بإمكانك أن تحسب الخسائر بشكل تقريبي على الأقل، ولكن التحرك ضد عدو مجهول هو الجرأة بعينها. يُمكنك أن تسأل نفسك أيضًا لماذا يستطيع الرجل أن يركض بأمان عبر طريق مليء بالعقبات نهارًا، بينما يتعثر في أثاث غُرفته ليلًا».

لوح برودريج بيده بلا اكتراث وقال: «هذا درامي ولكنه غير مُرضٍ، لقد ذهبتَ إلى هذا الكوكب البربري بنفسك، ولديك بالإضافة إلى هذا ذلك الأسير الذي تبالغ في تدليله. بين ما تعرفه وما يعرفه ذلك التاجر فأنت لا تسير في الظلام».

«حقًّا؟ أرجو منك أن تتذكر أن هذا الكوكب الذي قد تطوَّر في عُزلة لمدة قرنين، لا يُمكن فهمه تمامًا إلى درجة الهجوم عليه بعدها بشهر واحد. أنا جندي ولست بطلًا مفتول العضلات في فيلم إثارة هولوجرامي ثُلاثي الأبعاد. ولا يُمكن لأسير واحد وعضو صغير في جماعة اقتصادية بلا أي روابط مع كوكب العدو أن يُطلعني على كل الأسرار الداخلية لاستراتيجية العدو».

«هل استجوبته؟».

«أجل».

«وماذا بعد؟».

«لقد كان مُفيدًا، ولكن ليس بشكلٍ حيوي؛ إن سفينته صغيرة وليست ذات أهمية، إنه يبيع ألعابًا صغيرة، مُسلية وليس أكثر. لديَّ بعض من أكثرها براعة في الصنع، أعتزم أن أُرسلها إلى الإمبراطور كهدايا تذكارية. هناك جزء كبير لا أفهمه ـ بطبيعة الحال ـ حيال السفينة وطريقة عملها، ولكني لست تقنيًّا على أي حال».

قال برودريج: «ولكن لديك بين رجالك من هو كذلك».

أجابه الجنرال بنبرة خافتة مريرة: «أنا أُدرك هذا أيضًا، ولكن هؤلاء الحمقى لديهم شوط طويل ليقطعوه قبل أن يتمكنوا من تحقيق رغباتي. لقد أرسلتُ بالفعل في طلب رجال بارعين يُمكنهم فهم طبيعة عمل الدوائر النووية التي تحتوي عليها السفينة. لم أتلقَّ أيَّ جواب».

«الرجال من هذا النوع لا يُمكن الاستغناء عنهم يا جنرال، بالتأكيد هناك رجل في ولايتك الواسعة يفهم طبيعة عمل المعدات النووية».

«إن كان هناك رجل كهذا كنت سأجعله يُعالج المحركات المعطوبة التي تُشغِّل سفينتين من سفن أسطولي الصغير. سفينتان من سُفني العشرة الضئيلة لا يُمكنهما القتال في معركة كبرى بسبب نقص إمدادات الطاقة الكافية. خُمس قوتي حُكِمَ عليه بالعجز والاكتفاء بتعزيز المواقع خلف خطوط المعركة».

لوَّح السكرتير بأصابعه في نفاد صبرٍ وقال: «إن موقفك ليس فريدًا بهذا الصدد يا جنرال، فالإمبراطور لديه مشكلات مُشابهة».

ألقى الجنرال بسيجارته الممزقة التي لم يُشعلها، ثم أشعل واحدة أُخرى، وهز كتفيه قبل أن يقول: «حسنًا، هذه ليست هي النقطة المحورية، أعني هذا العجز في توفير التقنيين من الدرجة الأولى. باستثناء أنني ربما كنت قد أحرزت تقدُّمًا أكبر مع الأسير إن كان المسبار النفسي لدي في حالة أفضل».

رفع السكرتير حاجبيه وقال: «لديك مسبار؟».

«مسبار قديم، إنه عتيق، وقد خذلني في المرة الوحيدة التي احتجته فيها، لقد شغَّلته أثناء نوم السجين ولم أتلقَّ أيَّ شيء. مسبار عديم الجدوى. لقد جرَّبته على رجالي وحصلت على النتائج المتوقعة، ولكني أُكرر؛ لا يوجد بين رجالي تِقَنِيٌّ يُمكنه أن يُخبرني لماذا يفشل عند استخدامه مع الأسير. دوسِم بار ـ وهو باحث علمي متعدد المواهب، ولكنه ليس تِقَنِيًّا ـ يقول إن التركيب النفسي للأسير قد لا يتأثَّر بالمسبار لأنه منذ طفولته قد تعرَّض إلى بيئات ومحفِّزات عصبية غريبة عنَّا. أنا لا أعرف، ربما لا يزال مُفيدًا بعد، أنا أُبقيه على هذا الأمل».

مال برودريج ليتَّكئ على عصاه وقال: «سأرى إن كان هناك متخصص متاح في العاصمة. والآن ماذا عن هذا الرجل الآخر الذي ذكرته للتو، هذا السيويني؟ أنت تُبقي الكثير من الأعداء في ضيافتك».

«إنه يعرف العدو جيدًا. أنا أُبقيه هو أيضًا من أجل المشورة والمساعدة التي يُمكن أن يقدمها لي في المستقبل».

«ولكنه سيويني، وابن متمرد منبوذ».

«إنه عجوز وضعيف، وعائلته في عداد الرهائن».

«فهمت، ومع ذلك أرى أنه يجب أن أتحدث مع ذلك التاجر بنفسي».

«بالتأكيد».

أضاف السكرتير ببرود: «وحدنا».

كرر ريوز بنبرة خالية من المشاعر: «بالتأكيد. كأحد رعايا الإمبراطور المخلصين فأنا أقبل ممثله الرسمي كرئيس لي، ولكن بما أن هذا التاجر في المقر الدائم، فسيكون عليك أن تُغادر المناطق الأمامية في لحظة مثيرة».

«حقًّا؟ مثيرة على أي نحو؟».

«مثيرة لأن التطويق اكتمل اليوم، مثيرة لأنه في غضون أسبوع سيتقدم الأسطول العشرون الحدودي نحو مركز المقاومة». ثم ابتسم ريوز واستدار مُبتعدًا.

انتاب برودريج إحساس مبهم بالتشاؤم.

## الفصل السابع

# الرشوة

كان العريف موري لوك يُعد جُنديًّا مثاليًّا في صفوف الجيش، لقد جاء من كوكبٍ زراعي كبير، من عنقود بلايدس النجمي، حيث حياة الجيش هي وحدها القادرة على كسر الارتباط بالتربة وحياة الكدح التي لا تُجدي، وكان نموذجًا مثاليًّا لتلك الخلفية؛ عديم الخيال بما يكفي لكي يواجه الخطر بلا خوف، وقويًّا ورشيقًا بما يكفي ليواجهه بنجاح، يُطيع الأوامر على الفور ويقود الرجال الذين يرأسهم بلا هوادة، وكان مُعجبًا بجنراله بشكلٍ راسخ.

ورغم هذا كان ذا طبيعة متفائلة، إذا كان عليه قتل رجل أثناء تأدية واجبه فإنه يفعل هذا بلا ذرة تردد، ولكن بلا ذرة عداء أيضًا.

كان استخدامه للإشارة عند الباب قبل الدخول علامة أُخرى على لباقته، فقد كان من حقِّه تمامًا أن يدخل بدون إشارة.

نظر إليه الرجلان اللذان كانا يتناولان وجبتهما المسائية، ثم مد أحدهما يده بالقرب من قدمه ليقطع الصوت المُشَوَّش قليلًا الذي يصدر عن جهاز بث عتيق بحيوية وابتهاج.

قال لاثان ديڤرز مُتسائلًا: «المزيد من الكتب؟».

أخرج العريف لفافة ملفوفة بإحكام، ثم حكَّ عنقه وقال: «إنها ملك المهندس أُور، ويجب أن يستعيدها مُجددًا، سوف يُرسلها إلى أطفاله كهدية تذكارية».

قلَّب دوسِم بار اللفافة في يديه باهتمام وقال: «ومن أين حصل عليها هذا المهندس؟ إنه لا يملك جهاز بث أيضًا، أليس كذلك؟».

هزَّ العريف رأسه بشكلٍ قاطع، ثم أشار إلى الجهاز البالي الموضوع أرضًا بجوار السرير، وقال: «هذا هو جهاز البث الوحيد الموجود في المكان، لقد حصل أور على هذا الكتاب من أحد الكواكب القذرة التي استولينا عليها، عثر عليه في مبنى كبير واضطر لقتل بعض من سكان الكوكب الذين حاولوا منعه من أخذه».

نظر إليه وهو يُقيِّمه ثم قال: «إنه يُشكِّل هدية تذكارية جيدة... للأطفال».

ثم صمت قبل أن يقول وهو يتلفَّت حوله: «بالمناسبة هناك أخبار عظيمة تتردد في الأنحاء، إنها مجرد شائعة، ولكن حتى لو كانت كذلك فإنها أجمل من أن تُكتم؛ لقد فعلها الجنرال مُجددًا». ثم أومأ برأسه ببطء وجدية.

قال ديڤرز: «هكذا إذن؟ وما الذي فعله؟».

«أنهى التطويق، هذا كل شيء». ثم ضحك العريف في فخر أبوي وقال: «إنه شخص رائع، أليس كذلك؟ ألم يفعل الأمر ببراعة؟ أحد الرجال الذين يتحدثون بشكلٍ منمق قال إن الأمر قد جرى بيُسرٍ وسلاسة كتناغم الأفلاك، أيًّا كان ما يعنيه هذا».

سأله بار ببساطة: «هل الهجوم الكبير سيبدأ الآن؟».

أجابه العريف بشكلٍ صاخب: «آمل هذا، أُريد أن أعود إلى سفينتي الآن وقد تعافت ذراعي، لقد مللت من الجلوس على مؤخرتي هنا».

تمتم ديڤرز فجأة بشراسة: «وأنا كذلك». ثم عضَّ على شفته السُّفلى بأسنانه.

نظر العريف إليه بريبة ثم قال: «من الأفضل أن أذهب الآن، حان موعد جولة النقيب التفقدية، ومن الأفضل أن أذهب سريعًا حتى لا يُمسك بي هنا». ثم توقَّف عند الباب فجأة وقال للتاجر بخجل مرتبك: «بالمناسبة يا سيدي، لقد تلقَّيت رسالة من زوجتي، قالت إن المُجمِّد الصغير الذي أعطيته لي لأرسله لها يعمل بشكل رائع، إنه لا يُكلِّفها أي شيء وباستطاعتها الاحتفاظ بإمدادات شهر كامل من الطعام مجمدة تمامًا. أنا أشكرك على هذا».

«لا بأس، لا داعي للشكر».

ثم تحرَّك الباب الضخم بلا صوت وانغلق وراء العريف المُبتسم.

نهض دوسِم بار واقفًا من كُرسيه وقال: «حسنًا، لقد أعطانا مُقابلًا عادلًا للمُجمِّد. دعنا نُلقي نظرة على هذا الكتاب الجديد. آه، لقد مُحِيَ العنوان». ثم فتح جزءً كبيرًا من اللفافة ونظر إليه في الضوء قبل أن يُغمغم: «بحق الفضاء، إنه حديقة سوما يا ديڤرز».

قال التاجر بلا اهتمام: «هكذا إذن؟». ثم نحَّى بقايا العشاء جانبًا قبل أن يقول: «اجلس يا بار، إن الاستماع لهذا الأدب القديم لا يُفيدني بشيء. هل سمعت ما قاله العريف؟».

«أجل سمعت، ماذا عنه؟».

«الهجوم سيبدأ ونحن نجلس هنا!».

«أين تُريدنا أن نجلس؟».

«أنت تعرف ما أعنيه، لا فائدة من الانتظار».

قال بار: «حقًّا؟». كان يُخرج اللفافة القديمة من جهاز البث بحرص ويُدخل الجديدة. ثم قال: «لقد أخبرتني الكثير عن تاريخ القاعدة في الشهر الماضي، ويبدو لي أن القادة العظام في الأزمات الماضية لم يفعلوا شيئًا أكثر من مجرد الجلوس والانتظار».

«أجل يا بار ولكنهم كانوا يعرفون ما الذي يحدث».

«هل كانوا يعرفون حقًّا؟ أفترض أنهم قد قالوا هذا بعدما انتهى الأمر، وربما كانوا يعرفون حقًا، لا أستطيع أن أجزم. ولكن لا يوجد دليل على أن الأمور لم تكن لتنجح بنفس الشكل أو ربما أفضل إن كانوا لا

يعرفون إلى أين يأخذهم الأمر، إن القوى الاقتصادية والاجتماعية العميقة لا يُديرها الأفراد».

قال ديڤرز بسخرية: «لا يوجد طريقة لمعرفة إن كانت الأمور ستسير بشكلٍ أسوأ أيضًا. أنت تُجادل بشكلٍ متناقض». ثم غرقت عيناه في التفكير وقال: «أتعرف، ماذا لو قتلتُه؟».

«مَن؟ ريوز؟».

«أجل».

تنهَّد بار وقد اضطربت عيناه العجوزتان بذكريات الماضي البعيد قبل أن يقول: «الاغتيال ليس هو الحل يا ديڤرز، لقد جرَّبتُه مرَّة تحت تأثير الغضب الشديد عندما كنتُ في العشرين من عمري، ولكنه لم يحل المشكلة؛ لقد خلَّصتُ سيوينا من مجرم، ولكني لم أُخلِّصها من الأغلال الإمبراطورية، ولكن المشكلة الحقيقية كانت الأغلال الإمبراطورية وليست المُجرم».

«ولكن ريوز ليس مُجرد مُجرم يا دوك، إنه الجيش اللعين بأكمله، سوف ينهار الجيش بدونه، فهم يتشبثون به كالأطفال، ذلك العريف هناك يسيل لعابه في كل مرة يذكر فيها اسمه».

«حتى ولو، هناك جيوش أُخرى وقادة آخرون، يجب أن تذهب لأبعد من هذا، هناك برودريج على سبيل المثال، إن الإمبراطور يُنصت إليه أكثر من أي شخص آخر، إن باستطاعته أن يطلب مئات السفن بينما ريوز مُضطر لأن يُكافح باستخدام عشر سُفن فقط، لقد سمعت أخبارًا كثيرة عنه».

تلاشى بعض الإحباط من عيني التاجر وحلَّ محله الاهتمام الشديد وهو يقول: «حقًّا؟ ماذا سمعت عنه؟».

«هل تُريد الخطوط العريضة؟ إنه وغد مولود لعائلة متواضعة بلا مكانة اجتماعية، استطاع من خلال التملق الذي لا يفتر أن يدغدغ أهواء الإمبراطور، إن الطبقة الأرستقراطية في البلاط ـ الجرذان أنفسهم ـ يكرهونه لأنه لا يستطيع أن يزعم نسبه لعائلة ولا أن يكون متواضعًا؛ إنه مستشار الإمبراطور في كل شيء، ويد الإمبراطور في أسوأ الأشياء. لم يكن مخلصًا بالاختيار بل مخلصًا بالضرورة، لا يوجد في الإمبراطورية رجل في مثل خبثه في الشر وفظاظته في الملذات، وهم يقولون إنه لا يوجد وسيلة لنيل رضا الإمبراطور إلا من خلاله، ولا وسيلة لنيل رضائه هو إلا من خلال أفعال شائنة».

قال ديڤرز: «بحق الفضاء!». ثم راح يجذب لحيته المشذبة بعناية وهو غارق في التفكير، قبل أن يقول: «وهو الرجل الذي أرسله الإمبراطور إلى هنا ليُبقي عينه على ريوز. هل تعرف أن لديَّ فكرة؟».

«أعرف».

«ماذا لو أحس برودريج بالكراهية تجاه الجنرال؟».

«إنه على الأرجح يكرهه بالفعل. ليس معروفًا عنه أنه يحب الكثير من الأشياء».

«فلنفترض أنه كرهه إلى حد كبير، حينها قد يسمع الإمبراطور بالأمر ووقتها يصير ريوز في ورطة».

«على الأرجح، ولكن كيف تفترض حدوث هذا؟».

«أنا لا أعرف، أفترض أن بإمكاننا رشوته».

ضحك النبيل بهدوء وقال: «أجل بطريقة ما، ولكن ليس بالطريقة التي رشوت بها العريف، ليس باستخدام مُجمِّد صغير. وحتى إذا استطعت الوصول إلى مستواه فإن الأمر لن يستحق العناء، يمكنك على الأرجح رشوته بسهولة، ولكنه يفتقر حتى إلى الأمانة الجوهرية للاحتفاظ بوعده بعد رشوته، ليس لوقت طويل، فكِّر في شيء آخر».

وضع ديڤرز ساقه على رُكبته وراح يُحرِّك إصبع قدمه الكبير بسرعة وتوتر، قبل أن يقول: «ولكنها فكرة أولية...».

ثم صمت عندما أضاءت إشارة الباب وظهر العريف عند عتبة الباب مرة أخرى، كان منفعلًا ووجهه العريض مُحتقنًا بالدماء ومُتجهمًا.

بدأ حديثه بلهجة احترام مرتبكة وهو يقول: «أنا ممتن للغاية على المُجمِّد يا سيدي، لطالما تحدثتما إليَّ بطريقة لطيفة للغاية، رُغم أنني لست سوى ابن مزارع وأنتما سيدان عظيمان».

كانت اللهجة الإقليمية تغلب على حديثه ولم يكن من السهل فهمه. مع إحساسه بالإثارة أزاحت شخصية الفلاح بداخله شخصية الجندي التي تقمَّصها بصعوبة لوقت طويل.

قال بار بهدوء: «ما الأمر أيها العريف؟».

«اللورد برودريج قادم لرؤيتكما في الغد! أنا أعرف هذا لأن النقيب قد أخبرني بأن آمر رجالي بالاستعداد من أجل الاستعراض العسكري في الغد... من أجله. فكرت أنه من الأفضل أن أحذركما».

قال بار: «شكرًا لك أيها العريف، نحن ممتنان لهذا، ولكن لا بأس يا رجل، لا حاجة إلى...».

ولكن النظرة على وجه العريف لوك صارت خوفًا لا لَبس فيه. تحدث بهمسات خشنة قائلًا: «أنت لم تسمع القصص التي يرويها الرجال عنه، لقد باع روحه لشيطان الفضاء. لا، لا تضحك، هناك حكايات بالغة الفظاعة تُروى عنه؛ يقولون إن هناك رجال مسلحين يصحبونه في كل مكان، وعندما يرغب في التسلية يطلب منهم قتل أي شخص يواجهونه، وعندما يفعلون هذا يضحك. يقولون إنه حتى الإمبراطور يخاف منه، وإنه يُجبر الإمبراطور على رفع الضرائب، وإنه لا يجعله يُنصت إلى شكاوى الناس.

وهو يكره الجنرال، هذا ما يقولونه. يقولون إنه يرغب في قتل الجنرال، لأن الجنرال عظيم وحكيم، ولكنه لا يستطيع فعل هذا لأن جنرالنا ندٌّ لأي شخص، كما أنه يعرف أن لورد برودريج شخص سيئ».

رمش العريف بعينيه وابتسم بخجل مُفاجئ غير لائق بسبب انفعاله. ثم تراجع ناحية الباب وأومأ برأسه بعصبية قائلًا: «لا تستهينا بكلامي، احذرا منه». ثم اندفع خارجًا.

نظر ديڤرز بعينين متحمستين وقال: «إن الأمور تسير في نصابها الصحيح من تلقاء نفسها، أليس كذلك؟».

قال بار بفتور: «هذه يعتمد على برودريج، أليس كذلك؟».

ثم راح يُفكر بعُمق.

أحنى لورد برودريج رأسه وهو يخطو داخل غُرفة المعيشة الضيقة في السفينة التجارية، فلحق به على الفور حارساه بسلاحيهما المشهرين ونظرة تجهم احترافية تليق برجلين من المرتزقة.

حينها لم يكن يبدو كثيرًا على سكرتير الإمبراطور الخاص مظهر الروح الضائعة، إن كان شيطان الفضاء قد اشترى روحه فإنه لم يترك أي علامات ظاهرة على هذا الاستحواذ. بدلًا من هذا يبدو برودريج وكأنه لمسة من أناقة البلاط قد جاءت لتبث الحياة في قبح القاعدة العسكرية القاسي الجامد.

الخطوط الضيقة المحكمة لزيه اللامع الأنيق أضفت عليه مظهرًا زائفًا من الطول، وكانت عيناه الباردتان الخاليتان من المشاعر تُحدقان إلى التاجر عبر انحدار أنفه الطويل. اهتزت المجوهرات الباهظة في معصميه عندما وضع عصاه العاجية أمامه على الأرض واتكأ عليها برفق.

قال بإيماءة صغيرة: «لا، فلتبق هنا، انسَ أمر ألعابك، أنا لست مهتمًا بها».

ثم جذب كرسيًّا ونفض الغبار من عليه بحرص بقطعة القماش المربعة قزحية اللون المُثبتة في الجزء العلوي من عصاه البيضاء، قبل أن يجلس عليه.

نظر ديڤرز ناحية كُرسي مُشابه، ولكن برودريج قال بتكاسل: «ستبقى أنت واقفًا في حضرة النبيل الإمبراطوري». ثم ابتسم.

هزَّ ديڤرز كتفيه وقال: «إن لم تكن مهتمًّا ببضاعتي فلمَ أنا هنا؟».

انتظر السكرتير ببرود فأضاف ديڤرز ببطء: «يا سيدي».

قال السكرتير: «من أجل الخصوصية. هل تظن أنني سأقطع مئتي فرسخ في الفضاء لأتفحص بعض الحلي الرخيصة؟ إنه أنت من أُريد رؤيته». ثم أخرج قُرصًا ورديًّا من صندوق مزخرف ووضعه بحرص بين أسنانه وراح يمتصه ببطء وإعجاب.

قال: «على سبيل المثال؛ من أنت؟ هل أنت حقًّا مواطن من ذلك الكوكب البربري الذي يصنع كل هذه الفوضى من الجنون العسكري؟».

أومأ ديڤرز برأسه متوجسًا.

«وهل تعرَّضت حقًّا للأسر على يده في بداية هذه المشاجرة التي يُسميها حربًا؟ أنا أُشير إلى جنرالنا الشاب».

أومأ ديڤرز برأسه مُجددًا.

«حسنًا يا صديقي الأجنبي، أرى أن إتقانك للحديث ضعيف للغاية، سأُسهل الأمر عليك. يبدو لي أن جنرالنا هنا يخوض حربًا تبدو عبثية مستخدمًا كميات مُخيفة من الطاقة، وهذا في مواجهة كوكب ضئيل مقفر في مكانٍ ناءٍ، سيبدو لأي رجل عقلاني أنه لا يستحق طلقة بندقية واحدة. ومع ذلك فإن الجنرال ليس غير عقلاني، بل على النقيض تمامًا، يُمكنني أن أقول إنه ذكي للغاية. هل تفهمني؟».

«لا يُمكنني أن أقول إنني أفهمك يا سيدي».

تأمل السكرتير أظافره ثم قال: «اسمعني إذن، إن الجنرال لن يُبدد رجاله وسُفنه من أجل مجد عقيم. أنا أعرف أنه يتحدث عن المجد وشرف الإمبراطورية، ولكن من الواضح تمامًا أنه لا يستطيع إخفاء تظاهره بأنه أحد أنصاف الآلهة اللعينة من زمن البطولات. هناك شيء أكبر من المجد يسعى إليه... وهو يعتني بك بشكل غريب غير ضروري، إن كنت أسيرًا لديَّ وأخبرتني بأشياء عديمة النفع كتلك التي أخبرت الجنرال بها، كنت سأبقر بطنك وأشنقك بأمعائك».

بقي ديڤرز ثابتًا ولكن عينيه تحركتا حركة ضئيلة؛ أولًا إلى أحد مرتزقة السكرتير ثم إلى الآخر. كانتا متحفزتين بحماس.

ابتسم السكرتير وقال: «حسنًا إذن، أنت شيطان صامت، وفقًا للجنرال فإن المسبار النفسي ذاته لم يُعطِ أي نتيجة، وهذا كان خطأً من جانبه بالمناسبة، لأنه أقنعني أن جنرالنا المتحمس كاذب». بدا عليه أنه يستمتع بالأمر. «يا تاجري العزيز أنا لديَّ مسبار نفسي خاص بي سيُناسبك أنت خصوصًا. هل ترى هذا...».

كان يُمسك بين إبهامه وسبابته بلا اكتراث بتصميم معقد من المستطيلات الوردية الصفراء، التي كانت طبيعتها واضحة للغاية.

قال ديڤرز: «يبدو أنها نقود».

«إنها نقود بالفعل، وأفضل نقود في الإمبراطورية، فإن إقطاعياتي تدعمها، وهي أكثر اتساعًا من إقطاعيات الإمبراطور ذاته. مئة ألف نقطة من الرصيد. كلها هنا! بين إصبعيّ! من أجلك!».

«من أجل ماذا يا سيدي؟ أنا تاجر بارع ولكن كل الصفقات التجارية تُفيد الطرفين».

«من أجل ماذا؟ من أجل الحقيقة! ما الذي يسعى إليه الجنرال؟ لماذا يخوض هذه الحرب؟».

تنهَّد لاثان ديڤرز، ثم راح يُداعب لحيته مُفكرًا.

«ما الذي يسعى إليه الجنرال؟». كانت عيناه تتابعان حركة يديّ السكرتير وهو يعد النقود واحدة تلو الأُخرى ببطء. «باختصار، الإمبراطورية».

«كم هذا تقليدي! دائمًا ما يتعلق الأمر بهذا في النهاية. ولكن كيف؟ ما هو الطريق الواسع المُمَهَّد الذي يؤدي من حافة المجرة إلى ذروة الإمبراطورية؟».

قال ديڤرز بمرارة: «القاعدة لديها أسرار، لديها كتب، كتب قديمة، قديمة للغاية، حتى إن اللغة التي كُتبت بها ليست معروفة إلا لعدد قليل من النُّخبة. ولكن هذه الأسرار مُحاطة بالدين والطقوس، ولا يُمكن لأحد أن يستخدمها، لقد حاولت مرة وها أنا ذا، وهنالك حُكم بالإعدام ينتظرني هناك».

«فهمت. وما هذه الأسرار القديمة؟ بحقك يا رجل، أنا أستحق التفاصيل الدقيقة مُقابل مئة ألف».

قال ديڤرز باقتضاب: «تحويل العناصر الطبيعية».

ضاقت عينا السكرتير وفقدتا بعضًا من لا مبالاتهما، ثم قال: «لقد قيل لي إن التحويل العملي هو أمر مستحيل بموجب القوانين النووية».

«هذا في حالة استخدام القوى النووية، ولكن القدماء كانوا أذكياء، هناك مصادر طاقة أكبر من النواة وأكثر جوهرية. القاعدة استخدمت هذه المصادر كما أشرت...».

أحسَّ ديفرز بإحساس ناعم زاحف في معدته، كان الطعم يتدلى، وكانت السمكة تمد فمها له.

قال السكرتير فجأة: «أكمل، أنا واثق أن الجنرال يعرف كل هذا، ولكن ما الذي ينوي فعله بمجرد الانتهاء من هذه المسرحية الهزلية؟».

أبقى ديفرز صوته ثابتًا وهو يقول: «بتحويل العناصر الطبيعية فإنه يتحكم في اقتصاد إمبراطوريتك بالكامل، إن القيمة النقدية للمعادن لن تساوي شيئًا عندما يتمكن ريوز من تحويل الألمونيوم إلى تُنجستِن والحديد إلى إريديوم، نظام الإنتاج الذي يعتمد على نُدرة بعض العناصر الطبيعية ووفرة بعض العناصر الأُخرى سوف ينهار تمامًا، سوف يكون أكبر تخلخل تشهده الإمبراطورية على الإطلاق، وسوف يكون ريوز وحده القادر على إيقافه. وهناك مسألة هذه القوى الجديدة التي ذكرتُها، والتي لن يمنع ريوز عن استخدامها أي رادع ديني.

لا يوجد شيء يُمكن أن يوقفه الآن، لقد أحكم الخناق حول القاعدة، وما إن ينتهي منها سيصير إمبراطورًا في غضون عامين».

ضحك برودريج باستخفاف وقال: «تحويل الحديد إلى إريديوم إذن، هذا ما قلتَه، أليس كذلك؟ حسنًا سأُخبرك بسر من أسرار الدولة، هل تعرف أن القاعدة قد تواصلت بالفعل مع الجنرال؟».

انتصب الشعر في مؤخرة عنق ديفرز.

«أنت تبدو متفاجئًا، ولمَ لا؟ يبدو هذا منطقيًّا الآن، لقد عرضوا عليه مئة طن من الإريديوم سنويًّا مقابل السلام. لقد حولوا أطنان من الحديد إلى الإريديوم في انتهاك لمبادئهم الدينية لإنقاذ أعناقهم. هذا مُقابل عادل، ولكن لا عجب أن جنرالنا النزيه قد رفض، فبإمكانه أن يحصل على الإريديوم والإمبراطورية أيضًا، وكِليون المسكين يقول عنه إنه جنراله المخلص. لقد استحققت هذا المال أيها التاجر العزيز».

ثم ألقى بالمال فاندفع ديفرز وراء الأوراق المتطايرة.

وقف لورد برودريج عند الباب ثم التفت وقال: «هناك شيء يجب أن تتذكره أيها التاجر، إن هؤلاء الرجال المسلحين ليس لديهم آذان وُسطى ولا ألسنة ولا تعليم ولا ذكاء، إنهم لا يستطيعون السماع ولا الحديث ولا الكتابة، ولا يستطيع المسبار النفسي أن يستخرج منهم أي شيء. ولكنهم خبراء للغاية في عمليات الإعدام المثيرة للاهتمام. لقد اشتريتك بمئة ألف نقطة رصيد يا رجل، ستكون بضاعة جيدة تستحق ثمنها، ولكن إذا نسيت أنني قد اشتريتك في أي وقت وحاولت أن... تقول... أن تنقل مُحادثتنا إلى ريوز، فسوف آمر بإعدامك، بطريقتي الخاصة».

وفي هذا الوجه الرقيق ظهرت فجأة خطوط من القسوة الشرهة غيَّرت ابتسامته المدروسة إلى ابتسامة وحشية. للحظة عابرة رأى ديڤرز هذا الشيطان الفضائي الذي قد اشترى روح مشتريه يطل من عينيه.

وفي صمت سار أمام رجلي برودريج وهما يدفعانه بسلاحيهما إلى غُرفته.

قال مجيبًا سؤال دوسِم بار برضا شديد: «لا، هذا هو الجزء الأكثر غرابة في الأمر، هو من رشاني».

شهران من الحرب الشاقة قد تركا أثرهما على بِل ريوز. كان هناك هالة من الوجوم الصارم تُحيط به وصار سريع الغضب.

قال في نفاد صبر مُخاطبًا العريف لوك: «انتظر بالخارج أيها الجندي، وأعِد هذين الرجلين إلى غُرفتهما بعدما أنتهي. غير مسموح لأحد أن يدخل حتى أنادي. لا أحد على الإطلاق هل تفهم؟».

أدى العريف التحية العسكرية بصرامة ثم خرج من الغرفة، فغمغم ريوز باشمئزاز وهو يُمسك بالأوراق الموجودة على مكتبه ويُلقي بها في الدرج العلوي قبل أن يُغلقه بقوة.

قال على الفور للرجلين المنتظرين: «اجلسا، ليس لديَّ الكثير من الوقت. في الواقع لم يكن يجب أن أكون هنا على الإطلاق، ولكن كان من الضروري رؤيتكما».

ثم التفت إلى دوسِم بار، الذي كانت أصابعه تُداعب باهتمام المكعب البلوري الذي يحتوي على صورة تُحاكي وجه الإمبراطور صاحب الجلالة كِليون الثاني الحاد الصارم.

قال الجنرال: «في المقام الأول أيها النبيل فإن سيلدون هذا يخسر، من المؤكد أنه يُقاتل جيدًا، فهؤلاء الرجال من القاعدة يتدفقون كنحل طائش ويقاتلون كالمجانين، كل كوكب يدافعون عنه بشراسة، وبمجرد الاستيلاء عليه يموج بالتمرد ويكون من الصعب الحفاظ على احتلاله، ولكن هذه الكواكب قد استولينا عليها وحافظنا على احتلالها بالفعل. سيلدون يخسر».

تمتم بار قائلًا بتهذيب: «ولكنه لم يخسر بعد».

«القاعدة ذاتها أقل تفاؤلًا منك، إنهم يعرضون عليَّ الملايين حتى لا أضع سيلدون هذا في الاختبار النهائي».

«هذا ما تقوله الشائعات».

«آه، هل تسبقني الشائعات؟ هل يثرثرون أيضًا عن آخر الأحداث؟».

«وما هي آخر الأحداث؟».

«أن اللورد برودريج قرة عين الإمبراطور، هو الآن نائبي بناءً على طلبه».

تحدَّث ديڤرز للمرة الأولى قائلًا: «بناءً على طلبه يا زعيم؟ كيف هذا؟ أم أنك قد بدأت تعجب بهذا الرجل؟».

قال ريوز بهدوء: «لا، لا يُمكنني أن أقول إنني أُعجبت به، الأمر فقط هو أنه اشترى المنصب بما أعتبره ثمنًا عادلًا ومناسبًا»

«مثل؟».

«مثل طلب التعزيزات من الإمبراطور».

اتسعت ابتسامة ديڤرز الساخرة وقال: «لقد تواصل مع الإمبراطور إذن؟ وأفهم من هذا أنك فقط تنتظر هذه التعزيزات التي ستأتي في أي يوم. أليس كذلك يا زعيم؟».

«خطأ، لقد وصلت بالفعل، خمس سفن حربية مصقولة وقوية، مع رسالة تهنئة شخصية من الإمبراطور، والمزيد من السفن في الطريق». ثم سأله بسخرية: «ما الخطب أيها التاجر؟».

تحدث ديڤرز من بين شفتين قد تجمدتا فجأة قائلًا: «لا شيء!».

اعتدل ريوز واقفًا فجأة من وراء مكتبه وواجه التاجر واضعًا يده على مقبض مسدسه.

«قلت ما الخطب أيها التاجر، يبدو أن الأخبار قد أزعجتك. بالتأكيد ليس لديك أي اهتمام مفاجئ بالقاعدة».

«ليس لدي».

«بلى، هناك نقاط غريبة حيالك».

ابتسم ديڤرز ابتسامة شاحبة وقد كوَّر قبضتيه في جيبيه قائلًا: «حقًّا يا زعيم؟ فلتخبرني بها إذن وسوف أفندها من أجلك».

«ها هي ذا؛ لقد ألقي القبض عليك بسهولة، واستسلمت مع الضربة الأولى مع درع مكتمل الطاقة، وكنت مستعدًّا تمامًا للتخلي عن عالمك وبدون ثمن، هذا كله مثير للاهتمام أليس كذلك؟».

«أنا لا أرغب إلا في أن أكون في الجانب الرابح يا زعيم. أنا رجل عقلاني، لقد قلت هذا بنفسك».

قال ريوز بصرامة: «بالفعل! ولكن لم يُلقَ القبض على أي تاجر آخر منذ ذلك الوقت. لا توجد سفينة تجارية إلا وكانت سريعة بما يكفي للهرب عند الحاجة. لا توجد سفينة تجارية إلا ولديها درع يُمكنه تلقي كل الضربات التي توجهها إليها سفينة حربية صغيرة، في حال أن اختارت القتال. لا يوجد تاجر إلا ويقاتل حتى الموت إذا اقتضت الضرورة. إن التجار يمثلون القادة ومسعري حرب المقاومة في الكواكب المحتلة، وهم وراء الغارات الجوية في الفضاء المحتل.

هل أنت الرجل العقلاني الوحيد إذن؟ أنت لم تُقاتل ولم تهرب، ولكنك تحولت إلى خائن بدون ضغط، أنت فريد، فريد بشكل مثير للدهشة... في الواقع فريد بشكل مثير للريبة».

قال ديڤرز بهدوء: «أنا أفهم ما ترمي إليه، ولكنك لا تملك أي دليل يُدينني. أنا هنا منذ ستة أشهر وكنت فتى مطيعًا طيلة الوقت».

«لقد كنت كذلك بالفعل ولقد كافأتك بالمعاملة الحسنة؛ لقد تركت سفينتك وشأنها وعاملتك بكل احترام، ولكنك لم تقدم ما يكفي، يُمكنك على سبيل المثال أن تُخبرنا ببعض المعلومات عن معداتك، هذا

سيكون مُفيدًا. يبدو أن المبادئ النووية التي بُنيت على أساسها مُستخدَمة في بعضٍ من أكثر أسلحة القاعدة شراسة، أليس هذا صحيحًا؟».

لم يكن هناك إجابة فأكمل قائلًا: «وسوف يكون هناك المزيد من الأدلة المباشرة، فقد أحضرت معي المسبار النفسي، لقد فشل مرة من قبل ولكن الاتصال مع العدو يعلم المرء الكثير».

كان صوته يحمل نبرة تهديد ناعمة، وأحس ديڤرز بسلاح ينغرس بقوة في حجابه الحاجز؛ سلاح الجنرال الذي كان حتى هذه اللحظة في غمده.

قال الجنرال بهدوء: «سوف تُزيل السوار من على معصمك، وأي حلية معدنية أُخرى ترتديها، وتعطيها لي. ببطء! الحقول الذرية يُمكن التشويش عليها، والمسبار النفسي يُمكنه أن يعمل فقط في حالة استاتيكية. هذا صحيح، سوف آخذه».

توهج جهاز الاستقبال على مكتب الجنرال بلون أحمر، ثم ظهرت كبسولة رسالة في الفتحة المخصصة لها، وبالقرب منها كان بار لا يزال يقف ساكنًا وهو يُمسك بتمثال الإمبراطور النصفي ثلاثي الأبعاد.

خطا ريوز وراء مكتبه وهو يُمسك بمسدسه في وضع الاستعداد، ثم قال لبار: «أنت أيضًا أيها النبيل، إن سوار معصمك يُدينك، لقد كنت مفيدًا طيلة الوقت السابق، وأنا لست انتقاميًّا، ولكني سأحكم على مصير عائلتك الرهينة لدي بناءً على نتائج المسبار».

وبينما ريوز يميل ليأخذ كبسولة الرسالة رفع بار تمثال كِليون المُغلَّف بالكريستال وهوى به بهدوء وبحركة ممنهجة على رأس الجنرال.

لقد حدث الأمر فجأة وبسرعة خاطفة حتى إن ديڤرز لم يجد وقتًا لكي يشهق، لقد بدا الأمر وكأن شيطانًا قد نما فجأة بداخل العجوز.

قال بار هامسًا وهو يجز على أسنانه: «اخرج! بسرعة!». ثم أمسك بمسدس ريوز الذي سقط أرضًا وخبَّأه في قميصه.

التفت العريف لوك إليهما وهما يخرجان من فرجة ضئيلة في الباب.

قال بار ببساطة: «فلتقتدنا أيها العريف».

أغلق ديڤرز الباب وراءهم.

اقتادهما العريف لوك في صمت إلى غُرفتهما، ثم توقَّف لوهلة قبل أن يُكمل الطريق إلى الأمام، فقد كان هناك وكزة فوهة مسدس بين ضلوعه، وسمع صوتًا في أذنيه يقول: «إلى السفينة التجارية».

خطا ديڤرز إلى الأمام ليفتح باب غُرفة معادلة الضغط، بينما بار يقول: «فلتقف حيث أنت يا لوك، لقد كنت رجلًا صالحًا ونحن لن نقتلك».

ولكن العريف رأى الشعار المحفور على المسدس فصاح بصوت غاضب مختنق: «لقد قتلتما الجنرال!».

وبصراخ جامح غير مفهوم هجم بشكل أعمى في وجه دفقات المسدس الضارية فسقط جثة هامدة.

ارتفعت السفينة التجارية فوق الكوكب الميت قبل أن تومض أضواء الإشارة بشكل مخيف، وأمام العدسة الشبكية العظيمة في السماء التي تُمثل المجرة ارتفعت أشكال سوداء أُخرى.

قال ديڤرز بوجوم: «تشبَّث جيدًا يا بار، ودعنا نرى إن كان لديهم سفينة يُمكنها أن تُجاري سُرعتي».

كان يعرف أنه ليس لديهم واحدة، وما إن صارا في الفضاء المفتوح حتى بدا صوت التاجر ضائعًا وخاليًا من المشاعر وهو يقول: «إن الطعم الذي ألقيته إلى برودريج كان جيدًا أكثر من اللازم، يبدو أنه قد انضم إلى الجنرال».

وبسرعة كبيرة اندفعا عبر أعماق الكتلة النجمية التي تُمثل المجرة.

## الفصل الثامن

# إلى ترانتور

كان ديفرز منحنيًا فوق كرة صغيرة ميتة يبحث عن أثر ضئيل للحياة، بينما أجهزة التحكم التوجيهية تفتش الفضاء ببطء وحرص عن طريق حزم الإشارة الدقيقة المتقطعة.

كان بار يُراقبه بصبر وهو يجلس على فراش صغير في الركن ثم سأله: «ألم يعد هناك أدنى أثر لهم؟».

قال التاجر مزمجرًا في نفاد صبر واضح: «رجال الإمبراطورية؟ لا، لقد أفلتنا من هؤلاء الحمقى منذ وقت طويل. بحق الفضاء! من حسن حظنا أننا لم نهبط في قلب أحد النجوم مع القفزات العمياء التي قطعناها عبر الفضاء الفائق. لم يكن بإمكانهم أن يتعقبونا حتى لو كان لديهم نطاق أوسع منا، وهو ما ليس لديهم».

ثم جلس وهو يحل ياقته بحركة عنيفة قبل أن يقول: «أنا لا أعرف ما الذي فعله رجال الإمبراطورية هؤلاء هنا. أعتقد أن هناك بعض الفجوات غير المتناسقة».

«أفهم من هذا إذن أنك تحاول الوصول إلى القاعدة».

«أنا أتصل بالرابطة، أو أحاول ذلك».

«الرابطة؟ من هؤلاء؟».

«رابطة التجار الأحرار. أنت لم تسمع بهم إذن؟ حسنًا، لست وحدك، نحن لم نصنع الكثير من الضجيج بعد!».

ساد الصمت لبعض الوقت حول مؤشر الاستقبال غير المستجيب، ثم قال بار: «هل أنت داخل النطاق؟».

«لا أعرف، ليس لدي سوى فكرة مبهمة عن المكان الذي نحن فيه بناءً على التقدير الاستدلالي. لهذا يجب أن أستخدم أجهزة التحكم التوجيهية. قد يستغرق الأمر سنوات».

قال بار مشيرًا إلى مؤشر الاستقبال: «هل يُمكن؟».

فقفز ديفرز من موضعه وعدَّل سماعات أذنه. كان هناك نقطة صغيرة بيضاء متوهجة داخل الكرة الصغيرة المظلمة، لنصف ساعة راح ديفرز يعتني بخيط الاتصال الهش المتحسس الذي وصل عبر الفضاء الفائق ليربط بين نقطتين سيستغرق الضوء ـ البطيء نسبيًّا ـ خمسمئة عام لربطهما معًا.

ثم تراجع إلى الوراء جالسًا في يأس، قبل أن يرفع رأسه ويدفع سماعات الأذن إلى الوراء قائلًا: «دعنا نأكل يا دوك. هناك مقصورة استحمام يُمكنك استخدامها إذا أردت، ولكن لا تسرف في استخدام الماء الساخن».

ثم جلس أمام واحدة من الخزانات التي تصطف على أحد الجدران وراح يفتش في محتوياتها قبل أن يقول: «آمل أنك لست نباتيًّا؟».

قال بار: «أنا آكل النباتات واللحوم على حد سواء. ولكن ماذا عن الرابطة؟ هل فقدت الاتصال بهم؟».

«يبدو هذا، إنه نطاق كبير للغاية، أكبر من اللازم، ولكن هذا لا يهم، لقد وضعت هذا في الحسبان».

ثم اعتدل واقفًا ووضع حاويتين معدنيتين على الطاولة، قبل أن يقول: «فلتمهلها خمس دقائق يا دوك، ثم افتحها بالضغط على هذا الزر، سوف تصير طبقًا وطعامًا وشوكة. إنها عملية بعض الشيء في حال أن كنت مستعجلًا، ولم تكن مهتمًّا بالأشياء الجانبية مثل المناديل. أفترض أنك تريد أن تعرف ما الذي أخبرتني به الرابطة».

«إن لم يكن سرًّا».

هزَّ ديفرز رأسه وقال: «ليس بالنسبة لك، ما قاله ريوز كان صحيحًا».

«عن عرض تقديم الجزية؟».

«أجل، لقد عرضوا الأمر، ورُفض. الأمور تجري على نحو سيئ. هناك معركة في شموس لوريس الخارجية».

«لوريس قريبة من القاعدة؟».

«ماذا؟ أوه أنت لا تعرف هذا. إنها واحدة من الممالك الأربعة الأصلية، يُمكن أن تُسميها جزءً من خط الدفاع الخارجي. هذا ليس أسوأ ما في الأمر. إنهم يقاتلون سفنًا ضخمة لم يسبق لهم مواجهتها من قبل، مما يعني أن ريوز لم يكن يخدعنا، لقد تلقَّى المزيد من السفن، لقد غيَّر برودريج ولاءه. لقد أفسدتُ الأمور».

كانت عيناه متجهمتين وهو يضغط على زر حاوية الطعام ويُراقبها تنفتح بشكل متقن. تصاعد البخار من الطبق الشبيه باليخنة، وملأت رائحته الغُرفة. بدأ دوسم بار في تناول الطعام على الفور.

قال بار: «ليس هناك مجال للارتجال إذن. لا يُمكننا فعل أي شيء هنا، لا يُمكننا أن نقطع الخطوط الإمبراطورية للعودة إلى القاعدة، لا يُمكننا أن نفعل شيئًا سوى الشيء العقلاني الوحيد، وهو الانتظار بصبر، ولكن إن كان ريوز قد وصل إلى الخط الداخلي فأنا على ثقة أن انتظارنا لن يطول كثيرًا».

وضع ديفرز شوكته جانبًا ثم قال بسخرية مريرة: «الانتظار، أليس كذلك؟ هذا مناسب لك، فليس لديك شيء على المحك».

ابتسم بار ابتسامة شاحبة وقال: «أليس لديَّ حقًّا؟».

ظهر الغضب على ملامح ديفرز وهو يقول: «لا، لقد سئمت حقًا من النظر إلى هذا الأمر كله كما لو كان شيئًا ما مثيرًا للاهتمام على شريحة ميكروسكوب. لديَّ أصدقاء في مكان ما يموتون، وعالم بالكامل هناك، وطني، إنه يموت أيضًا، أنت مجرد غريب. أنت لا تعرف».

وضع العجوز يديه بضعف في حجره، وقد أغمض عينيه قائلًا: «لقد رأيت أصدقاء يموتون. هل أنت متزوج؟».

قال ديفرز: «التجار لا يتزوجون».

«حسنًا، أنا لديَّ ابنان وابن أخ، لقد تم تحذيرهم ولكنهم لأسباب ما لم يتمكنوا من التصرف. إن هربنا سيعني موتهم. آمل أن ابنتي وحفيديّ قد غادروا الكوكب بأمان قبل حدوث هذا، ولكن حتى مع استثنائهم فأنا بالفعل قد غامرت وخسرت أكثر منك».

قال ديڤرز بقسوة: «أنا أعرف، ولكن الأمر كان مسألة اختيار، كان يُمكنك أن تتعاون مع ريوز، أنا لم أطلب منك قط أن ...».

هز بار رأسه وقال: «لم تكن مسألة اختيار يا ديڤرز، فلترح ضميرك، أنا لم أُخاطر بأبنائي من أجلك، لقد تعاونت مع ريوز قدر ما جرؤت، ولكن كان هناك المسبار النفسي».

فتح النبيل السيويني عينيه، كان بهما ألم حاد، ثم قال: «لقد جاء ريوز إليَّ ذات مرة، كان هذا منذ أكثر من عام، تحدَّث عن جماعة دينية متمحورة حول السحرة، ولكنه قد غفل عن الحقيقة، إنها ليست جماعة دينية. لقد مرَّ أربعون عامًا حتى الآن، منذ أن سقطت سيوينا في نفس القبضة الحديدية التي تُهدد عالمك، خمس ثورات قد أُخمِدت، ثم اكتشفتُ السجلات القديمة لهاري سيلدون، والآن هذه العقيدة تنتظر.

إنها تنتظر مجيء السحرة وهي مستعدة من أجل هذا اليوم. أبنائي هم قادة هؤلاء الذين ينتظرون، هذا هو السر الموجود في عقلي، السر الذي لا يجب أن يلمسه المسبار أبدًا. ولهذا يجب أن يموتوا كرهائن، فإن البديل هو موتهم كمتمردين، وموت نصف سيوينا معهم. لم يكن لديَّ خيار كما ترى! وأنا لست غريبًا».

أطرق ديڤرز بعينيه فأكمل بار بهدوء: «إن آمال سيوينا تنعقد على انتصار القاعدة، يجب أن أُضحي بأبنائي من أجل انتصار القاعدة. وهاري سيلدون لا يضع في حساباته المسبقة الخلاص الحتمي لسيوينا، كما يفعل مع القاعدة، لذا ليس لدي أي يقين في مصير قومي، بل هو مجرد أمل».

«ولكنك لا تزال قانعًا بالانتظار، حتى مع وجود الأسطول الإمبراطوري في لوريس».

قال بار ببساطة: «سأنتظر في ثقة تامة حتى ولو هبطوا على كوكب تيرمينوس ذاته».

عقد التاجر حاجبيه في يأس وقال: «لا أعلم، لا يمكن أن تجري الأمور حقًّا على هذا النحو، ليس كأنما هو سحر، سواء كان تاريخًا نفسيًّا أم لا، فهم أقوياء بشكل رهيب ونحن ضعفاء، ما الذي يُمكن أن يفعله سيلدون حيال الأمر؟».

«لا يوجد شيء لفعله، كل شيء قد جرى بالفعل، إنه يمضي قدمًا الآن، فقط لأنك لا تسمع دوران العجلات وقرع الطبول فهذا لا يعني أن الأمر أقل يقينًا».

«ربما، ولكني كنت آمل لو أنك قد كسرت جمجمة ريوز لنتخلص منه إلى الأبد، إنه العدو حقًّا أكثر من كل جيشه».

قال بار: «أكسر جمجمته؟ بينما برودريج هو الرجل الثاني في القيادة بعده؟». ثم امتلأ وجهه بالكراهية وقال: «كانت سيوينا كلها ستصير رهينة بسببي، لقد كشف برودريج عن وجهه الحقيقي منذ زمن طويل، لقد كان هناك كوكب منذ خمسة أعوام خسر واحدًا من كل عشرة ذكور، ببساطة بسبب عدم وفائهم

بالضرائب المستحقة. كان برودريج هذا نفسه هو جامع الضرائب. لا، من الأفضل أن يعيش ريوز، إن ما يفرضه من عقوبة سيكون رحمة مقارنة بالآخر».

ضم ديڤرز كفيه بقوة حتى ابيضت مفاصل أصابعه وقال: «ولكن ستة أشهر، ستة أشهر في قاعدة العدو، دون أن نجني شيئًا على الإطلاق».

قال بار: «مهلًا، لقد ذكَّرتني الآن». ثم راح يفتش في حقيبته قبل أن يقول: «ربما يجب عليك أن تضع هذه في الحسبان». ثم ألقى بكرة معدنية صغيرة على الطاولة.

التقطها ديڤرز على الفور وهو يقول: «ما هذا؟».

«كبسولة الرسالة التي تلقَّاها ريوز قبل أن أضربه على رأسه، هل تُحتَسب هذه كشيء ذي قيمة؟».

جلس ديڤرز وراح يُقلبها في يده بحرص ثم قال: «لا أعرف، هذا يعتمد على ما يوجد فيها».

عندما خرج بار بامتنان من الحمام البارد إلى تيار مجفف الهواء الدافئ وجد ديڤرز يجلس بصمت واستغراق عند طاولة العمل.

ضرب السيويني على ظهره بقوة وقال بصوت يعلو على صوت الطرق: «ما الذي تفعله؟».

نظر ديڤرز إليه وقطرات العرق تتلألأ في لحيته ثم قال: «سأفتح هذه الكبسولة».

قال السيويني بصوت متفاجئ بعض الشيء: «هل يُمكنك فتحها بدون بصمة ريوز الشخصية؟».

«إن لم أستطع فسأستقيل من الرابطة ولن أقود سفينة أبدًا ما تبقى من عُمري، لقد حصلت على تحليل إلكتروني ثلاثي الأبعاد، ولدي منشار صغير لم تسمع به الإمبراطورية من قبل، مخصص لفتح الكبسولات عنوة. لقد كنت لصًّا من قبل، والتاجر يجب أن يعرف شيئًا عن كل شيء».

ثم انحنى فوق الكرة الصغيرة بينما أداة صغيرة تحاول الاختراق بحركة دقيقة وتطلق شرارًا أحمر عند كل احتكاك.

قال: «هذه الكبسولة هي شيء بدائي على أي حال. إن رجال الإمبراطورية هؤلاء ليسوا بارعين في العمل على هذه الأشياء الصغيرة. هل رأيت كبسولات القاعدة من قبل؟ إنها نصف الحجم، ومنيعة ضد التحليل الإلكتروني في المقام الأول».

ثم تصلَّب جسده وانتفخت عضلات كتفه أسفل ردائه بشكل واضح، بينما مسباره الصغير يشق طريقه ببطء...

ثم انفتحت في صمت، فاسترخى ديڤرز وتنهَّد. كانت الكرة اللامعة في يده ورسالتها مفرودة كلسان من الورق.

قال: «إنها من برودريج». ثم أضاف بازدراء: «إن مادة الرسالة ثابتة، في كبسولات القاعدة كانت الرسالة ستتأكسد وتتحول إلى غاز في غضون دقيقة».

ولكن دوسِم بار أشار له بيده كي يصمت، وقرأ الرسالة بسرعة.

مِن: آميل برودريج، المبعوث الاستثنائي لجلالة الملك، والسكرتير الخاص للبلاط، وعضو مجلس اللوردات.

إلى: بِل ريوز، الحاكم العسكري لسيوينا، وجنرال القوات الإمبراطورية، وعضو مجلس اللوردات. تحيتي إليك.

الكوكب رقم 1120 لم يعد يقاوم. خطط الهجوم المرسومة مستمرة بسلاسة. العدو يضعف بشكل واضح، والهدف النهائي سوف يتحقق بالتأكيد.

رفع بار رأسه عن الكتابة شبه الميكروسكوبية وقال: «هذا الأحمق! هذا المأفون اللعين! أهذه رسالة؟».

قال ديفرز بخيبة أمل: «ماذا؟».

صاح بار: «إنها لا تقول شيئًا، إن رجل البلاط المتملق هذا يلعب بالجنرال الآن. في ظل عدم وجود ريوز يصبح هو القائد الميداني. إنه يُرضي غروره بإرسال هذه التقارير المتباهية المتعلِّقة بالشئون العسكرية التي لا علاقة له بها. الكوكب الفُلاني لم يعد يقاوم، الهجوم مستمر، العدو يضعف. هذا المتباهي الأبله».

«حسنًا، انتظر لحظة، مهلًا...».

أدار العجوز ظهره بازدراء وقال: «ألقِ بها بعيدًا، المجرة وحدها تعرف أني لم أتوقع أن تكون شيئًا بالغ الأهمية، ولكن في زمن الحرب من المعقول أن تفترض أن عدم تسليم أكثر الأوامر روتينية قد يعيق التقدم العسكري ويؤدي إلى تعقيدات لاحقة. ولكن هذه! كان من الأفضل تركها، كان من الممكن أن تضيع دقيقة من وقت ريوز سيستغلها الآن في شيء أكثر أهمية».

ولكن ديفرز اعتدل واقفًا وقال: «هل يُمكنك أن تتماسك وتتوقف عن الحديث لبعض الوقت؟ بحق سيلدون...».

ثم وضع الرسالة الفضية أمام أنف بار وقال: «والآن اقرأها مُجددًا، ما الذي يعنيه بالهدف النهائي؟».

«غزو القاعدة. ومن ثم؟».

«حقًّا، وربما يعني غزو الإمبراطورية. أنت تعرف أنه يعتقد أن هذا هو الهدف النهائي».

«وماذا إن كان يعتقد هذا؟».

اختفت ابتسامة ديفرز الجانبية في لحيته وقال: «إن كان يعتقد! حسنًا، راقب إذن وسأريك».

وبحركة من إصبعه أعاد ورقة الرسالة المكتوبة بحروف أنيقة إلى فتحتها، وبنقرة صغيرة التحمت الكرة وصارت ملساء دون أدنى أثرٍ لفتحها عنوة. في مكان ما بداخلها كان هناك صوت أزيز زيتي لأجهزة التحكم أثناء تغير موضعها في حركات عشوائية.

«ليس هناك طريقة معروفة لأي شخص لفتح هذه الكبسولة بدون معرفة بصمة ريوز الخاصة، أليس كذلك؟».

قال بار: «بالنسبة للإمبراطورية، لا».

«إذن فالأدلة التي تحتوي عليها غير معروفة لنا وموثوق بها تمامًا».

قال بار: «بالنسبة للإمبراطورية، نعم».

«والإمبراطور يُمكنه أن يفتحها، أليس كذلك؟ لا شك أنه يحتفظ ببصمات المسؤولين الحكوميين الخاصة في ملف ما، كما نحتفظ نحن بسجلات لمسؤولينا في القاعدة».

وافقه بار قائلًا: «وفي العاصمة الإمبراطورية كذلك».

«إذن عندما تذهب أنت؛ الأرستقراطي السيويني والنبيل الإمبراطوري، وتُخبر هذا الإمبراطور كِليون أن ببغاءه الأليف المفضل وألمع جنرالاته قد اتحدَّا معًا للإطاحة به، وتسلمه هذه الكبسولة كدليل. ما الذي سيظن أنه الهدف النهائي لبرودريج؟».

جلس بار بضعف وقال: «مهلًا، أنا لا أفهمك». ثم وضع يده على خده النحيل وقال: «أنت لست جادًّا أليس كذلك؟».

قال ديفرز في حماس غاضب: «أنا جاد، اسمعني، تسعة من آخر عشرة أباطرة قد قُطِعت حناجرهم أو مُزِّقَت أحشاؤهم على يد واحد من جنرالاتهم الطموحين، لقد قلت لي هذا بنفسك أكثر من مرة. الإمبراطور العجوز سيصدقنا بسرعة كبيرة حتى إنه سيطيح برأس ريوز».

تمتم بار بصوت خافت: «إنه جاد». ثم قال: «بحق المجرة يا رجل، لا يُمكنك التغلب على أزمة سيلدون بخطة خيالية غير معقولة وغير قابلة للتطبيق كهذه. فلنفترض أنك لم تحصل على الكبسولة، فلنفترض أن برودريج لم يستخدم كلمة الهدف النهائي، إن سيلدون لا يعتمد على الحظ الجامح».

«إن وقع هذا الحظ الجامح في طريقنا فإنه لا يوجد قانون من قوانين سيلدون يقول إننا لا يُمكننا استغلاله».

قال بار: «بالتأكيد، ولكن... ولكن...»، ثم صمت قبل أن يتحدث بهدوء وبضبط واضح للنفس: «اسمعني، كيف ستصل إلى كوكب ترانتور في المقام الأول؟ أنت لا تعرف موقعه في الفضاء، وأنا لا أتذكر الإحداثيات بالتأكيد، ناهيكَ عن معدل التغير. أنت لا تعرف حتى موقعك في الفضاء».

ابتسم ديفرز وقد جلس أمام أجهزة التحكم بالفعل قائلًا: «لا يُمكنك أن تضيع في الفضاء، سوف نهبط عند أقرب كوكب، وسوف نعود من هناك بالاتجاهات الكاملة مع أفضل خرائط ملاحة يُمكن شراؤها بمئات الآلاف من نقود برودريج».

«وطلقة في أحشائنا. إن أوصافنا على الأرجح موجودة في كل كوكب في هذا القطاع من الإمبراطورية».

قال ديفرز في صبر: «أنت لا تعرفني جيدًا يا دوك، لقد قال ريوز إن سفينتي استسلمت بسهولة شديدة، وهو لم يكن يمزح يا صديقي، هذه السفينة بها ما يكفي من الأسلحة، وفي درعها من الطاقة ما يكفي لصد أي شيء من المحتمل أن نواجهه داخل حدود الإمبراطورية، ونحن لدينا دروع شخصية أيضًا، فرجال الإمبراطورية لم يعثروا عليها، ولم يكن لديهم فرصة للعثور عليها».

قال بار: «حسنًا، حسنًا، فلنفترض أنك وصلت إلى ترانتور، كيف ستقابل الإمبراطور إذن؟ هل تعتقد أن لديه دوام عمل؟».

قال ديفرز: «أفترض أن علينا أن نقلق بشأن هذا عندما نصل إلى ترانتور».

تمتم بار في استسلام: «حسنًا إذن، لقد ظللت لنصف قرن أتمنى أن أرى ترانتور قبل أن أموت، فلتفعل ما تريد».

بدأت المحركات النووية الفائقة في العمل، ثم لمعت الأضواء وحدثت ارتجافة داخلية طفيفة تدل على الولوج إلى الفضاء الفائق.

## الفصل التاسع

# في ترانتور

كانت النجوم كثيفة كأعشاب برية في حقل مهمل، ولأول مرة يجد لاثان ديفرز الأرقام على يمين الفاصلة العشرية ذات أهمية قصوى في قطع المسافات عبر الفضاء الفائق. كان هناك إحساس بالاختناق بشأن ضرورة القفزات التي لا تزيد عن سنة ضوئية، وكان هناك قسوة مخيفة في السماء التي تتلألأ بلا انقطاع في كل الاتجاهات، فكان الأمر أشبه بأن تكون ضائعًا في بحر من الإشعاع. وفي المنتصف تَكَتُّل نجمي يزيد عن عشرة آلاف نجم، يُمزق ضياؤه الظلام الضعيف المحيط به، وهنالك يدور الكوكب الإمبراطوري الضخم ترانتور.

ولكنه كان أكثر من مجرد كوكب؛ لقد كان القلب النابض الحي لإمبراطورية من عشرين مليون مجموعة شمسية. إن له وظيفة واحدة وهي الإدارة، وغرض واحد وهو الحكومة، وشيء واحد لينتجه وهو القانون.

كان الكوكب بالكامل مجرد شيء عملي مشوه، فلم يكن هناك أي كائن حي على سطحه سوى البشر وحيواناتهم الأليفة وطفيلياتهم، ولا يمكن العثور على أي ورقة عشب أو جزء من تربة مكشوفة خارج المئة ميل المربعة للقصر الإمبراطوري، ولا يوجد أي مياه عذبة خارج أراضي القصر إلا في الصهاريج الشاسعة أسفل الأرض التي تحتوي على إمدادات الكوكب من المياه.

كان سطح الكوكب بأكمله عبارة عن معدن لامع صلد، وهو أساس المباني المعدنية الضخمة التي تحيط بالكوكب كالمتاهة. كانت المباني متصلة بالجسور وتربطها الممرات وتشغل تجاويفها المكاتب، وفي قاعدتها مراكز التسوق الضخمة التي تشغل أميالًا مربعة ويعلوها عالم الترفيه المتلألئ الذي ينبض بالحياة كل ليلة.

يُمكن للمرء أن يدور حول كوكب ترانتور سيرًا على الأقدام دون أن يحتاج إلى مغادرة هذا المبنى الواحد المتكتل أو أن يرى المدينة.

هناك أسطول من السفن أكثر عددًا من كل الأساطيل الحربية التي تملكها الإمبراطورية يُنزل حمولاته على ترانتور كل يوم ليُطعم الأربعين مليار من البشر، الذين لا يقدمون شيئًا في المقابل سوى دورهم الضروري في حَلِّ عُقَد الخيوط العديدة التي تتضافر لتشكل الإدارة المركزية لأكثر الحكومات تعقيدًا في تاريخ البشرية.

هناك عشرون كوكبًا زراعيًّا يمثلون مخزن حبوب ترانتور، فقد كان الكون خادمه...

كان هناك ذراعان معدنيان يُمسكان السفينة التجارية بإحكام، بينما يجري إنزالها برفق عبر منحدر ضخم يؤدي إلى حظيرة السفن. كان ديفرز قد شقَّ طريقه في غضب عبر التعقيدات المتعددة لكوكب مبني على الروتين الورقي ومكرس لمبدأ الاستمارات ذات النسخ الأربعة.

كان هناك توقّف مبدئي في الفضاء حيث مُلِأ أول استبيان مما صار لاحقًا مئة استبيان، وكان هناك مئات الاستجوابات وإجراء المسبار النفسي الروتيني البسيط والتصوير الفوتوغرافي للسفينة والتحليل الشخصي للرجلين وتسجيله لاحقًا والبحث عن الممنوعات ودفع ضريبة الدخول وأخيرًا السؤال عن بطاقات الهوية وتأشيرة الزيارة.

كان دوسِم بار سيويني وأحد رعايا الإمبراطور، ولكن لاثان ديڤرز كان مجهولًا وليس معه الوثائق المطلوبة. شعر الضابط المسئول في تلك اللحظة بالأسف الشديد ولكن ديڤرز لم يستطع الدخول. في الواقع كان يجب أن يُحتَجز من أجل التحقيق الرسمي.

من مكان ما ظهرت مئة نقطة رصيد على هيئة أوراق نقدية جديدة مدعومة من إقطاعيات لورد برودريج، وتبادلتها الأيدي بهدوء. همهم الضابط باهتمام، وخفَّت حدة أسفه. ظهرت استمارة جديدة من الدرج المناسب ومُلئت بسرعة وكفاءة بمعلومات ديڤرز الشخصية وأرفقت بعناية وبشكل رسمي.

دخل الرجلان ـ التاجر والأرستقراطي ـ إلى ترانتور.

في حظيرة السفن كانت السفينة التجارية هي مجرد مركبة أُخرى لتخزينها وتصويرها وتسجيلها وتدوين محتوياتها، ومسح بطاقات هوية ركابها ضوئيًّا، ويُدفع من أجل كل هذا الرسوم المناسبة التي تُسجَّل ويصدر لها إيصال استلام.

ثم وجد ديڤرز نفسه في شُرفة ضخمة تحت الشمس البيضاء الساطعة، حيث النساء يتجاذبن أطراف الحديث والأطفال يصرخون، والرجال يرتشفون المشروبات بفتور ويستمعون إلى أجهزة التلفاز الضخمة التي تبث أخبار الإمبراطورية.

دفع بار المبلغ المطلوب من عملات الإريديوم المعدنية وتناول جريدة من كومة الجرائد. لقد كانت جريدة ترانتور الإمبراطورية، إحدى الهيئات الحكومية الرسمية. في مؤخرة غرفة الجرائد كان هناك صوت نقرات خفيف أثناء طباعة النسخ الإضافية عن طريق آلات الطباعة التي تتلقى الإشارة من مكاتب جريدة الأخبار الإمبراطورية الموجودة على بعد عشرة آلاف ميل باستخدام الممرات وستة آلاف ميل باستخدام الطائرات. بينما عشرة ملايين إصدار من النسخ يُطبَعون أيضًا في تلك اللحظة في عشرة ملايين غُرفة أخبار أُخرى في جميع أنحاء الكوكب.

نظر بار إلى العناوين الرئيسية وقال بهدوء: «ما الذي يجب أن نفعله الآن؟».

حاول ديڤرز أن ينفض عن نفسه الإحساس بالاكتئاب، فقد كان في عالم بعيد كل البعد عن عالمه، على كوكب يُثقل كاهله بالتعقيدات، بين أشخاص أفعالهم غير مفهومة ولغتهم تكاد تكون غير مفهومة. كانت الأبراج المعدنية اللامعة التي تُحيط به وتتكاثر بشكل لا نهائي إلى ما وراء الأفق تشعره بالاختناق، الحياة المزدحمة اللا مكترثة في هذا الكوكب المكون من مدينة واحدة جعلته يشعر بالكآبة الشديدة والعزلة والضآلة وعدم الأهمية.

قال: «من الأفضل أن أترك الأمر لك يا دوك».

قال بار بصوت هادئ منخفض: «لقد حاولت أن أُخبرك بهذا، ولكني أعرف أنه من الصعب تصديق الأمر دون أن تراه بنفسك. هل تعرف عدد الناس الذين يرغبون كل يوم في لقاء الإمبراطور؟ قُرابة المليون. هل تعرف كم واحد يلتقي به؟ قُرابة العشرة. سيكون علينا أن نمر من خلال الخدمة المدنية وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة، ولكن ليس معنا من المال ما يكفي لكي نحصل على مُساعدة أرستقراطية».

«لدينا مئة ألف تقريبًا».

«إن واحدًا فقط من اللوردات سيكلفنا هذا، ونحن بحاجة إلى ثلاثة أو أربعة على الأقل، لنصنع جسرًا مناسبًا يأخذنا إلى الإمبراطور. الأمر قد يحتاج خمسين من رؤساء المفوضية وكبار المشرفين لفعل الشيء ذاته، ولكن كل واحد منهم لن يكلفنا سوى مئة نقطة ذتقريبًا. سأتولى أنا مسألة الحديث، أولًا لأنهم لن يفهموا لهجتك، وثانيًا لأنك لا تعرف آداب الرشوة الإمبراطورية. ثق بي، إنه فن. انظر!».

كانت الصفحة الثالثة من جريدة الأخبار الإمبراطورية تحتوي على ما يريده فمرر الجريدة إلى ديڤرز.

قرأ ديڤرز ببطء، كانت المفردات غريبة ولكنها مفهومة. رفع وجهه وقد أظلمت عيناه بالقلق ثم ضرب الجريدة بظهر يده في غضب وقال: «هل تعتقد أنه يُمكننا الوثوق بهذه؟».

أجابه بار قائلًا: «في حدود معينة. من غير المحتمل أن يتم القضاء على أسطول القاعدة. من المحتمل أنهم قد أرسلوا عدة تقارير بهذا بالفعل، إن كانوا يتبعون أسلوب تقارير الحرب المعتاد لعاصمة بعيدة عن ساحة المعركة الحقيقية. ما يعنيه هذا هو أن ريوز قد انتصر في معركة أُخرى، وهو أمر ليس مُفاجئًا. يقولون إنه قد احتل لوريس، أهذا هو الكوكب العاصمة لمملكة لوريس؟».

قال ديڤرز مفكرًا: «أجل، أو ما كان في السابق مملكة لوريس، وهي لا تبعد أكثر من عشرين فرسخًا نجميًّا عن القاعدة، يجب أن نتحرك بسرعة يا دوك».

هز بار كتفيه وقال: «لا يُمكنك التحرك بسرعة في ترانتور، إذا حاولت فسينتهي بك الأمر على الأرجح أمام مسدس ذري».

«كم سيستغرق الأمر؟».

«شهرًا إن كنا محظوظين. شهرًا والمئة ألف نقطة رصيد التي لدينا، هذا إن كانت كافية، وهذا على افتراض أن الإمبراطور لن يقرر في هذه الأثناء أن يُسافر إلى الكواكب الصيفية، حيث لا يُقابل أيًّا من مقدمي الالتماسات على الإطلاق».

«ولكن القاعدة...».

«سوف تعتني بنفسها كما هو الحال دومًا. تعالَ، دعنا نتناول العشاء، أنا جائع، وبعد هذا سيكون المساء ملكًا لنا، ويُمكننا أن نفعل فيه ما يحلو لنا، فنحن لن نرى ترانتور أو أي كوكب مشابه له مرة أخرى».

بسط المفوض الوطني للأقاليم الخارجية يده في يأس وهو ينظر إلى مقدمي الالتماس بنظرة تحمل ضيق أفق وقال: «ولكن الإمبراطور مريض أيها السيدان، ومن غير المجدي حقًّا أن أرفع الأمر إلى رئيسي. جلالة الإمبراطور لم يرَ أحدًا منذ أسبوع».

قال بار بثقة مصطنعة: «سوف يرانا، الأمر متوقف فقط على رؤية أحد أعضاء طاقم السكرتارية الخاصة».

قال المفوض بشكل قاطع: «مستحيل، إن محاولة فعل هذا قد يكلفني عملي. يُمكنك الآن فقط أن تكون أكثر وضوحًا بشأن سبب رغبتك في مقابلة الإمبراطور. أنا مستعد لمساعدتك حقًّا ولكني بطبيعة الحال أُريد شيئًا أقل غموضًا، شيئًا يُمكنني أن أقدمه لرئيسي من أجل المُضي قُدُمًا في الأمر».

قال بار بسلاسة: «إن كان سبب رغبتي في لقاء الإمبراطور هو شيئًا يُمكنني أن أخبره لأحد سوى الإمبراطور نفسه فلن يكون شيئًا مهمًّا بدرجة كافية لترتيب مقابلة مع جلالته. أقترح أن تُغامر بالأمر، وأُذكِّرك أن الإمبراطور إذا أولى أهمية لسبب مقابلتنا معه ـ وهو ما أنا واثق من حدوثه ـ فأنت بالتأكيد ستنال التكريم الذي تستحقه لقاء مساعدتنا الآن».

قال المفوض: «أجل، ولكن...». ثم هزَّ كتفيه دون أن يجد ما يقوله.

قال بار: «أتفق معك أنها مخاطرة، وأي مخاطرة تستحق تعويضًا بطبيعة الحال، ما أطلبه منك هو معروف كبير، إننا بالفعل مدينان لك بسبب تكرمك بمنحنا فرصة لنشرح لك مشكلتنا، ولكن إذا سمحت لنا أن نعبر عن امتناننا قليلًا من خلال...».

عقد ديڤرز حاجبيه، لقد سمع هذا الحوار باختلافات طفيفة عشرين مرة خلال الشهر الماضي، ولقد انتهى كالعادة بانتقال سريع لمجموعة من العملات شبه المخفية، ولكن الأمر انتهى بطريقة مختلفة هذه المرة؛ عادة ما تختفي العملات على الفور، ولكنها هنا بقيت على مرأى من الجميع بينما المفوض يُحصيهم ببطء ويتفحصهم من الأمام والخلف.

■ تم نشر هذا الكتاب من خلال قناة رف 404 | للمزيد من الكتب تفضلوا بزيارة قناتنا على تيليجرام ■ Rff404

كان هناك تغير طفيف في صوت المفوض وهو يقول: «مدعومة من السكرتير الإمبراطوري نفسه، أليس كذلك؟ هذا مبلغ جيد من المال!».

قال بار على الفور: «فلنعد إلى موضوعنا...».

قاطعه المفوض قائلًا: «لا، مهلًا، دعنا نعود إلى الوراء قليلًا، أنا أريد أن أعرف حقًّا ما الذي يمكن أن يكون سبب رغبتك في مقابلة الإمبراطور، هذه الأموال جديدة ولا شك أن معك الكثير منها، وحدسي يُخبرني أنك قد التقيت بالعديد من الموظفين قبلي. هيا أخبرني؛ ما الأمر حقًّا؟».

قال بار: «لا أفهم ما الذي ترمي إليه».

«حسنًا، قد يتضح أنكما موجودان على هذا الكوكب بشكل غير قانوني، لأن بطاقتي التعريف والدخول الخاصتين بصديقك الصامت هذا غير كافيتين، إنه ليس واحدًا من رعايا الإمبراطور».

«أنا أنكر هذا».

قال المفوض بصراحة مفاجئة: «لا يهم إنكارك، الموظف الذي وقَّع على بطاقتيه مقابل مئة نقطة رصيد قد اعترف تحت الضغط، ونحن نعرف عنك أكثر مما تعتقد».

«إن كنت تُلمِّح يا سيدي أن المبلغ الذي نطلب منك قبوله ليس كافيًا مقابل المخاطرة...».

ابتسم المفوض وقال: «بالعكس، إنه أكثر من كافٍ». ثم ألقى العملات جانبًا وقال: «فلنعد إلى ما كنت أقوله، إن الإمبراطور بنفسه مهتم بقضيتك، أليس صحيحًا أيها السيدان أنكما كنتما مؤخرًا ضيفين لدى الجنرال ريوز؟ أليس صحيحًا أنكما قد هربتما من وسط جيشه بسهولة لا تُصدَّق إن جاز التعبير؟ أليس صحيحًا أنك تملك ثروة كبيرة من النقود المدعومة من إقطاعيات اللورد برودريج؟ باختصار أليس صحيحًا أنكما اثنان من الجواسيس والقتلة اللذان أُرسلا إلى هنا لكي... حسنًا فلتخبرني أنت بنفسك من دفع لكما ولماذا».

قال بار بغضب: «أنا ارفض أن يتهمنا مفوض صغير الشأن بارتكاب جرائم، سوف نُغادر».

اعتدل المفوض واقفًا وقد اختفى ضيق الأفق من عينيه ثم قال: «ليس عليكما أن تُجيبا على أي سؤال الآن، سنترك هذا لوقتٍ لاحق، وبطريقة أكثر حزمًا. وأنا لست مفوضًا، أنا مُلازم في الشرطة الإمبراطورية، وأنتما رهن الاعتقال».

ثم ظهر مسدس لامع في قبضته وهو يبتسم قائلًا: «لقد ألقينا القبض على عدد كبير من الرجال اليوم، إنه عش دبابير ونحن ننظفه».

ابتسم ديڤرز في سخرية وهو يمد يده ببطء ناحية مسدسه. اتسعت ابتسامة ملازم الشرطة وهو يضغط على الزناد، فارتطم شعاع من الطاقة بصدر ديڤرز بدقة مدمرة حارقة، ولكنه انعكس على درعه الشخصي في خيوط متبعثرة من الضوء دون أن يؤذيه.

أطلق ديڤرز النار بدوره فسقط رأس الملازم من فوق جذعه العلوي الذي اختفى، بينما لا يزال الرأس مبتسمًا وهو مستقر في أشعة الشمس التي تتسلل عبر الثقب الذي حدث في الجدار.

ثم غادرا عبر المدخل الخلفي، قبل أن يقول ديڤرز بصوت أجش: «بسرعة، إلى السفينة. سيطلقون الإنذار في أي لحظة»، ثم سبَّ بشراسة بصوت خافت قبل أن يقول: «ها هي خطة أُخرى تأتي بنتائج عكسية، أكاد اقسم أن شيطان الفضاء بنفسه يعمل ضدي».

عندما خرجا إلى الهواء الطلق لاحظا الحشود الهائلة المثرثرة التي تُحيط بأجهزة التلفاز الضخمة. لم يكن لديهما وقت للانتظار، فتجاهلا الكلمات الصاخبة المتفرقة التي تصل إليهما، ولكن بار انتزع نسخة من

الصحيفة الإمبراطورية، قبل أن يقفزا إلى حظيرة الطائرات الضخمة حيث أقلعت السفينة بعجالة عبر تجويف عملاق أحدثته السفينة بتفجير في السقف.

سأل بار: «هل يُمكننا أن نهرب منهم؟».

كان هناك عشر سفن من قوات الشرطة تلحق بجنون بالمركبة الهاربة التي اندفعت عبر مسار المغادرة القانوني الذي تحدده أشعة الراديو، وقد كسرت كل قوانين المرور في الكون. وراءهم بقليل كانت سفينة الاستخبارات السرية تُقلع لمطاردة سفينة موصوفة بالتفصيل يقودها اثنان من القتلة المُحدَّدة هويتهما بدقة.

قال ديفرز: «سترى ما سأفعل». ثم اندفع بعنف مخترقًا الفضاء الفائق على ارتفاع ألفي ميل من سطح ترانتور، هذا الاختراق على مسافة قريبة من كتلة كوكبية كان يعني أن يفقد بار الوعي وأن يشعر ديفرز بألم ضبابي مخيف، ولكن على بعد عدة سنين ضوئية كان الفضاء واضحًا أمامهما.

أحس ديفرز بالفخر بسفينته، وظهر هذا على ملامحه وهو يقول: «لا توجد سفينة إمبراطورية يُمكنها أن تلحق بي إلى أي مكان».

ثم قال بمرارة: «ولكن لم يتبقَّ لنا مكان لنلجأ إليه، ولا يُمكننا أن نُقاتلهم جميعًا، ما الذي يُمكن فعله؟ ما الذي يُمكن أن يفعله أي شخص؟».

تململ بار بضعف على فراشه، فلم يكن تأثير الانتقال عبر الفضاء الفائق قد تلاشى تمامًا بعد، وكل عضلة من عضلاته كانت تؤلمه، ثم قال: «ليس على أحد أن يفعل شيئًا، لقد انتهى الأمر، انظر!». ثم مرر إليه صحيفة الأخبار الإمبراطورية التي لا يزال يُمسك بها، وكانت العناوين الرئيسية أكثر من كافية بالنسبة للتاجر.

تمتم ديفرز قائلًا: «استدعاء واعتقال ريوز وبرودريج»، ثم حدق إلى بار وسأله: «لماذا؟».

«الأخبار لا تقول لماذا، ولكن هل يهم؟ الحرب مع القاعدة قد انتهت، والثورة مشتعلة في سيوينا الآن». ثم ضعف صوته وهو يقول: «سوف نتوقف لاحقًا في إحدى المقاطعات لنعرف التفاصيل. والآن إن كنت لا تُمانع فسوف أخلد إلى النوم». ثم نام بالفعل.

وفي قفزات متزايدة الاتساع كانت السفينة تقطع المجرة في رحلة العودة إلى القاعدة.

## الفصل العاشر

# نهاية الحرب

أحسَّ لاثان ديڤرز بعدم ارتياح واضح واستياء مبهم. كان قد تلقَّى وسامه الخاص، ووقف صامتًا بصرامة أمام خطبة العمدة الطنانة التي رافقت وضع الشريط الأحمر. كان قد أنهى دوره في الاحتفالات الرسمية ولكن الرسميات أجبرته بطبيعة الحال على البقاء، وكانت هذه الرسميات بشكل أساسي ـ النوع الذي لا يسمح له بالتثاؤب بصوت مرتفع أو أن يؤرجح قدمه بارتياح في كرسيه ـ هي ما تجعله يشتاق إلى الفضاء، المكان الذي ينتمي إليه.

وقَّع الوفد السيويني ـ الذي كان دوسم بار عضوًا بارزًا فيه ـ الاتفاقية وصارت سيوينا أول ولاية تنتقل بشكل مباشر من حُكم الإمبراطورية السياسي إلى حُكم القاعدة الاقتصادي.

مرَّت خمس سُفن إمبراطورية حربية ضخمة وهائلة ـ تم الاستيلاء عليها عندما تمرَّدت سيوينا خلف خطوط الأسطول الإمبراطوري الحدودي ـ من فوق رؤوسهم وهي تُصدر تحية صاخبة بينما تمر من فوق المدينة.

لم يتبقَّ سوى المشروبات والإتيكيت والمحادثات الجانبية.

سمع صوتًا يُناديه، لقد كان فوريل؛ الرجل الذي يعرف ديڤرز أن بإمكانه أن يشتري عشرين منه بأرباح الصباح فقط. أشار فوريل إليه بإصبعه بنوع من التعالي.

خطا خارجًا إلى الشُرفة حيث هواء الليل البارد وانحنى بشكل لائق بينما يتذمر بصوت غير مسموع. كان بار هناك أيضًا، الذي ابتسم قائلًا: «عليك أن تأتي لإنقاذي يا ديڤرز، فأنا متهم بالتواضع، وهي جريمة فظيعة للغاية».

أزال فوريل السيجار الغليظ من رُكن فمه قبل أن يقول: «اللورد بار يزعم يا ديڤرز أن رحلتكما إلى عاصمة كِليون لا علاقة لها باستدعاء ريوز».

قال ديڤرز: «لا علاقة لها على الإطلاق يا سيدي، نحن لم نرَ الإمبراطور قط. التقارير المتعلقة بمحاكمته التي جمعناها في طريق عودتنا أظهرت أن الأمر مجرد تهمة مُلَفَّقَة. هناك خُرافة متعلقة بتورط الجنرال مع بعض أصحاب الأفكار الهدامة في البلاط».

«وهل هو بريء؟».

تدخَّل بار قائلًا: «ريوز؟ أجل! أجل بحق المجرة. لقد كان برودريج خائنًا من حيث المبدأ العام، ولكنه لم يكن مذنبًا أبدًا في تلك الاتهامات الموجَّهة إليه. لقد كانت مهزلة قضائية ولكنها ضرورية ومتوقَّعة ولا مفر منها».

قال فوريل: «بُحكم الحتمية التاريخية النفسية كما أفترض». جرت العبارة على لسانه بطريقة خطابية تحمل نوعًا من التساؤل المرح بسبب الألفة الطويلة.

قال بار بجدية: «بالضبط. لم أتمكن من فهم الأمر باكرًا، ولكن ما إن انتهى حتى تمكنت من فهمه... حسنًا عندما تنظر إلى الإجابات في آخر الكتاب تُصبح المشكلة بسيطة. يُمكننا الآن أن نرى أن الخلفية الاجتماعية للإمبراطورية تجعل حروب الغزو مستحيلة عليها. تحت حُكم الأباطرة الضعفاء تتمزَّق الإمبراطورية على يد الجنرالات الذين يتنافسون على عرش عديم القيمة سيجلب لهم موتًا أكيدًا. تحت حُكم الأباطرة الأقوياء تتجمَّد الإمبراطورية في حالة من الشلل الصارم يتوقَّف فيها الانهيار بشكل ظاهري مؤقت. ولكن هذا فقط بالتضحية بأي ازدهار محتمل».

قال فوريل متذمرًا من بين أنفاس سيجاره القوية: «أنت لست واضحًا يا لورد بار».

ابتسم بار ببطء وقال: «أفترض هذا، إنها صعوبة عدم التدرب على علم التاريخ النفسي. الكلمات هي مجرد بديل مُبهم للمعادلات الرياضية. ولكن دعني أفكر في الأمر...».

أخذ بار يُفكر بينما استرخى فوريل وقد عاد إلى سور الشرفة، وراح ديڤرز ينظر إلى السماء المخملية وهو يفكر في ترانتور.

ثم قال بار: «كما ترى يا سيدي، فأنت وديڤرز والجميع ليس لديكم أدنى شك في أن هزيمة الإمبراطورية تعني التفريق بين الإمبراطور وجنراله، لقد كنت أنت وديڤرز والآخرون محقين طيلة الوقت، فيما يتعلق بمسألة الانشقاق الداخلي.

ولكنكم كنتم مخطئين بالتفكير في أن هذا الانقسام الداخلي هو شيء يُمكن تحقيقه بالأفعال الفردية وبوحي اللحظة. لقد جرَّبتم الرشوة والأكاذيب، لقد لعبتم على الطموح والخوف، ولكنكم لم تجنوا شيئًا مُقابل كل تعبكم. في الواقع لقد كان الأمر يزداد سوءً مع كل محاولة.

وخلال كل هذا الاضطراب الجامح من التموجات الصغيرة استمرَّت موجة سيلدون العاتية في التقدم إلى الأمام بهدوء ولكن بشكل لا يُمكن مقاومته».

التفت دوسم بار ونظر من فوق السور إلى أنوار المدينة المبتهجة وقال: «لقد كانت هناك يُد طولى تحركنا جميعًا، نحن والجنرال القوي والإمبراطور العظيم، كوكبنا وكوكبكم، يد هاري سيلدون الطولى. لقد كان يعرف أن رجلًا مثل ريوز سيفشل لأن نجاحه هو ما سيجلب الفشل، وكلما كان النجاح أعظم كان الفشل مؤكدًا».

قال فوريل بفتور: «لا يُمكنني القول إنك تزداد وضوحًا».

واصل بار حديثه بحماس قائلًا: «لحظة، انظر إلى الوضع، إن جنرالًا ضعيفًا لا يُمكن أن يعرضنا إلى الخطر بالتأكيد، وجنرال قوي في زمن إمبراطور ضعيف لن يعرضنا للخطر أيضًا، لأنه سوف يوجه أسلحته ناحية

الهدف الأكثر إغراءً. لقد أظهرت لنا الأحداث أن ثلاثة أرباع الأباطرة في العقدين المنصرمين كانوا جنرالات متمردين وولاة متمردين قبل أن يصيروا أباطرة.

إذن فالشيء الوحيد الذي يُمكن أن يضر بالقاعدة هو الجمع بين إمبراطور قوي وجنرال قوي، لأن الإمبراطور القوي لا يُمكن خلعه بسهولة، والجنرال القوي مجبر على النظر إلى خارج الإمبراطورية، إلى ما وراء حدودها.

ولكن ما الذي يُبقي الإمبراطور قويًّا؟ ما الذي أبقى كِليون قويًّا؟ الأمر واضح، إنه قوي لأنه لا يسمح بوجود رعايا أقوياء. إن رجل البلاط الذي يُصبح ثريًّا للغاية، أو الجنرال الذي ينال شعبية كبيرة، هو شخص يُمثِّل خطرًا. التاريخ الحديث كله يُثبت هذا لأي إمبراطور ذكي بما يكفي لكي يكون قويًّا.

كلما حقق ريوز المزيد من الانتصارات ازداد الإمبراطور ريبة. إن المناخ السائد في الزمن الحاضر يُجبره على الارتياب. هل رفض ريوز رشوة؟ هذا مريب للغاية، هناك دوافع خفية. هل أكثر الرجال ثقة في بلاطه صار يُؤيد ريوز فجأة؟ هذا مريب للغاية، هناك دوافع خفية. لم تكن الأفعال الفردية هي التي أثارت الريبة، أي شيء آخر كان سيؤدي إلى نفس النتيجة. وهذا هو السبب في أن مخططاتنا الفردية كانت غير ضرورية وغير مُجدية إلى حد كبير. لقد كان نجاح ريوز هو ما أثار الريبة، لذا فقد تم استدعاؤه واتهامه وإدانته وقتله. القاعدة تنتصر مرة أخرى.

انظر، لا توجد أي مجموعة يُمكن تصورها من الأحداث لا تؤدي إلى انتصار القاعدة، لقد كان الأمر حتميًّا مهما فعل ريوز ومهما فعلنا».

أومأ قُطْبُ القاعدة برأسه مفكرًا وقال: «هكذا إذن! ولكن ماذا لو كان الإمبراطور والجنرال هما نفس الشخص؟ ماذا سيحدث إذن؟ هذه حالة أنت لم تذكرها، إذن فأنت لم تبرهن على صحة وجهة نظرك بعد».

هزَّ بار كتفيه وقال: «أنا لا أستطيع أن أثبت أي شيء، ليس لديَّ المعادلات الرياضية، ولكني أُخاطب حس المنطق لديك. في إمبراطورية يطمح كل أرستقراطي فيها وكل رجل قوي وكل قُرصان إلى الاستيلاء على العرش، وهم غالبًا ما ينجحون في هذا كما يُظهر التاريخ، ماذا سيحدث إذن لإمبراطور قوي يشغل نفسه بالحروب الخارجية في أطراف المجرة؟ إلى متى سيبقى بعيدًا عن العاصمة قبل أن يُشعل شخص ما حربًا أهلية ويُجبره على العودة إلى الوطن؟ البيئة الاجتماعية للإمبراطورية ستجعل هذا الوقت قصيرًا.

لقد أخبرت ريوز ذات مرة أن كل قوة الإمبراطورية لا تستطيع أن تبتر يد هاري سيلدون الطولى».

قال فوريل بابتهاج شديد: «جيد! جيد! إذن فأنت تفترض أن الإمبراطورية لا يُمكن أن تهددنا مرة أخرى أبدًا».

وافقه بار قائلًا: «الأمر يبدو كذلك بالنسبة لي. بصراحة قد لا يعيش كِليون أكثر من سنة، وسوف يكون هناك نزاع على خلافته بطبيعة الحال، وهو ما قد يعني الحرب الأهلية الأخيرة للإمبراطورية».

قال فوريل: «إذن فلن يكون هناك أي عدو آخر».

قال بار مفكرًا: «هناك قاعدة ثانية».

«في الطرف الآخر من المجرة؟ هذا لن يكون خطرًا قبل عدة قرون».

التفت ديفرز فجأة عند سماع هذا وكان وجهه متجهمًا وهو ينظر إلى فوريل قائلًا: «ربما يكون هناك أعداء داخليون».

سأله فوريل ببرود: «حقًّا؟ من على سبيل المثال؟».

«على سبيل المثال أشخاص قد يرغبون في توزيع الثروة بعض الشيء ومنعها من أن تتراكم بعيدًا عن أيدي هؤلاء الذين يعملون من أجلها. هل فهمت ما أعنيه؟».

وببطء تلاشت نظرة الاستخفاف في عيني فوريل بينما الغضب ينمو في عينيّ ديفرز.

# الجزء الثاني

# البغل

**البغل**: ... ما يعرف عن البغل هو أقل بكثير من أي شخصية لها أهمية مماثلة في تاريخ المجرة، حتى فترة شهرته العظمى قد نُقِلت إلينا بشكل أساسي من خلال أعين خصومه، وبالأخص من خلال عينيّ العروس الشابة...

**الموسوعة المجرية**

## الفصل الحادي عشر

# عريس وعروس

عندما رأت بايتا هاڤِن للمرة الأولى لم يكن مذهلًا، بل كان على النقيض تمامًا. كان كما وصفه زوجها؛ نجمًا باهتًا ضائعًا في فراغ حافة المجرة. كانا قد تجاوزا آخر تكتلات متفرقة من النجوم إلى حيث نقاط الضوء المتناثرة التي تتلألأ في عزلتها، وحتى بين هؤلاء كان ضعيفًا وغير واضح.

كان توران يُدرك تمامًا أن القزم الأحمر باعتباره تمهيدًا للحياة الزوجية يفتقر للقدرة على إثارة الإعجاب، فابتسم ابتسامة شاحبة وقال: «أعلم يا باي أنه ليس التغيير المناسب، أليس كذلك؟ أعني من القاعدة إلى هذا».

«تغيير فظيع يا توران، لم يكن عليَّ أن أتزوَّجك».

ظهر الألم على وجهه للحظة قبل أن يتمالك نفسه فقالت بنبرتها المريحة الخاصة: «حسنًا أيها السخيف، لا تعبس هكذا وتُعطيني نظرة البطة الحزينة، تلك النظرة التي تُعطيها لي قبل أن تضع رأسك على كتفي بينما أنا أمسد شعرك لكي أملأه بالكهرباء الساكنة. لقد كنت تنتظر مني أن أقول بعض الهراء، أليس كذلك؟ كنت تتوقع مني أن أقول سأكون سعيدة معك في أي مكان يا توران! أو أن أعماق الفضاء ذاتها ستكون بيتي يا حبيبي طالما أنت معي! فلتعترف بهذا».

أشارت بإصبعها إليه ثم انتزعته بعيدًا قبل أن يُغلق أسنانه عليه.

قال لها: «إذا استسلمت واعترفت أنك محقة فهل ستُعدِّين العشاء؟».

أومأت برأسها في رضا فابتسم واكتفى بالنظر إليها.

اعترف لنفسه أنها لم تكن جميلة من حيث المقياس العام بالنسبة للآخرين، حتى لو دققوا النظر؛ كان شعرها أسود ولامعًا، ولكنه مسترسلٌ، وفمها واسعٌ بعض الشيء، ولكن حاجبيها الدقيقين الكثيفين كانا يفصلان بين جبهتها البيضاء الملساء وعينيها ذاتا اللون الماهوجني الدافئتين المبتسمتين دومًا.

ووراء واجهة عملية صارمة ونظرة غير رومانسية تجاه الحياة، كان يوجد القليل من الرقة التي لن تظهر إذا حاولت عمدًا العثور عليها، ولكنك ستصل إليها إن كنت تعرف كيف تبحث عنها دون أن تُظهر هذا.

عدَّل توران أجهزة التحكم بلا داعٍ ثم قرر أن يسترخي. كان أمامه قفزة نجمية واحدة، ثم عدة ميكروملليمترات من الفراسخ بشكل مستقيم قبل أن يكون التحكم اليدوي ضروريًّا. مال إلى الوراء لينظر إلى المخزن حيث كانت بايتا تتفحَّص بعض الحاويات.

كان هناك قدر كبير من الزهو في طريقته في التعامل مع بايتا، الإحساس بالرضا الذي يمثل انتصار شخص ظلَّ ثلاث سنوات يكافح لكيلا يسقط في هوة الإحساس بالنقص، ففي نهاية المطاف كان هو

إقليميًّا، وليس مجرد إقليمي، بل ابن تاجر منشق، وكانت هي من القاعدة نفسها، وليس هذا فحسب، بل باستطاعتها أن تتعقَّب أصول أسلافها إلى مالو.

ولم يكن هذا كل شيء، بل كان يأخذها عائدًا إلى هاڤِن بكوكبه الصخري ومدنه الكهفية، وكان هذا سيئًا بما يكفي، ولكن الأسوأ هو أن يجعلها تواجه العداء التقليدي الذي يكنه التجار تجاه القاعدة، والرحَّالة تجاه قاطني المدن.

ولكن لا يزال هناك قفزة أخيرة بعد تناول العشاء.

كان هاڤِن عبارة عن توهج قرمزيّ غاضب، وكان الكوكب التابع له عبارة عن بقعة ضوء مائلة للحمرة يحيط بها غلاف جوي ضبابي، ويقع نصفه في الظلام. انحنت بايتا فوق طاولة العرض الكبيرة ذات الخطوط المتقاطعة المتشابكة التي يقع هاڤِن 2 في مركزها بدقة.

قالت بجدية: «أتمنى لو أني التقيت بأبيك أولًا، إن أحس تجاهي بعدم الإعجاب...».

قال توران على الفور: «فحينها ستكونين أول فتاة جميلة تثير بداخله هذا الإحساس، فقبل أن يفقد ذراعه ويترك التجول في أرجاء المجرة... حسنًا إن سألتِه عن الأمر فسوف يتحدث عنه حتى تمل أذناكِ من الاستماع له، بمرور الوقت بدأت أشعر أنه يختلق الأمر، لأنه لم يروِ نفس القصة مرتين بنفس الطريقة مطلقًا...».

كان هاڤِن 2 يندفع نحوهم في تلك اللحظة، والبحر المحاط باليابسة يدور بشكل بطيء أسفلهما، رمادي داكن في الظلمة القاتمة، ويمكن رؤيته بصعوبة، وهنا وهناك بين السحب الضبابية تبرز الجبال بشكل وعر على طول الساحل.

صار البحر متجعدًا مع اقترابهما منه، وبينما ينحرف بعيدًا وراء الأفق كان هناك في نهايته لمحة واحدة خاطفة لحقول ثلجية تحتضن الشاطئ.

زمجر توران بسبب التباطؤ العنيف، ثم قال: «هل بذلتك محكمة الغلق؟».

كان وجه بايتا الممتلئ مستديرًا ومتوردًا في الغلاف الإسفنجي للزي الملتصق بجلدها والمزود بالتدفئة الداخلية.

انخفضت السفينة بشكل حاد في منطقة واسعة مكشوفة بالقرب من التلال المرتفعة.

خرجا من السفينة ليهبطا في ظلمة الطرف الخارجي من المجرة، فشهقت بايتا بسبب البرودة المفاجئة بينما الرياح الخفيفة تدور حولهما بخواء. أمسك توران بمرفقها ودفعها لتركض بشكل محرج فوق الأرض الملساء ناحية الأضواء الصناعية البعيدة.

تقدَّم الحراس ليستقبلوهما في منتصف الطريق، وبعد تبادل بضع كلمات هامسة اصطحبهما الحراس ليكملا طريقهما. اختفت الرياح والبرد عندما انفتحت بوابة صخرية وانغلقت وراءهما. كان المكان بالداخل

دافئًا وأبيض وجيد الإضاءة، وممتلئًا بهمهمات صاخبة غير متناغمة. رفع بعض الأشخاص نظرهم من فوق مكاتبهم فقدَّم إليهم توران أوراقه.

سمحوا لهما بالمرور بعد إلقاء نظرة سريعة، ثم همس توران لزوجته: «لا شك أن أبي قد أنهى الإجراءات التمهيدية، فعادة ما يقضي المرء هنا خمس ساعات».

ثم خرجا إلى منطقة مكشوفة فقالت بايتا فجأة: «يا إلهي...».

كانت المدينة الكهفية غارقة في ضوء النهار، ضوء النهار الأبيض لشمس يافعة، هذا لا يعني أن بالإمكان رؤية الشمس بالطبع، فالسماء قد اختفت في الضوء الساطع المتوهج، وكان الهواء الدافئ كثيفًا ومعبقًا برائحة الأشجار والنباتات.

قالت بايتا: «هذا جميل حقًّا يا توران».

ابتسم توران ببهجة مترقبة وقال: «حسنًا يا باي، إنها لا تُقارَن بأي شيء في القاعدة بالطبع، ولكنها أكبر مدينة في هاڤِن 2، عشرون ألف شخص. سوف تحبينها. أخشى أنه لا توجد أي قصور ترفيهية، ولكن لا توجد شرطة سرية أيضًا».

«إنها تبدو كلعبة على هيئة مدينة يا توري، بيضاء ووردية بالكامل، ونظيفة للغاية».

قال توران: «حسنًا...». ثم نظر إلى المدينة معها.

كانت معظم البيوت بارتفاع طابقين فقط، ومصنوعة من الصخور الملساء الموجودة بشكل طبيعي في تلك المنطقة، لم يكن هنالك أبراج القاعدة أو المنازل المجتمعية الضخمة كما في الممالك القديمة، ولكن كل شيء هنا كان يتميز بالصغر والتفرد، أثر يدل على المبادرة الشخصية في مجرة من حياة جماعية متكتلة.

أفاق فجأة من شروده وهو يقول: «ها هو أبي يا باي! هنالك حيث أُشير يا حمقاء، ألا ترين؟».

استطاعت حينها أن تراه، مجرد هيئة لرجل ضخم يلوح بشكل محموم وأصابعه مفتوحة على اتساعها، كأنما يحاول بعنف أن يُمسك بشيء في الهواء، ثم وصل إليهما صدى عميق لصرخة طويلة. سارت بايتا وراء زوجها مندفعين للأمام فوق العشب المشذَّب بعناية، ثم استطاعت أن ترى رجلًا أصغر حجمًا أبيض الشعر، يكاد أن يختفي عن الأنظار خلف ذراع الرجل المتحمس الذي لا يزال يصرخ ويلوح.

صاح توران وهو ينظر إليها من فوق كتفه: «إنه أخو والدي غير الشقيق، هذا الذي ذهب إلى القاعدة من قبل كما تعلمين».

التقوا فوق العشب يضحكون ويتصايحون بكلام غير مفهوم، وقد صرخ والد توران صرخة أخيرة من الفرح المطلق، ثم أحكم غلق سترته القصيرة وأعاد ضبط حزامه المعدني الذي يُمثل الرفاهية الوحيدة التي يمتاز بها.

نقل بصره بين الشابين ثم قال وهو يلهث قليلًا: «لقد اخترت يومًا سيئًا للعودة إلى الوطن يا فتى!».

«ماذا؟ آه، إنه يوم ميلاد سيلدون أليس كذلك؟».

«بلى. لقد اضطررت لاستئجار سيارة كي أقطع الرحلة إلى هنا، وأحضرت راندو لكي يقودها. ليست مركبة عامة فلم تكن تحت تهديد السلاح».

نقل عينيه إلى بايتا وحدق النظر إليها، ثم تحدث بلطف أكثر قائلًا: «إن لديَّ كريستالة الصورة الخاصة بكِ هنا، وهي رائعة، ولكن يُمكنني أن أرى أن الشخص الذي التقط الصورة كان هاويًا».

أخرج من جيب سترته مكعبًا صغيرًا شفَّافًا، وفي الضوء دبَّت الحياة في الوجه الصغير الضاحك بصورة حيوية ملونة كنسخة مصغرة من بايتا.

قالت بايتا: «هذه الصورة! أتساءل الآن عن سبب إرسال توران لهذه الصورة الكاريكاتورية. أنا مندهشة لأنك سمحت لي بالاقتراب منك يا سيدي».

«حقًّا؟ فلتُناديني فران. أنا لا أبالي بأي من هذه الاحتفالات الفوضوية، لذا أعتقد أن بإمكانك أن تُمسكي بذراعي وسنذهب إلى السيارة. لم أكن أعتقد حتى هذه اللحظة أن ابني يعرف ما الذي يفعله، ولكن أعتقد أنني سأغير هذا الرأي، بل يجب عليَّ أن أغير هذا الرأي».

قال توران لعمه بهدوء: «كيف حال أبي هذه الأيام؟ هل ما زال يُطارد النساء؟».

ظهرت التجاعيد في وجه راندو بالكامل عندما ابتسم، قبل أن يقول: «عندما تسنح له الفرصة يا توران، عندما تسنح له الفرصة. هناك أوقات يتذكر فيها أن عيد ميلاده القادم سيكون الستين، فيحبطه هذا، ولكنه يطرد هذه الفكرة الشريرة من رأسه ويعود إلى طبيعته. إنه تاجر من الطراز العتيق. ولكن أنت يا توران، أين عثرت على مثل هذه الزوجة الجميلة».

ضحك الشاب وعقد ذراعيه قائلًا: «هل تُريد سماع تاريخ ثلاث سنوات في بضع لحظات يا عماه؟».

في غرفة معيشة صغيرة بالمنزل كافحت بايتا لخلع عباءة السفر وغطاء الرأس، ثم هزت رأسها لينسدل شعرها. جلست وهي تضع ساقًا على الأخرى، قبل أن تنظر بامتنان إلى الرجل الضخم متورد الوجه.

قالت: «أنا أعرف ما الذي تحاول تخمينه، وسأساعدك؛ العمر أربعة وعشرون، الطول خمسة أقدام وسبع بوصات، الوزن مئة وعشرة أرطال، تخصص الدراسة التاريخ». لاحظت أنه دائمًا ما ينحني في وقفته ليُخفي ذراعه المفقودة.

ولكن فران مال حينها إلى الأمام وقال: «بما أنك قد ذكرتِ الأمر؛ الوزن مئة وعشرون رطلًا».

ضحك بصوت عالٍ حين احمرَّ وجهها خجلًا، ثم قال مخاطبًا الحضور بشكل عام: «يُمكنكم دومًا تقدير وزن امرأة من خلال عضدها، مع الخبرة المناسبة بالطبع. هل ترغبين في تناول مشروب يا باي؟».

قالت: «هذا ليس الشيء الوحيد الذي أريده». ثم غادرا معًا بينما توران يشغل نفسه بتفحص أرفف الكتب بحثًا عن أي إصدارات جديدة.

عاد فران وحده وقال: «سوف تهبط لاحقًا».

ثم ألقى بجسده بثقل على الكرسي الكبير، ووضع ساقه اليسرى ذات المفاصل المتيبسة على المقعد الصغير أمامه. كان الضحك قد جعل وجهه يحتقن بالدماء فالتفت توران لينظر إليه.

قال فران: «حسنًا لقد عدت إلى الوطن يا بني، وأنا مسرور بعودتك. تعجبني فتاتك، إنها ليست حمقاء متذمرة».

قال توران ببساطة: «لقد تزوَّجتها».

قال فران متجهمًا: «حسنًا هذا أمر مختلف تمامًا يا فتى، إنها طريقة حمقاء لتقييد مستقبلك. لم أفعل هذا الشيء في حياتي الأطول والأكثر خبرة».

قاطعه راندو من أحد الأركان حيث كان يقف بأن قال بهدوء: «ما هي المقارنة التي تعقدها يا فرانسارت؟ لم تكن تستقر في مكان واحد مدة طويلة بما يكفي لتحقيق متطلبات الإقامة الضرورية من أجل الزواج حتى تحطمت سفينتك منذ ست سنوات. ومن يُمكن أن تقبل بك منذ ذلك الوقت؟».

انتصب الرجل ذو الذراع الواحدة في مقعده، وأجاب بحدة: «الكثيرات أيها العجوز الخرف...».

قال توران على الفور بلباقة: «هو مجرد إجراء قانوني بشكل أساسي يا أبي. إن الوضع له مميزاته».

قال فران متذمرًا: «في الغالب لصالح المرأة».

قال راندو مؤيدًا: «حتى ولو كان الأمر كذلك فإن القرار متروك للفتى، إن الزواج عادة قديمة بين القاعديين».

قال فران بحنق: «إن القاعديين ليسوا النموذج المناسب لأي تاجر نزيه».

تدخَّل توران مجددًا قائلًا: «إن زوجتي قاعدية». ثم نقل بصره بينهما قبل أن يقول بهدوء: «ستأتي معي».

اتخذت المحادثة منحنى عامًّا بعد وجبة المساء وقد أضفى فران عليها بعض الإثارة بثلاث حكايات من ذكرياته، تتكون من أجزاء متساوية من الدماء والنساء والأرباح والمبالغات. كان التلفاز الصغير يعمل وأحد المسلسلات الدرامية الكلاسيكية يُعرض بصوت هامس. كان راندو قد اتخذ لنفسه مجلسًا مريحًا على الأريكة المنخفضة وهو يحدق ـ من وراء الدخان المتصاعد ببطء من غليونه الطويل ـ إلى بايتا الجالسة على ركبتيها على السجادة الناعمة المصنوعة من الفراء الأبيض، التي جُلِبت ذات مرة منذ زمن طويل في مهمة تجارية، ولا تُبسَط إلا في أكثر المناسبات أهمية.

سألها ببهجة: «هل درست التاريخ يا فتاتي؟».

أومأت بايتا برأسها وقالت: «لقد أصبت المدرسين باليأس ولكني تعلمت القليل في نهاية المطاف».

تدخَّل توران قائلًا بسخرية: «مجرد شهادة من أجل المنحة الدراسية، هذا كل شيء».

أكمل راندو حديثه بسلاسة قائلًا: «وما الذي تعلمتِه؟».

ضحكت الفتاة وسألته: «كل شيء؟ الآن؟».

ابتسم الرجل العجوز برفق وقال: «حسنًا إذن، ما هو رأيك بشأن الموقف المجرّي؟».

قالت بايتا بإيجاز: «رأيي هو أن هناك أزمة من أزمات سيلدون على وشك الحدوث، وإن لم يكن الأمر كذلك فإننا قد ابتعدنا تمامًا عن خطة سيلدون، لقد فشل الأمر».

تمتم فران من الركن الجالس فيه: «يا لها من طريقة للحديث عن سيلدون». ولكنه لم يقل شيئًا بصوت مرتفع.

أخذ راندو نفسًا من غليونه ثم قال: «حقًّا؟ لماذا تقولين هذا؟ لقد ذهبت إلى القاعدة في شبابي وقد فكَّرت أيضًا ذات مرة في مثل هذه الأفكار الدرامية العظيمة، ولكن لم تقولين هذا الآن؟».

قالت بايتا: «حسنًا». ثم غامت عيناها بالأفكار وهي تغرس أصابع قدميها العارية في فراء السجادة الأبيض الناعم وتتكئ بذقنها على يدها الممتلئة قبل أن تقول: «يبدو لي أن جوهر خطة سيلدون كان خلق عالم أفضل من عالم الإمبراطورية المجرية القديم. هذا العالم كان آخذًا في الانهيار منذ ثلاثة قرون عندما أسس سيلدون القاعدة في بداية الأمر، وإن كان التاريخ يقول الحقيقة فقد كان ينهار بسبب المرض الثلاثي المتمثل في الركود والاستبداد وسوء توزيع موارد الكون».

أومأ راندو ببطء بينما كان توران يحدق بعينين لامعتين فخورتين إلى زوجته، في حين ظهر عدم الرضا على وجه فران وهو يعيد ملء كأسه بحرص.

قالت بايتا: «إن كانت حكاية سيلدون حقيقية فإنه قد تنبَّأ بالانهيار التام للإمبراطورية من خلال قوانين علم التاريخ النفسي، وكان قادرًا على التنبؤ بثلاثين ألف سنة من البربرية، قبل إنشاء إمبراطورية ثانية جديدة، لإعادة الحضارة والثقافة للبشرية. لقد كرَّس حياته لهدف وحيد وهو تهيئة الظروف التي تضمن تسريع عملية الإنعاش».

صاح فران بصوته العميق قائلًا: «ولهذا السبب أسس العظيم سيلدون القاعدتين».

وافقته بايتا قائلة: «ولهذا السبب أسس القاعدتين. كانت قاعدتنا عبارة عن حشد من العلماء من الإمبراطورية المحتضرة بهدف الوصول بالعلم والمعرفة الإنسانية إلى آفاق جديدة. وكانت القاعدة في موقع من الفضاء والبيئة التاريخية اختاره سيلدون بعناية حتى إنه قد توقع من خلال حساباته الدقيقة العبقرية أنه في غضون ألف سنة ستصير القاعدة إمبراطورية جديدة عظيمة».

كان هناك صمت مهيب.

قالت الفتاة بهدوء: «إنها حكاية قديمة، جميعكم تعرفونها، وقد عرفها كل إنسان في القاعدة طيلة ثلاثة قرون، ولكن خيل إليَّ أنه سيكون من المناسب إعادة حكيها باختصار. اليوم هو عيد ميلاد سيلدون، ورغم كوني من القاعدة وكونكم من هاڤِن إلا أن لدينا هذا القاسم المشترك...».

أشعلت سيجارة ببطء ونظرت إلى طرفها المتوهج بشرود ثم قالت: «إن قوانين التاريخ مطلقة كقوانين الفيزياء، وإن كانت احتمالات الخطأ أكبر فذلك لأن التاريخ لا يتعامل مع عدد كبير من البشر كعدد الذرات

التي تتعامل معها الفيزياء، لذلك فإن الاختلافات الفردية يكون لها قيمة أكبر. لقد تنبَّأ سيلدون بسلسلة من الأزمات عبر ألف سنة من النمو، وكل أزمة ستفرض تحولًا جديدًا في تاريخنا إلى مسار محسوب مسبقًا، هذه الأزمات هي التي توجه مسارنا، وبالتالي يجب أن تحدث أزمة الآن».

ثم كررت بحزم: «الآن! لقد مر قرن تقريبًا منذ آخر أزمة، وفي ذلك القرن تكررت كل عيوب الإمبراطورية في القاعدة؛ الركود! إن طبقتنا الحاكمة تعرف قانونًا واحدًا؛ لا تغيير. الاستبداد! إنهم يعرفون قاعدة واحدة؛ القوة. سوء توزيع الموارد! إنهم يعرفون رغبة واحدة؛ أن يكنزوا كل ما يمتلكونه».

صاح فران فجأة وهو يضرب بقبضته على يد كرسيه: «بينما يتضور الآخرون جوعًا! إن كلماتك درر يا فتاة. إن كروشهم الممتلئة بأكياس النقود تدمر القاعدة، بينما التجار الشجعان يخفون فقرهم في عوالم شحيحة الموارد كهاڤِن، إنها إهانة لاسم سيلدون، إلقاء للتراب في وجهه وبصق على لحيته». ثم رفع ذراعه عاليًا وشمخ برأسه قبل أن يقول: «لو كان لديَّ ذراعي الأخرى! لو أنهم استمعوا إليَّ ولو مرة واحدة!».

قال توران: «خذ الأمر ببساطة يا أبي».

قلده أبوه بوحشية قائلًا: «خذ الأمر ببساطة، خذ الأمر ببساطة»، ثم قال: «سوف نعيش هنا ـ ونموت هنا ـ إلى الأبد، وأنت تقول خذ الأمر ببساطة».

قال راندو وهو يشير بغليونه: «إن فران هذا هو لاثان ديڤرز المعاصر، لقد مات ديڤرز في مناجم العبيد منذ ثمانين عامًا مع والد جد زوجك لأنه كان يفتقر إلى الحكمة، ولكنه لم يكن يفتقر إلى العاطفة».

قال فران بحدة: «أجل بحق المجرة، كنت سأفعل الشيء ذاته لو كنت في موضعه، لقد كان ديڤرز أعظم تاجر في التاريخ، أعظم حتى من ذلك البالون المنتفخ مالو الذي يعبده القاعديون. إن كان السفاحون الذين يحكمون القاعدة قد قتلوه لأنه كان يحب العدالة، فإن ثأرنا معهم يكون أعظم».

تحطَّمت محاولات بايتا للتدخل بضعف في وجه الرياح العاتية.

مال توران ناحيتها ليضع يده على فمها وهو يقول ببرود: «أنت لم تذهب من قبل إلى القاعدة يا أبي. أنت لا تعرف شيئًا عنها. صدقني إن المجتمع السري هناك شجاع وجريء بما يكفي. يمكنني أن أقول لك إن بايتا كانت واحدة منهم...».

قال فران في ارتباك حقيقي: «حسنًا يا فتى، لا أقصد الإهانة ولكن ما سبب الغضب؟».

أكمل توران حديثه قائلًا بشكل محموم: «المشكلة تكمن فيك يا أبي؛ أنت تنظر إلى الأمر من منظور إقليمي، وتعتقد أنه اختباء قرابة مئة ألف تاجر في جحور في كواكب منبوذة في أطراف اللامكان يجعلهم أشخاص رائعين. إن أي جامع ضرائب من القاعدة يصل إلى هنا لا يُغادر مطلقًا بالطبع، ولكن هذا ادعاء بطولة رخيص. ماذا ستفعلون إن أرسلت القاعدة أسطولًا؟».

قال فران بحدة: «سوف نطلق عليه النار».

«وهم سيطلقون عليكم النار، وستكون كفتهم هم الراجحة، فهم يتفوقون عليكم في العدد والتسليح والتنظيم، وستدركون هذا بمجرد أن ترى القاعدة أن الأمر يستحق المحاولة. يجب عليكم أن تبحثوا عن حلفاء، في القاعدة ذاتها إن استطعتم».

قال فران وهو ينظر إلى أخيه كثور عظيم يائس: «راندو».

نظر راندو إلى غليونه وهو يبعده عن شفتيه ثم قال: «الفتى محق يا فران. عندما تنصت إلى الأفكار الصغيرة في أعماقك فستعرف أنه محق. ولكنها أفكار غير مريحة لذا فأنت تغرقها بصوتك العالي، ولكنها لا تزال هناك. سأخبرك يا توران لمَ بدأت الحديث في هذا الأمر برمته».

نفخ أنفاس غليونه مفكرًا لبعض الوقت ثم وضعه في الفتحة المخصصة في العلبة وانتظر الوميض الصامت قبل أن يخرجه نظيفًا. ثم أعاد تعبئته ببطء بضغطات دقيقة من أصابعه الصغيرة.

قال: «إن اقتراحك الصغير حول اهتمام القاعدة بنا يا توران هو في صلب الموضوع، لقد تلقَّينا زيارتين مؤخرًا من أجل الضرائب. المثير للقلق هو أن الزائر الثاني كان بصحبته سفينة دورية صغيرة. لقد هبطوا في مدينة جليار، بعيدًا عنا مرةً من باب التغيير، ولم يقلعوا مرة أخرى بطبيعة الحال. ولكنهم سيعودون مرة أخرى بالتأكيد، ووالدك يدرك هذا يا توران، يدرك هذا حقًّا.

انظر إلى هذا المستهتر العنيد، إنه يعرف أن هاڤِن في ورطة، ويعرف أننا عاجزون، ولكنه يعيد ترديد نفس الجمل المحفوظة، إنها تشعره بالدفء والأمان، ولكن ما إن يقول ما لديه ويزأر في تحدٍّ ويشعر أنه قد أدى واجبه كرجل وتاجر عظيم فإنه يصير عقلانيًّا كأي واحد منا».

سألته بايتا: «كأي واحد ممن؟».

ابتسم لها وقال: «لقد شكَّلنا مجموعة صغيرة يا بايتا؛ فقط في مدينتا. لم نفعل أي شيء بعد. لم نتمكن من التواصل مع المدن الأخرى حتى الآن، ولكنها بداية».

«ولكن ما الهدف؟».

هز راندو رأسه وقال: «نحن لا نعرف بعد، إننا نأمل حدوث معجزة، لقد توصلنا ـ كما قلتِ أنت ـ إلى أن هناك أزمة من أزمات سيلدون تلوح في الأفق بالتأكيد». ثم لوَّح بذراعيه على اتساعهما وقال: «إن المجرة مليئة بقطع متناثرة وشظايا من الإمبراطورية المحطمة، حشد من الجنرالات. ألا تعتقدين أنه قد يأتي وقت يصير فيه واحدٌ منهم جريئًا؟».

فكَّرت بايتا في الأمر، ثم هزَّت رأسها بحسم، حتى إن شعرها الطويل المفرود المعقوص في أطرافه قد التف حول أذنيها، ثم قالت: «لا، مستحيل، لا يوجد واحد من هؤلاء الجنرالات لا يعرف أن الهجوم على القاعدة يعد انتحارًا. كان بِل ريوز رجلًا أفضل من أي واحد منهم، وقد شن هجومه بكل الموارد المتاحة في المجرة، ولم يستطع أن ينتصر في وجه خطة سيلدون. هل هناك جنرال واحد لا يعرف هذا؟».

«ولكن ماذا لو أننا شجَّعناهم على ذلك؟».

«شجَّعناهم على ماذا؟ على الانتحار في نيران نووية؟ كيف يمكننا حتى أن نشجعهم؟».

«حسنًا، هناك شخص... شخص جديد، في العام الماضي أو العامين الماضيين ترددت أنباء عن شخص غريب يسمونه البغل».

فكَّرت قليلًا ثم قالت: «البغل؟ هل سمعت عنه من قبل يا توري؟».

هزَّ توران رأسه فقالت: «ماذا عنه؟».

«أنا لا أعرف، ولكنه قد حقق انتصارات ـ كما يقولون ـ باحتمالات مستحيلة. قد تكون الشائعات مبالغًا فيها، ولكن سيكون من المثير للاهتمام على أي حال التعرف عليه. لا يؤمن كل رجل لديه الامكانيات والطموح الكافيان بهاري سيلدون وقوانين التاريخ النفسي، يُمكننا أن نشجع عدم الإيمان هذا، وربما يشن هجومه».

«والقاعدة ستنتصر».

«أجل، ولكن الانتصار لن يكون سهلًا بالضرورة، قد تصير أزمة ويمكننا أن نستغل هذه الأزمة لفرض تسوية مع طغاة القاعدة. في أسوأ الأحوال سينسوننا لفترة كافية مما يمنحنا الفرصة للتخطيط بشكل أفضل».

«ما رأيك يا توري؟».

ابتسم توران ابتسامة شاحبة ثم أبعد خصلة شعر بنية سقطت على إحدى عينيه قبل أن يقول: «بالطريقة التي يصف بها الأمر لن تضير المحاولة. ولكن من هو هذا البغل؟ ما الذي تعرفه عنه يا راندو؟».

«لا شيء بعد، يمكننا أن نستعين بك في هذا الأمر يا توران، وزوجتك إن كانت راغبة. لقد تحدَّثت في هذا الأمر مع أبيك، تحدَّثنا في هذا الأمر بالتفصيل».

نظر الشاب لزوجته نظرة متسائلة سريعة، ثم قال: «بأي شكل يا راندو؟ ما الذي تريده منا؟».

«هل قضيتما شهر العسل؟».

«حسنًا... أجل... بإمكانك أن تسمي رحلتنا من القاعدة شهر عسل».

«ماذا عن شهر عسل أفضل على كالجان؟ إنه مكان شبه استوائي، شواطئ، ألعاب مائية، صيد طيور؛ مكان مثالي لقضاء عطلة. إنه على بعد قرابة سبعة آلاف فرسخ نجمي... ليس بعيدًا حقًّا».

«ما الذي يوجد على كالجان؟».

«البغل! رجاله على الأقل، فقد استولى عليه الشهر الماضي وبدون قتال، رغم أن أمير حرب كالجان قد بث تهديدًا بأنه سيفجر الكوكب إلى غبار أيوني قبل أن يتخلى عنه».

«ولكن أين أمير الحرب الآن؟».

قال راندو وهو يهز كتفيه: «لم يعد أمير حرب. والآن ما قولك؟».

«ولكن ماذا يُفترض أن نفعل؟».

«لا أعرف، أنا وفران عجوزان، وإقليميان. جميع تجار القاعدة هم في الأساس من الأقاليم، حتى أنت تقول هذا. إن تجارتنا من نوع مقيد للغاية، ونحن لا نجوب المجرة كما كان يفعل أسلافنا. دعني أتحدث يا فران! ولكن أنتما الاثنان تعرفان المجرة. بايتا على وجه الخصوص تتحدث بلكنة قاعدية لطيفة. نحن نرغب فقط في معرفة ما يمكنكم اكتشافه. إن استطعتم التواصل معه... ولكننا لا نتوقع هذا. فلتفكرا في الأمر، يمكنكما مقابلة مجموعتنا بالكامل إذا أردتما... ولكن ليس قبل الأسبوع التالي. يجب أن تحصلا على بعض الوقت لالتقاط أنفاسكما».

خيَّم الصمت لوهلة ثم صاح فران: «من يرغب في شراب آخر؟ أعني من غيري؟».

## الفصل الثاني عشر

# نقيب وعمدة

لم يكن النقيب هان بريتشر معتادًا على الرفاهية المحيطة به، ولم يكن منبهرًا بها بأي حال من الأحوال. بشكل عام لم يكن يشجع التحليل الذاتي وكل الأشياء الفلسفية والميتافيزيقية التي لا ترتبط مباشرة بعمله.

كان هذا مفيدًا، فقد كان عمله يتكون بشكل أساسي مما تصفه وزارة الحرب «بالمخابرات» ويصفه السفسطائيون «بالجاسوسية» ويصفه الحالمون «بأعمال التجسس». ولكن لسوء الحظ ورغم تشدق أجهزة التلفاز الصارخ إلا أن «المخابرات» و«الجاسوسية» و«أعمال التجسس» هي ـ في أحسن الأحوال ـ عمل قذر من الخيانة الروتينية والنوايا السيئة، يبرره المجتمع بأنه من صميم «مصلحة الدولة»، ولكن يبدو أن الفلسفة دومًا ما تؤدي بالنقيب بريتشر إلى استنتاج مفاده أنه حتى في هذه المصلحة المقدسة فإن مداهنة المجتمع أسهل بكثير من مداهنة المرء لضميره، لذا لم يكن يشجع الفلسفة.

والآن في غرفة الانتظار الفارهة بمكتب العمدة تحوَّلت أفكاره إلى الداخل رغمًا عنه.

لقد ترقَّى الرجال فوق رأسه باستمرار على الرغم من أنهم أقل كفاءة منه، وكان هذا الأمر معترفًا به، لقد صمد في وجه وابل من العلامات السوداء والتوبيخ الرسمي، ونجا منه. لقد تمسَّك بعناد بطريقته الخاصة في الاعتقاد الراسخ بأن عصيان الأوامر من أجل «مصلحة الدولة» المقدسة ذاتها سوف يُنظر إليه باعتباره خدمة جليلة.

لذا ها هو ذا هنا في غرفة الانتظار بمكتب العمدة مع خمسة من الجنود كحراس محترمين، وهناك محاكمة عسكرية في انتظاره على الأرجح.

انزلق البابان الرخاميان الثقيلان بسلاسة وهدوء، ليكشفا عن جدران حريرية وسجاد من البلاستيك الأحمر وبابين رخاميين آخرين مطعمين بالمعدن بالداخل. خطا إلى الخارج موظفان يرتديان الزي الرسمي ذا الخطوط المستقيمة الذي يعود طرازه إلى ثلاثة قرون ليُناديا: «إذن بدخول النقيب هان بريتشر من الاستخبارات».

ثم خطيا إلى الوراء بانحناءة رسمية بينما النقيب يتقدم إلى الأمام. توقَّف الجنود المصاحبون له عند الباب الخارجي، بينما دلف هو وحده عبر الباب الداخلي.

على الجانب الآخر من البابين في غرفة كبيرة وبسيطة بشكل غريب وراء مكتب كبير حاد الزوايا بشكل غريب يجلس رجل ضئيل يكاد أن يضيع في ضخامة المكان.

كان العمدة إندبور ـ الثالث على التوالي من هذا الاسم ـ هو حفيد إندبور الأول الذي كان وحشيًّا وبارعًا، والذي أظهر الصفة الأولى بطريقة مذهلة من خلال استيلائه على السلطة، وأظهر الصفة الثانية بالطريقة

التي وضع بها حدًّا لآخر البقايا الهزلية من الانتخابات الحرة، والبراعة الأكبر التي حافظ بها على حكم سلمي نسبيًّا.

العمدة إندبور كان أيضًا ابن إندبور الثاني، الذي كان أول عمدة في القاعدة يصل إلى هذا المنصب بالوراثة، والذي كان يمثل نصف أبيه، فقد كان وحشيًّا فقط.

لذا فقد كان العمدة إندبور الثالث في الاسم، وثاني من يصل إلى المنصب بالوراثة، الأضعف بين الثلاثة، فلم يكن وحشيًّا ولا بارعًا، بل مجرد مسؤول حسابات ممتاز وُلِد بشكل خاطئ.

كان إندبور الثالث مزيجًا غريبًا من السمات الشخصية المصطنعة أمام الجميع عدا نفسه.

بالنسبة له كان الحب الهندسي المتكلف للتنسيق هو «النظام»، والاهتمام المحموم الذي لا يعرف الملل أو الكلل بأتفه الجوانب البيروقراطية اليومية هو «الصناعة»، والتردد عند الصواب هو «الحذر»، والعناد الأعمى عند الخطأ هو «العزيمة».

وبالإضافة إلى هذا فإنه لم يهدر مالًا ولم يقتل أحدًا بلا داعٍ، وكان حسن النية تمامًا.

كانت أفكار بريتشر القاتمة تسير على هذا المنوال بينما هو واقف في مكانه باحترام أمام المكتب الكبير، ولكن ملامحه الخشبية لم تُبدِ أدنى دلالة على تلك الحقيقة. لم يسعل أو يتململ في موضعه أو يحرك قدميه حتى رفع العمدة وجهه النحيل ببطء بينما القلم المنشغل يتوقَّف عن مهمة تدوين الهوامش، وهو يرفع الورقة ذات الخطوط الرفيعة من كومة مرتبة لتوضع على كومة مرتبة أُخرى.

شبك العمدة إندبور يديه بعناية أمام وجهه متعمدًا عدم إفساد الترتيب الدقيق لكماليات مكتبه.

قال مُبديًا معرفته بالشخص الواقف أمامه: «النقيب هان بريتشر من الاستخبارات».

في طاعة صارمة للبروتكول ثنى النقيب بريتشر إحدى ركبتيه حتى لامست الأرض تقريبًا وأحنى رأسه حتى سمع الكلمات التي تعفيه من هذا.

«انهض أيها النقيب بريتشر».

قال العمدة بنبرة حميمية متعاطفة: «أنت هنا أيها النقيب بريتشر بسبب إجراءات تأديبية معينة اتخذها ضدك أحد رؤسائك. لقد وصلت الأوراق المتعلقة بمثل هذه الإجراءات إليَّ كما تجري الأمور في المعتاد، وبما أنه لا يوجد حدث في القاعدة لا يثير اهتمامي فقد تكبدت عناء السؤال عن المزيد من المعلومات حول قضيتك. آمل أنك لست متفاجئًا».

قال النقيب بريتشر بنبرة خالية من المشاعر: «أنا لست متفاجئًا فخامتك، فعدالتكم يُضرَب بها المثل».

قال العمدة: «حقًّا؟ حقًّا؟». كان صوته يشي بالسرور، وقد عكست العدسات الملونة التي يرتديها الضوء بطريقة أضفت على عينيه بريقًا حادًّا جافًّا. ثم بسط أمامه سلسلة من المجلدات ذات الغلاف المعدني. كانت الأوراق السميكة بالداخل تصدر صوت طقطقة حادًّا وهو يقلبها، وكان يمرر إصبعه الطويل لأسفل عبر السطور وهو يتحدث.

«أنا لديَّ تقريرك هنا أيها النقيب، كاملًا. أنت تبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، وكنت ضابطًا في القوات المسلحة لمدة سبعة عشر عامًا. لقد وُلِدت في لوريس، لوالدين من أناكريون، لا توجد أمراض طفولة خطيرة، نوبة قلبية... حسنًا هذا لا يهم... التعليم ما قبل العسكري في أكاديمية العلوم، التخصص المحركات الفائقة، المكانة الأكاديمية... هممم، جيد للغاية، يجب عليَّ أن أهنئك... التحقتَ بالجيش كضابط متدرب في اليوم الثاني بعد المئة من العام 293 من حقبة القاعدة».

رفع عينيه لوهلة وهو يزيح المجلد الأول ويفتح المجلد الثاني وقال: «إن إدارتي كما ترى لا تترك شيئًا للصدفة؛ ترتيب! نظام!».

ثم رفع إلى شفتيه كرة هلام وردية معطرة، كانت هذه هي شهوته الوحيدة، ولكنه ينغمس فيها بشغف، والشاهد على هذه الحقيقة هو أن مكتب العمدة يفتقر إلى هذه المحرقة الذرية التي توجد في كل مكانٍ تقريبًا من أجل التخلص من أعقاب السجائر، فالعمدة لا يدخن، وضيوفه كذلك لا يدخنون بطبيعة الحال.

تردد صوت العمدة في همهمات ممنهجة رتيبة، يتخللها بين الحين والآخر بعض التعليقات الهامسة من الثناء أو التأنيب بشكل لطيف وغير فعَّال بالقدر ذاته.

ببطء أعاد ترتيب المجلدات كما كانت في كومة واحدة منظمة.

قال بحيوية: «حسنًا أيها النقيب، إن تقريرك غير معتاد؛ يبدو أن قدراتك لا تُضاهى، وخدماتك قيمة بشكل لا يقبل الشك. لاحظت أنك قد أُصبت مرتين أثناء تأدية الواجب العسكري، وأنك قد مُنِحت وسام الاستحقاق لشجاعتك فيما يتجاوز نداء الواجب، هذه الحقائق لا يُمكن ببساطة التقليل من شأنها».

لم تلِن ملامح النقيب بريتشر الخالية من التعبيرات، وبقي منتصبًا بشكل صارم. يقتضي البروتوكول عدم جلوس الشخص الذي ينال شرف مقابلة العمدة، وهي نقطة قد لا تحتاج إلى تأكيد بسبب حقيقة أن هناك كرسيًّا واحدًا موجودًا في الغرفة؛ الكرسي الموجود أسفل العمدة. كما يقتضي البروتوكول أيضًا عدم النطق بأي كلمات سوى تلك المطلوبة للإجابة على سؤال مباشر.

حدج العمدة الجندي بنظره وقد ازدادت نبرته حدة وصرامة وهو يقول: «ومع ذلك فأنت لم تتلقَّ أي ترقية منذ عشر سنوات، ويبلغ رؤساؤك مرارًا وتكرارًا عن عنادك الذي لا يلين. تقول عنك التقارير إنك متمرد بشكل ميؤوس منه، وإنك غير قادر على الحفاظ على السلوك الصحيح تجاه الضباط الأعلى منك رتبة، ويبدو أنك غير مهتم بالحفاظ على علاقة خالية من الاحتكاك مع زملائك، وأنك بالإضافة إلى هذا مشاغب بشكل لا يمكن علاجه. كيف يمكنك تفسير هذا أيها النقيب؟».

«أنا أفعل ما أعتقد أنه صواب فخامتك، إن أفعالي لصالح الدولة، وجراحي في سبيل هذه القضية تشهد على أن ما يبدو لي صوابًا هو أيضًا في مصلحة الدولة».

«هذه بسالة منك أيها النقيب، ولكنه مبدأ خطير أيضًا، سوف نتحدث عن هذا بالمزيد من التفصيل لاحقًا. أنت متهم على وجه التحديد برفض التكليف ثلاث مرات في عصيان للأوامر التي وقَّعها نوابي الرسميون.

ما قولك فيما يوجَّه إليك؟».

«إن التكليف يفتقر إلى الأهمية في وقت حرج فخامتك، بينما يتم تجاهل مسائل ذات أهمية قصوى».

«ومن قال لك إن هذه الأمور التي تتحدث عنها ذات أهمية قصوى من الأساس، وإن كان الأمر كذلك فمن أخبرك أنه يتم تجاهلها؟».

«هذه الأشياء واضحة تمامًا بالنسبة لي فخامتك. إن خبرتي ومعرفتي بالأحداث ـ الميزة التي لا يُنكرها رؤسائي ـ تجعل هذا واضحًا بالنسبة لي».

«ولكن هل أنت أعمى أيها النقيب العزيز حتى لا ترى أنه بمنح نفسك الحق لتحديد سياسة المخابرات فإنك تتعدى على واجبات رئيسك؟».

«إن واجبي فخامتك هو تجاه الدولة في المقام الأول وليس تجاه رئيسي».

«هذه مغالطة، فرئيسك له رئيسه، وهذا الرئيس هو أنا، وأنا الدولة. بالطبع ليس لديك سبب لأن تشتكي من عدالتي التي تقول عنها إنها يُضرب بها المثل. فلتصف بكلماتك طبيعة خرق الانضباط الذي تسبب في حدوث كل هذا».

«إن واجبي فخامتك هو تجاه الدولة في المقام الأول، لا أن أعيش حياة تاجر فضائي متقاعد على كوكب كالجان. إن تعليماتي هي توجيه نشاط القاعدة على هذا الكوكب، وعمل منظومة متقنة تعمل كرادع لأمير الحرب في كالجان، ولا سيما فيما يتعلق بسياسته الخارجية».

«أنا أعرف هذا. فلتكمل!».

«إن تقاريري فخامتك قد شددت باستمرار على أهمية المواقع الاستراتيجية لكالجان والمجموعات الشمسية التي يتحكم فيها. لقد أبلغت عن طموحات أمير الحرب وموارده وتصميمه على توسيع نطاق نفوذه، وصداقته الجوهرية ـ أو ربما حياده ـ تجاه القاعدة».

«لقد قرأت تقاريرك بتمعن. فلتكمل!».

«لقد عدت منذ شهرين فخامتك، في ذلك الوقت لم يكن هناك أي إشارة على حرب وشيكة، ولا دليل على أي شيء سوى قدرة كالجان التامة على ردع أي هجوم يمكن تصوره. منذ شهر تقريبًا استولى جندي مجهول ومحظوظ على كالجان بدون قتال، يبدو أن الرجل الذي كان فيما مضى أمير حرب كالجان لم يعد على قيد الحياة. الناس لا يتحدثون عن خيانة، إنهم يتحدثون فقط عن قوة وعبقرية هذا القائد الغريب... هذا البغل».

مال العمدة إلى الأمام وقال باستياء: «الـ ماذا؟».

«إنه معروف باسم البغل فخامتك. لا يعرف عنه إلا القليل، بالمعنى الحرفي، ولكني جمعت قصاصات وشذرات هذه المعرفة، واخترت من بينها الأكثر ترجيحًا؛ يبدو أنه رجل بلا نسب أو مكانة. أبوه مجهول، أمه ماتت أثناء ولادته. طفولته ونشأته نشأة متشرد. تعليمه هو تعليم الكواكب المتسولة وأزقة الفضاء القذرة.

ليس له اسم آخر سوى البغل، وهو الاسم الذي يُقال إنه قد أطلقه على نفسه، والذي يُشير ـ بناء على التفسير الشائع ـ إلى قوته البدنية الهائلة وعناده في تحقيق غرضه».

«ما هي قوته العسكرية أيها النقيب؟ دعك من قوته البدنية».

«إن الناس يتحدثون عن أساطيل ضخمة فخامتك، ولكن ربما يكونون متأثرين بسقوط كالجان الغريب. المنطقة التي يبسط عليها نفوذه ليست كبيرة، على الرغم من عدم إمكانية تقدير حدودها الدقيقة بشكل قاطع، ومع هذا يجب التحقيق في أمر هذا الرجل».

قال العمدة وهو يغرق في تفكير عميق: «هممم، هكذا إذن!». ثم ببطء وبأربع وعشرين ضربة من قلمه رسم ستة مربعات في ترتيب سداسي الشكل على الورقة العلوية الفارغة في مفكرته، قبل أن يمزقها ويطويها إلى ثلاثة أجزاء، ويضعها في فتحة التخلص من الأوراق الموجودة على يمينه، فانزلقت بسلاسة وصمت إلى تفكك ذري.

«والآن فلتخبرني أيها النقيب؛ ما هو البديل؟ لقد أخبرتني بما يجب التحقيق فيه من وجهة نظرك. ولكن ما الذي تلقيت أمرًا بالتحقيق فيه؟».

«هناك وكر في الفضاء فخامتك يبدو أنه يتهرب من الضرائب».

«آه، وهذا كل شيء؟ ألا تدرك ـ ألم يخبروك ـ أن هؤلاء الرجال الذين لا يدفعون ضرائبهم هم أحفاد التجار الطائشين الذين كانوا في الأيام الخوالي؛ إنهم فوضويون، متمردون، مهووسون اجتماعيًّا، يدعون أن أسلافهم هم أصل القاعدة، ويستهزئون بثقافة القاعدة. ألا تدرك ـ ألم يخبروك ـ أن هذا الوكر في الفضاء ليس وكرًا واحدًا، بل أوكار عديدة، وأن عدد هذه الأوكار أكبر مما نعرف، وأن هذه الأوكار تتآمر مع بعضها، ومع كل عناصر الإجرام التي لا تزال موجودة في نطاق نفوذ القاعدة. حتى هنا أيها النقيب، حتى هنا!».

ثم هدأ غضب العمدة اللحظي على الفور وهو يقول: «ألا تدرك هذا أيها النقيب؟».

«لقد أخبروني بكل هذا فخامتك، ولكن بصفتي خادمًا للدولة فيجب أن أخدمها بإخلاص، وأعظم خدمة يمكن أن يقدمها المرء هي قول الحقيقة، مهما كانت التداعيات السياسية لهؤلاء الحثالة من التجار القدماء، فإن أمراء الحرب الذين ورثوا شظايا الإمبراطورية القديمة لديهم القوة، التجار ليس لديهم التسليح ولا الموارد، إنهم ليسوا حتى على قلب رجل واحد. أنا لست جابي ضرائب لكي أُرسل في مهمة طفولية».

«أنت جندي أيها النقيب بريتشر، وعليك إطاعة الأوامر. إن السماح لك بالوصول إلى نقطة عصيان أوامري الشخصية لهو شيء مخزٍ. احترس، فعدالتي ليست ضعفًا. لقد ثبت أيها النقيب أن جنرالات العصر الإمبراطوري وأمراء الحرب في العصر الحالي عاجزون عن مواجهتنا على حد سواء. إن علم سيلدون الذي يتنبَّأ بمسار القاعدة لا يعتمد على البطولات الفردية ـ كما تعتقد أنت على ما يبدو ـ ولكن على توجهات التاريخ الاجتماعية والاقتصادية. لقد نجحنا في اجتياز أربع أزمات بالفعل، أليس كذلك؟».

«بلى فخامتك، ولكن علم سيلدون معروف لسيلدون وحده، أما نحن فلا نملك سوى الإيمان، في الأزمات الثلاث الأولى ـ كما تعلَّمت بدقة ـ كان يقود القاعدة قادة حكماء تنبَّأوا بطبيعة الأزمات واتخذوا الإجراءات الاحترازية اللازمة. من يعرف ماذا كان يمكن أن يحدث لولاهم».

«أجل أيها النقيب ولكنك أغفلت الأزمة الرابعة، بربك أيها النقيب، لم يكن لدينا أي قادة يستحقون اللقب حينها، وقد واجهنا أبرع خصم وأقوى تسليح والقوة الأكبر على الإطلاق، ومع هذا فقد انتصرنا بحتمية التاريخ».

«هذا حقيقي فخامتك، ولكن هذا التاريخ الذي ذكرته صار حتميًّا فقط بعد أن حاربنا بيأس لأكثر من عام. هذا الانتصار الحتمي الذي حققناه قد كلَّفنا نصف ألف سفينة ونصف مليون رجل. إن خطة سيلدون فخامتك تساعد فقط هؤلاء الذين يساعدون أنفسهم».

عقد العمدة إندبور حاجبيه وأحس بالملل فجأة من الشرح بصبر. خطر على باله أن هناك مغالطة في التسامح، إنهم يعتبرونه إذنًا بالمجادلة إلى الأبد، بالتمادي في الخلاف، بالانغماس في المحاججة.

قال بصرامة: «ومع ذلك أيها النقيب فسيلدون يضمن انتصارانا على أمراء الحرب، ولا يُمكنني في هذه الأيام المليئة بالأحداث أن أنغمس في تبديد الجهود. هؤلاء التجار الذين تقلل من شأنهم منشقون عن القاعدة، الحرب معهم ستكون حربًا أهلية، خطة سيلدون لا تضمن انتصارنا، بما أننا نحن وهم القاعدة. لذا يجب إخضاعهم، هذه هي الأوامر الموجهة لك».

«فخامتك...».

«لم يوجَّه إليك أي سؤال أيها النقيب. لديك أوامرك، وستطيع هذه الأوامر، فأي جدال من أي نوع معي أو مع هؤلاء الذين يمثلونني سيُعد خيانة. فلتنصرف».

انحنى النقيب هان بريتشر على ركبته مرة أخرى، ثم غادر بخطوات بطيئة متراجعة إلى الوراء.

العمدة إندبور، الثالث في اسمه، ثاني عمدة في تاريخ القاعدة بحق الوراثة، استعاد توازنه، ورفع ورقة أُخرى من كومة مرتبة على يساره. كان تقريرًا عن توفير في المال بسبب تقليل كمية الحواف المعدنية في الزي الرسمي لقوات الشرطة. شطب العمدة إندبور على فاصلة غير ضرورية وصحح خطأً إملائيًّا وكتب ثلاث ملحوظات في الهوامش ثم وضعها على الكومة المرتبة على يمينه. رفع ورقة أُخرى من الكومة المرتبة التي على يساره...

النقيب هان بريتشر من الاستخبارات وجد كبسولة شخصية في انتظاره عندما عاد إلى الثكنات، تحتوي على أوامر مقتضبة وقد وضع عليها خاتم أحمر يحمل كلمة «عاجل»، وتبدأ كلها بكلمة «أنا» بأحرف كبيرة ودقيقة.

كانت أوامر النقيب هان بريتشر هي الذهاب إلى «كوكب المتمردين المدعو هاڤِن» بكلمات شديدة اللهجة.

النقيب هان بريتشر وحده في سفينته الفضائية السريعة الخفيفة التي تحمل رجلًا واحدًا حدد مساره بهدوء وصمت إلى كالجان. لقد نام هذه الليلة نوم رجل عنيد ناجح.

## الفصل الثالث عشر

# ملازم ومهرج

إن كان سقوط كالجان في وجه جيوش البغل من على بعد سبعة آلاف فرسخ نجمي قد نتج عنه أصداء أثارت فضول تاجر عجوز وتخوف نقيب عنيد وانزعاج عمدة شديد التدقيق، فبالنسبة لقاطني كالجان نفسها لم ينتج عنه شيء ولم يُثِر أي شخص. إنه الدرس الراسخ للبشرية أن زيادة المسافة في الزمان والفضاء تضاعف من وضع الأمر في بؤرة الاهتمام، ولم تُدَوِّن سجلات التاريخ أن أحدًا قد تعلَّم هذا الدرس بشكل قاطع.

لم يكن كالجان سوى... كالجان. يبدو أنه وحده في هذا الربع من المجرة الذي لا يعرف أن الإمبراطورية قد سقطت وأن آل ستانيل لم يعودوا يحكمون، وأن العظمة قد اندثرت، والسلام قد تلاشى.

كان كالجان كوكبًا للرفاهية، وبينما صرح الحضارة البشرية يتهاوى فقد حافظ على مكانته كمنتج للمتعة، ومشترٍ للذهب، وبائع للترفيه.

لقد نجا من تقلبات التاريخ الأكثر قسوة، فأي منتصر سيدمر كوكبًا ـ أو حتى يُلحق به الضرر ـ مليئًا بالنقود الجاهزة التي يُمكنها أن تشتري الحصانة؟

ورغم ذلك قد صار كالجان في نهاية المطاف المقر الرئيسي لأحد أمراء الحرب وقد تناقصت مرونته من أجل مقتضيات الحرب.

كانت غاباته المشذَّبة وشواطئه المصممة بشكل معتدل ومدنه البراقة المبهرجة تردد أصداء المرتزقة المُستأجَرين والمواطنين المنبهرين، ولأول مرة في تاريخه تم تسليح كل الكواكب الواقعة في نطاق نفوذه واستثمار أموالها في السفن الحربية بدلًا من الرشاوى. لقد أثبت حاكمه بما لا يدع مجالًا للشك أنه عازم على الدفاع عما يملكه وأنه يتطلع للاستيلاء على ما يملكه الآخرون.

لقد كان رجلًا عظيمًا في المجرة، صانع حرب وسلام، باني إمبراطورية، ومؤسسًا لسلالة حاكمة.

وقد نال منه ومن جيوشه ومن إمبراطوريته الوليدة شخص مجهول بلقب سخيف، بدون حتى أن يخوض معركة واحدة.

وهكذا عاد كالجان لسابق عهده، وأسرع مواطنوه بأزيائهم الرسمية عائدين إلى حياتهم القديمة بينما خبراء الحرب الأجانب يندمجون بسهولة مع الفرق الجديدة الوافدة.

ومجددًا كما هو الحال دائمًا كان هناك رحلات ترفيهية متقنة لصيد حيوانات الأدغال المستأنسة، التي لم تقتل يومًا إنسانًا، ومطاردة الطيور بالسفن السريعة في الغلاف الجوي العلوي، التي لا تقتل إلا الطيور العظيمة.

في المدن يمكن للهاربين من المجرة أن ينخرطوا في أنواع مختلفة من المتعة تناسب ما يمكنهم إنفاقه، من قصور السماء الأثيرية للمشاهدة والخيال التي تفتح أبوابها للجمهور مع صليل عملة نقدية تساوي نصف نقطة، إلى المزارات المجهولة غير الملحوظة، التي لا يعلم بشأنها إلا أصحاب الثروات الضخمة.

لم يُضف توران وبايتا شيئًا لهذا الفيضان، ولا قطرة واحدة. لقد سجَّلا سفينتهما في حظيرة السفن العامة الضخمة في شبه الجزيرة الشرقية، وقد انجذبا إلى الحل الوسط الذي تلجأ إليه الطبقات المتوسطة؛ البحر الداخلي، حيث الملذات لا تزال قانونية بل وتحظى بالاحترام، والحشود لا تتجاوز قدرتهما على الاحتمال بعد.

كانت بايتا ترتدي نظارة سوداء لتحمي عينيها من الضوء، وروبًا أبيض خفيفًا ليحمي جسدها من الحرارة. ضمَّت ركبتيها إلى صدرها بذراعين صبغتهما الحرارة بلون ذهبي كلون الشمس، وحدَّقت بنظرات حازمة ومبهمة إلى جسد زوجها الطويل الممدود الذي يكاد أن يتلألأ في بريق الشمس الأبيض.

لقد قالت له في البداية: «لا تبالغ في الأمر». ولكن توران كان قادمًا من نجم أحمر محتضر، ورغم بقائه لثلاث سنوات في القاعدة، إلا أن ضوء الشمس كان بمثابة رفاهية، وطيلة الأيام الأربعة الماضية لم تشعر بشرته ـ التي عولجت مسبقًا لمقاومة الأشعة ـ بخشونة الملابس إلا باستثناء السراويل القصيرة.

كانت بايتا تجلس بالقرب منه على الرمال وهما يتحدثان بصوت هامس.

كان صوت توران كئيبًا وهو يطفو ببطء من وجهه المسترخي قائلًا: «لا، أنا أعترف أننا لم نصل لشيء بعد، ولكن أين هو؟ من هو؟ هذا الكوكب المجنون لا يقول شيئًا عنه. ربما لا وجود له».

قالت بايتا دون أن تحرك شفتيها: «إنه موجود، ولكنه بارع. وعمك محق، يُمكننا الاستفادة من هذا الرجل، إن كان هناك وقت».

خيَّم الصمت لوهلة ثم همس توران: «هل تعرفين ما الذي كنت أفعله يا باي؟ كانت تراودني أحلام اليقظة، وأنا مسترخٍ في أشعة الشمس. إن الأشياء تكشف عن نفسها بدقة، بطريقة جميلة». خفت صوته حتى تلاشى تقريبًا، ثم عاد مرة أخرى وهو يقول: «هل تذكرين الجرأة التي كان دكتور آمان يتحدث بها في الكلية يا باي؟ لا يمكن للقاعدة أن تخسر أبدًا، ولكن هذا لا يعني أن حكام القاعدة لا يمكنهم أن يخسروا. ألم يبدأ تاريخ القاعدة الحقيقي عندما أزاح سالڤور هاردين الموسوعيين واستولى على كوكب تيرمينوس ليصير أول عمدة؟ وبعد ذلك في القرن التالي، ألم يصل هوبر مالو إلى السلطة بطرق حاسمة مشابهة؟ هاتان مرتان هُزِم فيهما الحكام، لذا يُمكن فعل هذا الأمر، فلماذا لا نفعله نحن؟».

«هذه أقدم حجة في التاريخ يا توري، يا لها من مضيعة لوقت استرخاء جميل».

«أهي كذلك حقًّا؟ فكري في الأمر، ما هو هاڤِن؟ أليس جزءً من القاعدة؟ إن صارت الغلبة لنا فستظل القاعدة هي الرابحة، ومن سيخسر هم فقط الحكام الحاليون».

«هناك الكثير من الاختلافات بين «يُمكننا» و«سنفعل». أنت تثرثر فقط».

قال توران بحرج: «هراء، أنتِ فقط في واحدة من حالاتك المزاجية السيئة. لِمَ ترغبين في إفساد متعتي؟ سأخلد إلى النوم إن كنتِ لا تمانعين».

ولكن بايتا كانت تشرئب بعنقها، وفجأة ضحكت بشكل غير متوقع، وخلعت نظارتها وهي تنظر عبر الشاطئ، بينما تستخدم راحة يدها فقط لتظليل عينيها.

نظر توران إليها ثم رفع كتفيه وأدار رأسه لينظر إلى حيث تنظر.

كانت ـ على ما يبدو ـ تنظر إلى شخص رشيق، قدميه في الهواء ويقف على يديه لتسلية جمهور عشوائي. كان أحد المتسولين البهلوانيين المحتشدين على الشاطئ الذين تنثني مفاصلهم المرنة وتنكسر من أجل العملات التي تُرمى إليهم.

كان هناك أحد حراس الشاطئ يُشير إليه وهو يقترب منه، وبتوازن مذهل على يد واحدة وضع المهرج إبهام يده الأُخرى في أنفه في إشارة مقلوبة. اقترب الحارس منه بشكل متوعد ثم ترنح إلى الوراء مع قدم في معدته. اعتدل المهرج دون أن يُقاطع حركة الركلة الأولية ثم هرب مبتعدًا، بينما الحشد غير المتعاطف مع الحارس يعرقله والزبد يسيل من فمه.

شق المهرج طريقه بحركة متقطعة عبر الشاطئ، تخطى الكثير من الأشخاص وتردد كثيرًا، ولم يتوقف في أي مكان.

قالت بايتا باستمتاع: «يا له من رجل غريب الأطوار». فوافقها توران بلا اكتراث. كان المهرج قد اقترب منهما بما يكفي لكي يرياه بوضوح. وجهه النحيف منكمش وأنفه ضخم بأرنبة سمينة. كانت أطرافه الطويلة النحيفة، وجسده العنكبوتي الذي يبرزه الزي الذي يرتديه، يتحركون بيسر ورشاقة، ولكن بشكل يوحي بأن كل شيء قد اجتمع معًا بشكل عشوائي.

كان النظر إليه يُجبر المرء على الابتسام.

بدا أن المهرج قد أدرك فجأة أن هناك من ينظر إليه، فقد توقف بعد أن تجاوزهما، ثم التفت بحدة واقترب منهما، وعيناه البنيتان الكبيرتان تحدقان إلى بايتا.

أحسَّت فجأة بالارتباك.

ابتسم المهرج، ولكن هذا جعل وجهه المدبب أكثر حزنًا، وعندما تحدث كان صوته هادئًا وبجمل متقنة تحمل لكنة القطاعات المركزية.

قال: «لو استخدمت الفطنة التي منحتني إياها الأرواح الطيبة فحينها سأقول إن هذه السيدة لا وجود لها في الواقع؛ فأي رجل عاقل قد يظن أن الحلم حقيقة؟ ولكني أفضل ألا أكون عاقلًا وأن أصدق عينيّ المسحورتين المفتونتين».

■ تم نشر هذا الكتاب من خلال قناة رف 404 | للمزيد من الكتب تفضلوا بزيارة قناتنا على تيليجرام ■ Rff404

فتحت بايتا عينيها على اتساعهما وقالت: «واو!».

ضحك توران وقال: «يا لكِ من ساحرة. بربك يا باي، إنه يستحق عملة بقيمة خمس نقاط مقابل هذا، دعيه يحصل عليها».

ولكن المهرج قفز إلى الأمام وقال: «لا يا سيدتي، لا تسيئي فهمي. أنا لا أتحدث من أجل النقود على الإطلاق، بل من أجل عينين برَّاقتين ووجه جميل».

قالت بايتا: «حسنًا، شكرًا لك». ثم التفتت إلى توران وقالت بدهشة وابتهاج: «هل تعتقد أنه ثمل؟».

قال المهرج بكلمات متسارعة تسبق بعضها بعضًا في جنون متزايد: «وليس فقط من أجل العينين والوجه، ولكن أيضًا من أجل عقل صافٍ ومتماسكٍ... وعطوفٍ أيضًا».

اعتدل توران واقفًا على قدميه ومد يده إلى الروب الأبيض الذي كان يطويه حول ذراعه لمدة أربعة أيام، ثم ارتداه، قبل أن يقول: «حسنًا يا صديقي، لم لا تخبرني بما تريده وتتوقف عن إزعاج السيدة».

تراجع المهرج إلى الوراء خطوة مذعورة، وقد انكمش جسده النحيل، ثم قال: «أنا لم أقصد أي اساءةٍ بالتأكيد. أنا غريب هنا وقد قيل لي إنني أملك فطنة وفراسة. ولكن هناك شيئًا في هذا الوجه لا يُمكنني سبر أغواره. وراء جمال هذه السيدة هناك قلب عطوف سيمد لي يد العون في مشكلتي لأنني أتحدث بكل جرأة».

قال توران بخشونة وهو يمد إليه بعملة معدنية: «هل ستحل خمس نقاط من الرصيد مشكلتك؟».

ولكن المهرج لم يتحرك ليأخذها، فقالت بايتا: «دعه يتحدث يا توري». ثم أضافت على الفور بنبرة خافتة: «لا داعي للانزعاج من طريقته السخيفة في الحديث، إنها لهجته فقط، وكلامنا على الأرجح غريب عليه».

قالت: «ما هي مشكلتك؟ أنت لست قلقًا بشأن الحارس، أليس كذلك؟ إنه لن يضايقك».

«أوه، لا، ليس هو. إنه مجرد هبة رياح تثير الغبار حول كاحليّ. هناك شخص آخر أهرب منه؛ وهو عاصفة تجتاح العوالم وتُلقي بها جانبًا وتقذفها لتصطدم ببعضها بعضًا. منذ أسبوع هربت، ونمت في شوارع المدينة، واختبأت في حشودها. لقد بحثت في وجوه عديدة عن المساعدة التي أحتاجها، وقد عثرت عليها هنا». كرر جملته الأخيرة بنبرة قلقة أكثر رقة وعيناه الواسعتان مهمومتين. «لقد عثرت عليها هنا».

قالت بايتا بعقلانية: «أنا أود المساعدة، ولكن في الواقع يا صديقي أنا لست درعًا واقيًا في وجه عاصفة تجتاح العوالم. الحقيقة هي أني أحتاج مَنْ ...».

ثم وصل إلى مسامعهم صوت قوي مرتفع: «ها أنت ذا أيها الوغد القذر...».

لقد كان حارس الشاطئ بوجه محتقن بالدماء وفم مزمجر يقترب منهم راكضًا، وهو يصوب مسدسه الصاعق منخفض الطاقة.

«أمسكا به أنتما الاثنان، لا تدعاه يهرب». ثم هوى بيديه الثقيلتين على كتفي المهرج النحيفتين فصدر منه صوت أنين.

قال توران: «ما الذي فعله؟».

قال الحارس: «ما الذي فعله؟ ما الذي فعله؟ يا لها من مزحة!». ثم مد يده إلى داخل الجيب المتدلي من حزامه وأخرج منديلًا بنفسجيًّا مسح به رقبته العارية قبل أن يقول: «سأخبرك ما الذي فعله، لقد هرب، إن الخبر منتشر في كالجان بأسره وكنت سأتعرف عليه من قبل لو كان واقفًا على قدميه لا على وجهه الشبيه بالمنقار». ثم هز فريسته بروح دعابة عنيفة.

قالت بايتا بابتسامة: «من أين هرب يا سيدي؟».

رفع الحارس صوته، كان هناك حشد من الناس يتجمع حوله بأعين جاحظة وثرثارة، ومع تزايد الجمهور ازداد إحساس الحارس بأهميته بصورة مطردة.

صاح الحارس بسخرية: «من أين هرب؟ أفترض أنكِ سمعتِ عن البغل».

توقَّفت كل الثرثرة وأحست بايتا فجأة بقشعريرة باردة في معدتها. لم يكن المهرج ينظر إلا إليها وهو لا يزال يرتجف في قبضة الحارس القوية.

أكمل الحارس بصوت مرتفع: «ومن يكون هذا الأحمق الشيطاني الرث إلا مهرج بلاط جلالته الذي هرب منه». ثم هز أسيره بعنف وقال: «هل تعترف بهذا أيها الأحمق؟».

لم يكن هناك إجابة سوى امتقاع وجهه بخوف، وهمسات بايتا الخافتة في أذن توران.

خطا توران للأمام ناحية الحارس بطريقة ودية وقال: «لم لا تبعد يدك عنه لبعض الوقت يا صديقي؟ هذا الراقص الاستعراضي الذي تُمسك به كان يرقص لنا، ولم يرقص بعد بما يكفي الأجر الذي تقاضاه».

ارتفع صوت الحارس في قلق مفاجئ وهو يقول: «ولكن هناك مكافأة...».

«ستتقاضى مكافأتك إن استطعت إثبات أنه الرجل الذي تريده. أعتقد أن عليك الانسحاب حتى ذلك الحين، فأنت تتدخل في شئون ضيف، وهو ما قد يكون خطيرًا بالنسبة لك».

قال الحارس: «ولكنك تتدخل في شئون جلالته، وهو ما قد يكون خطيرًا بالنسبة لك». ثم هز المهرج مرة أخرى وقال: «فلتعد إلى الرجل أجرته أيها الوغد».

تحرَّكت يد توران بسرعة لتنتزع مسدس الحارس الصاعق بشراسة، فكاد أن يمزق نصف إصبعه تقريبًا. عوى الحارس في ألم وغضب وأرخى قبضته من على المهرج، فدفعه توران بعنف جانبًا بينما المهرج يندفع ليختبئ وراءه.

كان الحشد ـ المتزايد حتى اختفت نهايته عن الأنظار ـ يولي اهتمامًا قليلًا إلى التطورات الأخيرة. كان هناك من بينهم من اشرأب بعنقه مع حركة تباعد مركزية كأن الكثيرين قد قرروا زيادة المسافة بينهم وبين مركز الحدث.

ثم جاء صخب وأوامر عنيفة من مسافة بعيدة. تشكَّل ممر من تلقاء نفسه ليتحرك رجلان عبره وهما يمسكان بسوطين كهربيين في يديهما في تأهبٍ لا مبالٍ. على كل سترة أرجوانية كان هناك تصميم للسان برق

حاد الزوايا أسفله كوكب منقسم.

كان هناك رجل أسمر البشرة ضخم الجثة في زي ملازم يتبعهما، ذو شعر أسود ووجه متجهم.

تحدَّث الرجل الأسمر بهدوء خطير يعني أنه لا يحتاج إلى الصراخ لفرض رغباته، قائلًا: «هل أنت الرجل الذي أبلغنا بالخبر؟».

تمتم الحارس الذي لا يزال يُمسك بيده المصابة ووجهه يتلوى ألمًا قائلًا: «أنا أُطالب بالمكافأة عظمتك، وأتهم هذا الرجل...».

قال الملازم دون أن ينظر إليه: «سوف تحصل على مكافأتك». ثم أشار باقتضاب إلى رجليه وقال: «خذاه».

أحس توران بالمهرج يتشبث بروبه بقبضة مسعورة.

رفع صوته ومنعه من الارتجاف قائلًا: «المعذرة أيها الملازم، هذا الرجل لي».

سمع الجنديان ما قاله دون أن يطرف لهما جفن، ورفع أحدهما سوطه بشكل تلقائي ولكن أمرًا حادًّا من الملازم جعله يخفضه مجددًا.

تحرَّك الملازم بجسده الأسمر الضخم مفتول العضلات إلى الأمام ليقف أمام توران قائلًا: «من أنت؟».

جاءت الإجابة المدوية: «مواطن من القاعدة».

لقد نجح الأمر، مع الحشد على الأقل، فقد انكسر الصمت المكبوت ليتحول إلى همهمة شديدة. قد يثير اسم البغل الخوف، ولكنه في نهاية المطاف اسم جديد ولم يغرز جذوره عميقًا بعد كاسم القاعدة القديم، القاعدة التي دمَّرت الإمبراطورية، الاسم الذي يسود الخوف منه ربع المجرة باستبداد وحشي.

حافظ الملازم على جمود ملامحه وهو يقول: «هل تدرك هوية هذا الرجل الواقف وراءك؟».

«لقد قيل لي إنه هارب من بلاط زعيمك، ولكن الشيء الوحيد الذي أعرفه بشكل يقيني هو أنه صديقي. ستحتاج إلى دليل قاطع على هويته لكي تأخذه».

كان هناك شهقات مرتفعة بين الحشد تجاهلها الملازم وهو يقول: «هل معك الأوراق التي تُثبت أنك مواطن من القاعدة؟».

«في سفينتي».

«هل تدرك أن أفعالك غير قانونية؟ يمكنني أن آمر بإطلاق النار عليك».

«لا شكَّ في هذا، ولكنك حينها ستكون قد أطلقت النار على مواطن من القاعدة، وعلى الأرجح سترسل جثتك إلى القاعدة مقسمة إلى أرباع كتعويض جزئي. لقد فعل هذا من قبل أمراء حرب آخرون».

بلل الملازم شفتيه، كان ما قاله حقيقيًّا. سأله: «ما اسمك؟».

اغتنم توران الفرصة وقال: «لن أجيب عن المزيد من الأسئلة إلا في سفينتي. يمكنك أن تحصل على رقم الخلية في حظيرة السفن، إنه مسجل تحت اسم بايتا».

«ألن تسلم الهارب؟».

«ربما إلى البغل، فلترسل سيدك!».

كانت المحادثة قد تحولت إلى همس، ثم استدار الملازم بحدة مبتعدًا وهو يقول لرجليه بشراسة مكبوتة: «فلتفرقوا الحشد».

ارتفع السوطان الكهربيان وهويا. كان هناك صرخات واندفاع هائل من التفرق والهرب.

لم يقطع توران أحلام يقظته سوى مرة واحدة في طريق عودتهم إلى الحظيرة. قال وكأنما يحدث نفسه: «بحق المجرة يا باي، لقد كانت لحظات عصيبة! كنت خائفًا للغاية...».

قالت بصوت لا يزال يرتجف وعينين لا تزالان تظهران شيئًا يُشبه الانبهار: «أجل، لقد كان شيئًا ليس من طبيعتك حقًّا».

«حسنًا، ما زلت لا أعرف ما حدث، لقد كنت أقف هناك بمسدس صاعق، لست متيقنًا حتى من أنني أعرف كيف أستخدمه، وأنا أرد عليه بثقة. لا أعرف لم فعلت ذلك».

نظر عبر ممر المركبة الهوائية قصيرة المدى ـ التي كانت تحملهما إلى خارج منطقة الشاطئ ـ إلى المقعد الذي يجلس عليه مهرج البغل وهو يغط في نوم عميق بصوت مرتفع. ثم أضاف بامتعاض: «كان هذا أصعب شيء فعلته في حياتي على الإطلاق».

كان الملازم يقف باحترام أمام عقيد الحامية العسكرية، بينما العقيد ينظر إليه ويقول: «أحسنت، لقد انتهى دورك الآن».

ولكن العقيد لم يتراجع على الفور بل قال بوجوم: «لقد فقد البغل اعتباره أمام حشد من الغوغاء يا سيدي، سيكون من الضروري اتخاذ إجراءات تأديبية لاستعادة الجو الملائم من الاحترام».

«لقد اتخذنا هذه الإجراءات بالفعل».

استدار الملازم نصف استدارة ثم قال باستياء: «أنا أتفق معك يا سيدي أن الأوامر هي الأوامر، ولكن الوقوف أمام ذلك الرجل بمسدسه الصاعق وابتلاع وقاحته بالكامل، كان أصعب شيء فعلته في حياتي على الإطلاق».

## الفصل الرابع عشر

# المُتحوِّل جينيًّا

كانت «حظيرة السفن» في كالجان هي مؤسسة فريدة في حد ذاتها، وُجِدَت بسبب الحاجة إلى التصرف في العدد الهائل من السفن التي يجلبها الزوار من الخارج، والحاجة الكبيرة التي تترتب عليها لتوفير أماكن المعيشة من أجل هؤلاء الزوار. الشخص الذكي الذي فكر في هذا الحل البديهي سرعان ما صار مليونيرًا. إن ورثته ـ بالنَّسَب أو بالتمويل ـ كانوا من بين أغنى الأشخاص في كالجان.

تمتد «حظيرة السفن» على مساحة كبيرة من الأميال المربعة من الأراضي، وكلمة «حظيرة سفن» لا تصفها بشكل كافٍ على الإطلاق. إنه في الأساس فندق... من أجل السفن. المسافر يدفع مقدمًا فتحصل سفينته على مرفأ يُمكنه أن يقلع منه إلى الفضاء متى يشاء، ثم يسكن الزائر في سفينته كالعادة. يجب بالطبع دفع مقابل الخدمات الفندقية المعتادة مثل إمدادات الطعام والدواء بأسعار خاصة، والخدمات البسيطة للسفينة نفسها والنقل الخاص داخل كالجان مقابل مبلغ رمزي.

كنتيجة لذلك يمكن للزائر توفير بعض المال بالجمع بين مرفأ الحظيرة والخدمات الفندقية في فاتورة واحدة. يؤجِّر الملاك المساحات الأرضية بأرباح كبيرة، وتجمع الحكومة ضرائب ضخمة، ويستمتع الجميع بوقتهم. لا أحد يخسر، الأمر بسيط!

الرجل الذي شق طريقه عبر ظلال الممرات الواسعة التي تربط أجنحة «حظيرة السفن» المتعددة كان قد فكَّر في الماضي في حداثة النظام المذكور بالأعلى وفائدته، ولكنها كانت أفكار في لحظات خمول، وغير ملائمة بشكل واضح في الوقت الحالي.

كانت السفن الضخمة في ارتفاعها وعرضها متراصة في صفوف طويلة من الخلايا المصطفة بعناية، والرجل يتفحص الصف تلو الآخر. كان خبيرًا فيما يفعله، وإن كانت دراسته الأولية لسجل حظيرة السفن قد فشلت في منحه معلومات محددة تتجاوز الإشارة المشكوك فيها لجناح معين ـ جناح يحتوي على مئات السفن ـ فإن معرفته المتخصصة يمكنها أن تضيق نطاق البحث إلى سفينة واحدة.

كان هناك شبح تنهيدة في الصمت بينما الرجل يتوقف ويختفي عبر أحد الصفوف، حشرة تزحف تحت أنظار الوحوش المعدنية المتغطرسة المستقرة هناك.

كان التألق المنبعث من كوة هنا أو هناك يشير إلى وجود شخص قد عاد مبكرًا من الملذات المنظمة إلى الملذات الأكثر بساطة ـ أو الأكثر خصوصية ـ ملذاته الشخصية.

توقَّف الرجل، وكان ليبتسم لو أنه يبتسم قط. من المؤكد أن تلافيف مخه قد أجرت المعادل العقلي للابتسامة.

كانت السفينة التي توقّف عندها ملساء ومن الواضح أنها سريعة، كان ما يبحث عنه هو غرابة التصميم، لم تكن نموذجًا معتادًا، ففي هذا الربع من المجرة كانت معظم السفن إما تقليد لتصميم القاعدة، أو مبنية بواسطة تقنيي القاعدة. ولكن هذه كانت سفينة مميزة، إنها من سفن القاعدة، لم يكن هذا فقط بسبب الانتفاخات الصغيرة في الهيكل التي تشير إلى الدروع الواقية التي لا يُمكن أن تمتلكها سوى سفن القاعدة فحسب، ولكن كان هناك مؤشرات أخرى أيضًا.

لم يشعر الرجل بأدنى تردد.

لم يكن الحاجز الإلكتروني المُقام على طول صف السفن ـ كاعتراف بالخصوصية من جانب الإدارة ـ مهمًّا بالنسبة له على الإطلاق، فقد انفتح بسهولة وبدون تنشيط جهاز الإنذار باستخدام طاقة تحييد خاصة للغاية يمتلكها.

لذا لم يعرف من بداخل السفينة بوجود المقتحم إلا عن طريق أزيز الجرس الصامت في غرفة المعيشة، الذي نتج عن وضع الرجل لراحة يده فوق الخلية الكهروضوئية الصغيرة على جانب بوابة غرفة معادلة الضغط الرئيسية.

في الوقت الذي كان فيه هذا البحث الناجح يمضي قدمًا، لم يكن توران وبايتا يشعران إلا بأمان هش لأقصى درجة داخل جدران السفينة بايتا الفولاذية. مهرج البغل الذي أخبرهما أنه رغم ضآلة جسده فإنه يحمل الاسم الفخم ماجنيفيكو جايجانتيكوس، كان يجلس منكبًّا على الطاولة وهو يلتهم الطعام الموضوع أمامه.

لم يكن يرفع عينيه البنيتين الحزينتين عن وجبته إلا ليتتبع حركات بايتا في الغرفة التي تجمع بين كونها مطبخًا ومخزنًا للطعام حيث كان يأكل.

تمتم قائلًا: «إن كلمات الشكر من شخص ضعيف لا تحمل قيمة كبيرة، ولكني أشكرك، فأنا لم أنل طيلة الأسبوع الماضي حقًّا سوى القليل الذي استطعت الحصول عليه من الفتات، ورغم أن جسدي ضئيل إلا أن شهيتي عظيمة بشكل لا يتناسب معه».

قالت بايتا وهي تبتسم: «حسنًا إذن، فلتأكل! لا تضيع وقتك في الشكر. أعتقد أن هناك مثلًا في مركز المجرة عن الامتنان قد سمعته ذات يوم؟».

«هناك واحد بالفعل يا سيدتي، فقد قيل لي إن هناك رجلًا حكيمًا قال ذات مرة إن الامتنان يكون أفضل وأكثر فاعلية عندما لا يضيع نفسه في العبارات الفارغة. ولكن للأسف يا سيدتي يبدو أنني لست سوى كتلة من العبارات الفارغة. عندما أسعدت عباراتي الفارغة البغل منحني رداء البلاط واسمًا عظيمًا، فإن اسمي في الأصل هو ببساطة بوبو، وهو الاسم الذي لا يسعده. وعندما لا تسعده عباراتي الفارغة لا أنال سوى الضرب والجلد على عظامي المسكينة».

جاء توران من غرفة القيادة وقال: «لا شيء نفعله الآن سوى الانتظار يا باي، آمل أن يكون البغل قادرًا على فهم أن سفينة من القاعدة تعتبر أرضًا خاضعة لسيادة القاعدة».

ماجنيفيكو جايجانتيكوس، الذي كان يُدعى يومًا بوبو، فتح عينيه على اتساعهما وصاح: «ما أعظم القاعدة التي يرتجف أمامها حتى أكثر رجال البغل قسوة».

سألته بايتا بابتسامة شاحبة: «هل سمعت عن القاعدة أيضًا؟».

قال ماجنيفيكو بهمس غامض: «ومن لم يسمع عنها؟ هناك من يقولون إنها عالم من السحر العظيم، نيران يمكنها أن تلتهم الكواكب، وأسرار قوة عظيمة. يقولون إنه حتى أعظم النبلاء في المجرة لا يمكنهم تحقيق الشرف والإجلال الذي يعد بديهيًا بالنسبة لرجل بسيط يستطيع أن يقول أنا مواطن من القاعدة، حتى لو كان مجرد عامل مناجم في الفضاء، أو لا شيء مثلي».

قالت بايتا: «لن تُنهي طعامك أبدًا يا ماجنيفيكو إن ظللت تُلقي الخطب. سأحضر لك القليل من الحليب المُنكَّه، إنه لذيذ».

وضعت إبريقًا منه على الطاولة، ثم أشارت لتوران ليتبعها خارج الغرفة.

قالت وهي تشير ناحية المطبخ: «ما الذي سنفعله الآن بشأنه يا توري؟».

«ما الذي تقصدينه؟».

«إن جاء البغل، فهل سنتخلى عنه؟».

«ما الذي يُمكننا أن نفعله سوى هذا يا باي؟». بدا عليه أنه يشعر بالضيق، والطريقة التي دفع بها الخصلة الرطبة من على جبهته أكدَّت على هذا.

أكمل حديثه بنفاد صبر قائلًا: «قبل أن آتي إلى هنا كان لدي فكرة مبهمة عن أن كل ما يجب فعله هو أن نسأل عن البغل ثم نبدأ في العمل... فقط العمل بشكل عام لا شيء محدد».

«أنا أعرف ما تعنيه يا توري، أنا لم أكن آمل كثيرًا في رؤية البغل بنفسي، ولكن كنت أعتقد أن باستطاعتنا أن نجمع بعض المعرفة بشكل مباشر من الفوضى المحيطة بنا، ثم نمررها إلى الأشخاص الذين يعرفون المزيد بعض الشيء عن هذه المؤامرة النجمية. أنا لست بطلة رواية جاسوسية».

عقد توران ذراعيه وقال متجهمًا: «أنا أشعر بالشيء ذاته مثلك يا باي، يا له من موقف! لم نكن لنعرف أن هناك شخصًا مثل البغل لولا هذه العُطلة الغريبة الأخيرة. هل تعتقدين أنه سيأتي من أجل مهرجه؟».

نظرت إليه بايتا وقالت: «لا أعرف ما أُريده أن يفعل. أنا لا أعرف ما يجب أن أقوله أو أن أفعله. هل تعرف أنت؟».

فجأة تردد أزيز الجرس الداخلي بطنينه المتقطع، فتحرَّكت شفتا بايتا بصمت قائلة: «البغل!».

كان ماجنيفيكو واقفًا في الممر المؤدي إلى الباب، عيناه متسعتان، وصوته مرتجف وهو يقول: «البغل؟».

تمتم توران: «يجب أن أسمح لهم بالدخول».

بضغطة زر انفتح باب غرفة معالجة الضغط وانغلق الباب الخارجي وراء الزائر الجديد. لم يُظهر الماسح سوى شخص واحد غارق في الظلال.

قال توران بارتياح واضح: «إنه شخص واحد». ثم مال ناحية أنبوب الإشارة وقال بصوت مرتجف تقريبًا: «من أنت؟».

جاءت الكلمات المقتضبة عبر جهاز الاستقبال: «من الأفضل أن تسمح لي بالدخول وستعرف بنفسك، أليس كذلك؟».

«أنا أُعلمك أن هذه سفينة من القاعدة، وبالتالي فهي تخضع لسيادة القاعدة بموجب المعاهدة الدولية».

«أنا أعرف هذا».

«فلتدخل وذراعيك في الهواء وإلا سأُطلق النار، أنا مسلح».

«لك هذا!».

فتح توران الباب الداخلي وهو يجذب صمام أمان مسدس الطاقة، بينما إبهامه معلق فوق نقطة الضغط. كان هناك صوت خطوات أقدام، ثم انفتح الباب فصرخ ماجنيفيكو: «إنه ليس البغل، بل مجرد رجل».

انحنى الرجل للمهرج بجدية وقال: «أنت محق، أنا لست البغل». ثم رفع يديه في الهواء وقال: «أنا لست مسلحًا، وقد أتيت في مهمة رسمية. يمكنك أن تسترخي وتضع المسدس جانبًا. يدك ليست متزنة بما يكفي لكي أشعر بالطمأنينة».

سأله توران بفظاظة: «من أنت؟».

قال الغريب بهدوء: «يُمكنني أن أسألك أنت هذا السؤال، بما أنك الشخص الذي يدعي ادعاءً كاذبًا وليس أنا».

«وكيف هذا؟».

«أنت من يزعم أنه مواطن من القاعدة، بينما لا يوجد أي تاجر موجود على هذا الكوكب بشكل رسمي».

«هذا ليس حقيقيًّا، كيف يُمكنك أن تعرف؟».

«لأنني أنا مواطن من القاعدة، ولديَّ أوراقي التي تثبت هذا. أين أوراقك أنت؟».

«أعتقد أنه من الأفضل لك أن تخرج».

«لا أعتقد هذا. إن كنت تعرف أي شيء عن أساليب القاعدة ـ وقد تعرف هذا رغم كونك منتحلًا ـ فستعرف أنني إن لم أعد إلى سفينتي على قيد الحياة وفي وقت محدد فسوف تُرسل إشارة إلى أقرب مقر تابع للقاعدة، لذا أشك أن أسلحتك سيكون لها أي تأثير من الناحية العملية».

ساد صمت متردد، ثم قالت بايتا بهدوء: «ضع المسدس جانبًا يا توران وخذ كلامه على محمل الجد، يبدو أنه مواطن حقيقي من القاعدة».

قال الغريب: «شكرًا لكِ».

وضع توران مسدسه على الكرسي المجاور له وقال: «أفترض أنك ستشرح كل شيء الآن».

ظل الغريب واقفًا، كان ضخم الجثة عريض المنكبين، ووجهه جامدًا بلا أدنى تجاعيد بما يشي أنه لم يبتسم قط، إلا أن عينيه لم تكونا جامدتين.

قال: «إن الأخبار تنتقل سريعًا، وخصوصًا عندما تكون عصية على التصديق؛ لا أعتقد أن هناك شخصًا على كالجان لا يعرف أن سائحين من القاعدة قد صفعا رجال البغل على مؤخرة أعناقهم. لقد علمت بالتفاصيل الهامة قبل المساء، وكما قلت لا يوجد أي سائح من القاعدة على هذا الكوكب سواي. نحن نعرف بشأن تلك الأمور».

«ومن أنتم؟».

«نحن نكون... نحن! أنا أعرف على الأقل! كنت أعرف أنك في حظيرة السفن، لقد سمعك أحدهم تقول هذا، لديَّ أساليبي لتفحص السجلات، وأساليبي للعثور على السفينة».

ثم التفت إلى بايتا فجأة وقال: «أنتِ من القاعدة بالمولد، أليس كذلك؟».

«هل أنا حقًّا؟».

«أنتِ عضوة في المعارضة الديموقراطية التي يسمونها المجتمع السري. أنا لا أتذكر اسمك ولكني أتذكر وجهك. لم تتركي القاعدة إلا مؤخرًا، ولم تكوني لتتركيها لو كنتِ أكثر أهمية».

هزَّت بايتا كتفيها وقالت: «أنت تعرف الكثير».

«هذا صحيح. لقد هربتِ مع رجل، أهذا هو؟».

«هل يهم ما أقوله؟».

«لا، أنا أريد فقط أن نصل إلى فهم متبادل شامل. أعتقد أن كلمة السر أثناء الأسبوع الذي غادرتِ فيه على عجالة كانت؛ سيلدون وهاردين والحرية. كان بورفيرات هارت هو قائد القطاع الخاص بكِ».

قالت بايتا بشراسة مفاجئة: «كيف حصلت على هذه المعلومات؟ هل ألقت الشرطة القبض عليه؟».

أمسك توران بها ولكنها خلَّصت نفسها منه وتقدمت للأمام.

قال رجل القاعدة بهدوء: «لم يُمسك به أحد. الأمر وما فيه هو أن المجتمع السري ينتشر على نطاق واسع وفي أماكن غريبة. أنا النقيب هان بريتشر من الاستخبارات، وأنا بنفسي قائد قطاع، لا يهم تحت أي اسم».

انتظر ثم قال: «يبدو أنكِ لا تصدقينني. في عملنا من الأفضل أن يُبالغ المرء في الشك بدلًا من العكس، ولكن من الأفضل أن أتجاوز هذه التمهيدات».

قال توران: «أجل، من الأفضل أن تفعل هذا».

قال النقيب هان بريتشر: «هل يُمكنني أن أجلس؟ شكرًا لكما». ثم وضع ساقه الطويلة على ركبته وترك ذراعه تتدلى على ظهر الكرسي. «سأبدأ حديثي بأن أقول إنني لا أعرف ما الهدف من كل هذا من وجهة نظركما. أنتما الاثنان لستما من القاعدة، ولكن ليس من الصعب التخمين أنكما من أحد كواكب التجارة الحرة. هذا لا يزعجني كثيرًا. ولكن من باب الفضول؛ ما الذي تريدانه من هذا الرجل، هذا المهرج الذي اختطفتماه إلى بر الأمان؟ أنتما تخاطران بحياتكما في سبيل التمسك به».

«لا يُمكنني أن أخبرك بهذا».

«هممم، حسنًا، هذا ما توقعته. ولكن إن كنتما تنتظران أن يأتي البغل بنفسه خلف استعراض موسيقي عسكري من الطبول والأبواق والأورغنات الكهربائية فلتسترخيا! البغل لا يعمل بهذه الطريقة».

قال توران وبايتا في صوت واحد: «ماذا؟». بينما في الركن حيث يكمن ماجنيفيكو بأذنين تكادان أن تتمددا بشكل واضح كان هناك صيحة بهجة مفاجئة.

«هذا صحيح، لقد كنت أحاول التواصل معه بنفسي، وبطريقة أكثر احترافية مما يمكن أن يفعله اثنان من الهواة مثليكما، ولم ينجح الأمر. الرجل لا يظهر بشكل شخصي، ولا يسمح لأحد بتصويره أو محاكاته، ولا يراه إلا المقربون منه بدرجة كبيرة».

سأله توران: «هل يفترض بهذا أن يفسر اهتمامك الشخصي بنا أيها النقيب؟».

«لا، هذا المهرج هو المفتاح، هذا المهرج هو أحد القلائل الذين رأوه، وأنا أُريده، فقد يكون الدليل الذي أحتاجه ـ وأنا بحاجة إلى أي شيء بحق المجرة ـ لاستنفار القاعدة».

تدخلت بايتا بحدة مفاجئة: «وهل هي بحاجة إلى استنفار؟ في وجه ماذا؟ وبأي دور تتصرف كناقوس خطر؛ دور متمرد ديموقراطي أم شرطي سري أم عنصر استفزازي؟».

لم تتغير ملامح النقيب الجامدة وهو يقول: «عندما تكون القاعدة بأكملها مهددة بالخطر أيتها السيدة الثورية فإن الديموقراطيين والطغاة سيهلكون على حد سواء. دعونا ننقذ الطغاة من طاغية أعظم، حتى يمكننا أن نطيح بهم بدورهم».

قالت بايتا بحنق: «ومن هذا الطاغية الأعظم الذي تتحدث عنه؟».

«البغل! أنا أعرف القليل عنه، وهو ما كان سيؤدي إلى موتي عدة مرات بالفعل لو أني تصرَّفت بشكل أقل حذرًا. فلتخرجا المهرج من الغرفة، هذا الأمر يتطلب خصوصية».

قالت بايتا وهي تشير بيدها: «ماجنيفيكو». فغادر المهرج بدون كلمة واحدة.

كان صوت النقيب جادًّا ومنفعلًا، ومنخفضًا كثيرًا حتى إن توران وبايتا اضطرا للاقتراب منه.

قال: «البغل يدير الأمر بدهاء، دهاء كبير للغاية حتى إنه من المستحيل عليه ألا يُدرك ميزة الجاذبية وبريق القيادة الشخصية. إن كان قد تخلى عن ذلك فهذا لسبب ما، لا شك أن هذا السبب هو حقيقة أن التواصل الشخصي معه سيكشف شيئًا يجب عدم الكشف عنه بأي ثمن».

تجاهل الأسئلة وهو يكمل بسرعة: «لقد ذهبت إلى مسقط رأسه من أجل هذا، واستجوبت أشخاصًا لن يعيشوا طويلًا بسبب ما يعرفونه. القليل منهم لا يزال على قيد الحياة. إنهم يتذكرون طفلًا وُلِدَ منذ ثلاثين عامًا، يتذكرون موت أمه، وسنوات شبابه الغريبة. البغل ليس إنسانًا!».

تراجع الاثنان اللذان يستمعان إليه في رعب، بسبب الأشياء المبهمة المترتبة على ما قاله؛ أشياء لا تُفهَم بشكل كامل أو بشكل واضح، ولكن الخطر الذي تحمله العبارة كان مؤكدًا.

أكمل النقيب حديثه قائلًا: «إنه مُتَحَوِّل جينيًّا، ومن الواضح من مسيرته اللاحقة أنه متحول ناجح للغاية. أنا لا أعرف قدراته أو الحدود الدقيقة لحالته التي قد يسميها كُتَّاب القصص الخيالية إنسانًا خارقًا. ولكن بدايته من اللا شيء حتى هزيمته لأمير حرب كالجان في غضون سنتين تشي بالكثير. أنتما تدركان هذا الخطر، أليس كذلك؟ هل يمكن لطفرة جينية بخصائص بيولوجية غير متوقعة أن تؤخذ في الحسبان في خطة سيلدون؟».

تحدَّثت بايتا ببطء: «أنا لا أصدق هذا، هذه خدعة ما معقدة، لِمَ لَمْ يقتلنا رجال البغل عندما كان بمقدورهم هذا، طالما أنه إنسان خارق؟».

«لقد أخبرتكما من قبل أنني لا أعرف مدى حدود تحوله الجيني. قد لا يكون جاهزًا بعد لمواجهة القاعدة، وسيكون إحجامه عن استفزاز القاعدة قبل أن يكون مستعدًا دلالة على حكمته. والآن اسمحا لي أن أتحدث مع المهرج».

جلس النقيب قُبالة ماجنيفيكو المرتعش الذي من الواضح أنه لا يثق في هذا الرجل الضخم الصارم الذي يواجهه.

قال النقيب ببطء: «هل رأيت البغل بعينيك؟».

«لقد رأيته جيدًا يا سيدي المحترم، وشعرت بثقل ذراعه على جسدي أيضًا».

«ليس لديَّ أدنى شك في هذا، هل يمكنك أن تصفه؟».

«إن تذكره يشعرني بالخوف يا سيدي المحترم؛ إنه ضخم الجثة للغاية، حتى إنك ستبدو ضئيلًا بجواره. إن شعره بلون قرمزي زاهٍ، وأنا بكل قوتي ووزني لا يُمكنني أن أجذب ذراعه لأسفل إذا رفعه بجواره، ولا حتى قيد أنملة». بدا كأن جسد ماجنيفيكو النحيف ينهار على نفسه متكومًا بين ذراعيه وساقيه. «في كثير من الأحيان ـ لتسلية جنرالاته أو لتسلية نفسه فقط ـ كان يعلقني بإصبع واحد من حزامي على ارتفاع مخيف، بينما أنا أثرثر بالشعر، ولا يسحبني إلى الوراء إلا بعد عشرين بيتًا، وكلها مرتجلة وبقافية مثالية، وإلا فإنه يبدأ من جديد. إنه رجل ذو قوة طاغية يا سيدي المحترم، ويستخدم قوته بوحشية. أما عيناه يا سيدي المحترم فلا أحد يراهما».

«ماذا؟ ما هذا الشيء الأخير الذي قلته؟».

«إنه يرتدي نظّارة يا سيدي المحترم، ذات طبيعة غريبة، يُقال إنها معتمة، وإنه يرى من خلال سحر قوي يتخطى حدود القوى البشرية». ثم صار صوته خافتًا ومبهمًا وهو يقول: «لقد سمعت أن رؤية عينيه تعني الموت، أنه يقتل بعينيه يا سيدي المحترم».

نقل ماجنيفيكو بصره بسرعة بين وجوه مراقبيه قبل أن يقول بصوت مرتجف: «إن هذا حقيقي كحقيقة أنني على قيد الحياة».

أخذت بايتا نفسًا عميقًا ثم قالت: «يبدو أنك محق أيها النقيب، هل ترغب في تولي الأمر؟».

«حسنًا، دعونا نفكر في الموقف. هل تدينان بأي شيء إلى حظيرة السفن؟ الحاجز بالأعلى غير مقيد؟».

«يُمكنني المغادرة في أي وقت».

«إذن فلتغادرا، فالبغل قد لا يرغب في كسب عداوة القاعدة، ولكنه يخاطر مخاطرة مخيفة بالسماح لماجنيفيكو بالفرار. قد يفسر هذا الضجيج المحيط بهذا الشيطان البائس في المقام الأول، لذا فقد يكون هناك سفن في انتظاركما بالأعلى. إذا فُقِد أثركما في الفضاء فبمن ستُلصَق الجريمة؟».

وافقه توران قائلًا باكتئاب: «أنت محق».

«ولكن أنتما معكما درع، وسفينتكما على الأرجح أسرع من أي شيء يملكونه، لذا فبمجرد أن تخرجا من الغلاف الجوي اقطعا دائرة بشكل موازٍ نحو النصف الآخر للكوكب ثم اقطعا المسار للخارج بأقصى تسارع».

قالت بايتا بجمود: «حسنًا، وعندما تعود إلى القاعدة ما الذي سيحدث حينها أيها النقيب؟».

«أنتما مواطنان متعاونان من كالجان، أليس كذلك؟ وأنا لا أعرف شيئًا خلاف هذا، أليس كذلك؟».

لم يقل أحد شيئًا. استدار توران وتوجه إلى غرفة التحكم، ثم انطلقت السفينة بهزة غير محسوسة.

لم يشرع توران في أول قفزة بين النجوم إلا بعد الابتعاد عن كالجان بمسافة كافية، حتى إن وجه النقيب بريتشر قد تجعَّد قليلًا لأول مرة، فلم تحاول أي سفينة من سفن البغل اعتراض طريقهم بأي شكل من الأشكال.

قال توران: «يبدو وكأنهم يسمحون لنا بالهرب بماجنيفيكو، هذا ليس في صالح قصتك».

صحح له النقيب قائلًا: «ما لم يكن يرغب في أن نهرب به، وحينها لن يكون هذا في صالح القاعدة».

لم يصل أول بث إخباري عبر الموجات الفائقة إلى السفينة إلا بعد القفزة الأخيرة عندما صارت على مسافة تحليق محايدة من القاعدة، وكان هناك خبر واحد قد ذُكر بشكل عرضي؛ يبدو أن هناك أمير حرب ـ لم يذكر المتحدث الملول اسمه ـ قد قدَّم احتجاجات إلى القاعدة بشأن الاختطاف القسري لأحد رجال بلاطه. ثم انتقل المتحدث إلى أخبار الرياضة.

قال النقيب بريتشر بنبرة باردة: «إنه يسبقنا جميعًا بخطوة واحدة رُغم كل شيء». ثم أضاف مفكرًا: «إنه مستعد لمواجهة القاعدة، ويستخدم ما حدث كذريعة لتصرفاته. هذا يجعل الأمور أكثر تعقيدًا بالنسبة لنا،

فنحن مضطرون إلى أن نتصرف قبل أن نكون مستعدين حقًا».

## الفصل الخامس عشر

# العالم النفسي

كان هناك سبب وراء حقيقة أن العنصر المعروف باسم «العلم المحض» هو أكثر أشكال الحياة حرية على القاعدة. في مجرة تعتمد فيها هيمنة القاعدة ـ أو حتى استمرارها ـ على تكنولوجيتها المتطورة ـ رغم قدرتها الكبيرة على امتلاك القوة المادية في القرن ونصف القرن الماضيين ـ فإن هناك حصانة معينة قد مُنحِت إلى العالِم. إنهم بحاجة إليه، وهو يعرف هذا.

بالمثل كان هناك سبب وراء حقيقة أن إبلينج ميس ـ هؤلاء فقط الذين لا يعرفونه يضيفون ألقابه إلى اسمه ـ كان أكثر أشكال الحياة حرية في «العلم المحض» بالقاعدة. في عالم يحظى فيه العلم بالاحترام كان هو العالِم، بألف ولام التعريف وبجدية تامة. إنهم بحاجة إليه، وهو يعرف هذا.

وبالتالي عندما انحنى الآخرون في خضوع رفض هو ذلك وأضاف بصوت مرتفع أن أسلافه في زمنهم لم ينحنوا لأي عمدة عفن، وأنه في زمن أسلافه كان العمدة يُنتخَب على أي حال، ويُطرد حسب الرغبة، وأن الشيء الوحيد الذي كان الناس يرثونه بحق المولد هو الأمراض الجينية الوراثية.

ولهذا عندما قرر إبلينج ميس أن يمنح إندبور شرف مقابلته فإنه لم ينتظر مرور طلبه لأعلى عبر التسلسل القيادي الصارم، أو انتظار مرور الرد عليه لأسفل، ولكنه ارتدى أقل سترتيه الرسميتين اهتراءً، وقبعة غريبة التصميم على جانب رأسه، وأشعل سيجارًا محظورًا علاوة على ذلك، ثم اقتحم قصر العمدة متجاوزًا حارسين حاولا منعه بثرثرتهما بلا جدوى.

أول ملاحظة تلقَّاها فخامته عن هذا الاقتحام كانت عندما سمع ـ وهو في حديقته ـ الضجيج المتصاعد من الاحتجاج وسيلًا جارفًا من الشتائم ردًّا عليه.

ببطء وضع إندبور مجرفته جانبًا، وببطء اعتدل واقفًا، وببطء عقد حاجبيه. فإندبور يسمح لنفسه بإجازة يومية من العمل، ويظل في حديقته لمدة ساعتين بعد الظهيرة إن سمح الطقس بهذا. هناك في حديقته تنمو الأزهار في مربعات ومثلثات متداخلة في ترتيب دقيق من الأحمر والأصفر، مع أجزاء صغيرة من البنفسجي عند الأجزاء العليا، والمساحات الخضراء التي تحيط بكل شيء في خطوط محددة. لا أحد يزعجه هناك في حديقته، لا أحد!

انتزع إندبور قفازه الملطخ بالتربة وهو يتحرك ناحية باب الحديقة.

قال كما يقتضي الحال: «ما معنى هذا؟».

إنه السؤال الدقيق والصياغة الدقيقة التي طرحها في مثل هذه المواقف مجموعة متنوعة من البشر منذ فجر التاريخ. لا تذكر السجلات أن هذا السؤال قد طُرِح لأي غرض سوى الاعتداد بالنفس، ولكن الإجابة هذه

المرة كانت حرفية، فجسد ميس قد جاء مندفعًا للداخل بصوت مرتفع وقبضة يُلوِّح بها في وجه هؤلاء الذين ما زالوا يحاولون الإمساك بعباءته البالية.

أشار إليهم إندبور بالانصراف في تجهم واستياء، بينما انحنى ميس ليلتقط قبعته الرثة وينفض بعض الغبار الذي تجمع عليها، قبل أن يضعها تحت إبطه وهو يقول:

«اسمعني يا إندبور، سوف يدفع أتباعك هؤلاء ثمن عباءة جيدة، لقد كان بإمكاني ارتداء هذه العباءة لعدة مرات أخرى». ثم زفر ومسح جبهته بلمحة مسرحية.

وقف العمدة جانبًا في استياء، ثم قال بغطرسة وهو ينصب قامته التي طولها خمسة أقدام وبوصتان: «لقد نما إلى علمي يا ميس أنك قد طلبت لقائي، وأنت بالتأكيد لم تُبلغ بعد بموعد محدد».

نظر إبلينج ميس إلى أسفل لعمدته وقال متظاهرًا بالصدمة وعدم التصديق: «بحق المجرة يا إندبور، ألم تصلك ملحوظتي بالأمس؟ لقد سلمتها لخادم في زي رسمي بنفسجي قبل يوم واحد. كنت سأسلمها لك بشكل مباشر، لكني أعرف كم تحب الشكليات».

ظهر الغضب في عيني إندبور وهو يقول: «شكليات!». ثم قال بصرامة: «هل سمعت من قبل عن التنظيم الصحيح؟ في كل المرات القادمة سيكون عليك أن تقدم طلبًا لمقابلتي ـ بشكل صحيح وفي ثلاث نسخ ـ في المكتب الحكومي المخصص لهذا الغرض، وسيكون عليك بعدها انتظار أن يأخذ الأمر مجراه الطبيعي إلى أن يصلك إشعار بموعد اللقاء الممنوح لك، وسيكون عليك حينها أن تظهر بملابس لائقة ـ ملابس لائقة، هل تفهم؟ ـ وبالاحترام اللائق أيضًا. يمكنك الآن أن تنصرف».

سأله ميس بحدة: «ما مشكلة ملابسي؟ لقد كانت أفضل عباءة لديَّ حتى وضع هؤلاء الشياطين الملاعين مخالبهم عليها. سأغادر بمجرد أن أخبرك بما أتيت لإخبارك به. بحق المجرة، إن لم يكن الأمر متعلقًا بإحدى أزمات سيلدون لغادرت على الفور».

أبدى إندبور اهتمامًا لأول مرة وهو يقول: «إحدى أزمات سيلدون!».

كان ميس عالمًا نفسيًّا عظيمًا؛ كان ديموقراطيًّا، سليط اللسان، ومتمردًا بالتأكيد، ولكنه عالم نفسي أيضًا. في هذه الحالة من الارتباك فشل العمدة حتى في أن يعبر بالكلمات عن طعنة الألم التي أحس بها فجأة عندما اقتطف ميس زهرة ببساطة قبل أن يقربها من فتحتي أنفه ثم يُلقي بها بعيدًا بامتعاض.

قال إندبور ببرود: «هل يمكنك أن تتبعني؟ هذه الحديقة ليست مخصصة للمحادثات الجادة».

أحس إندبور بالتحسن في كرسيه المرتفع وراء مكتبه الضخم، حيث كان باستطاعته أن ينظر إلى الشعيرات القليلة التي فشلت في إخفاء الجلد الوردي في رأس ميس، وأحس بتحسن أكبر عندما ألقى ميس عدة نظرات تلقائية حوله بحثًا عن كرسي غير موجود، ثم ظلَّ واقفًا وهو يتململ في عدم ارتياح، وأحس أنه في أفضل حالاته عندما ضغط بحرص على الزر المناسب فهرع خادم صغير إلى الداخل منحنيًا وهو في طريقه إلى المكتب، قبل أن يضع عليه مُجلَّدًا ضخمًا ذا غلافٍ معدني.

قال إندبور بعد أن صار مرة أخرى سيد الموقف: «الآن لكي نجعل هذه المقابلة غير المصرح بها قصيرة قدر الإمكان فلتقل ما عندك بأقل قدر ممكن من الكلمات».

سأله إبلينج ميس على مهل: «هل تعرف ما أفعله هذه الأيام؟».

أجابه العمدة برضا: «لديَّ تقاريرك هنا، بالإضافة إلى الملخصات الرسمية لها. الأمر كما أفهمه هو أن تحقيقاتك في رياضيات علم التاريخ النفسي كان الغرض منها تكرار عمل هاري سيلدون، وفي النهاية اتباع المسار المتوقع للتاريخ المستقبلي من أجل أن تستفيد منه القاعدة».

قال ميس بنبرة جافة: «بالضبط، عندما أسس سيلدون القاعدة في البداية كان حكيمًا بما يكفي لكيلا يضم علماء نفسيين بين العلماء الذين وضعهم هنا، ولهذا سارت القاعدة دومًا بشكل أعمى عبر مسار الحتمية التاريخية. لقد استندت أثناء أبحاثي بشكل كبير إلى التلميحات التي مُنِحَت في خزانة الزمن».

«أنا أدرك كل هذا يا ميس وتكراره إضاعة للوقت».

قال ميس بحدة: «أنا لا أكرره، لأن ما سأخبرك به ليس موجودًا في أي من هذه التقارير».

قال إندبور بغباء: «ما الذي تعنيه بأنها ليست في التقارير؟ كيف يُمكنك ...».

«بحق المجرة! دعني أخبرك بهذا بطريقتي أيها المخلوق الضئيل المستفز. توقَّف عن الحديث نيابة عني والتشكيك في كل ما أقوله وإلا فسأخرج من هنا وأترك كل شيء ينهار من حولك. تذكَّر أيها الأحمق اللعين أن القاعدة سوف تنجو لأنها يجب عليها أن تنجو، ولكن إن خرجتُ من هنا فلن تنجو أنت».

ألقى بقبعته على الأرض فتناثرت منها كتل من الأوساخ، ثم أسرع صاعدًا درجات المنصة التي يستقر عليها المكتب العريض ودفع الأوراق جانبًا بعنف قبل أن يجلس على أحد أركانه. فكَّر إندبور بشكل محموم في أن يستدعي الحارس أو أن يستخدم أحد المسدسات المدمجة في مكتبه، ولكن وجه ميس كان يحدق إليه من فوقه، ولم يكن هناك شيء يُمكنه فعله سوى أن يبادله النظر بأكبر قدر ممكن من الامتعاض.

تحدث بنبرة رسمية ضعيفة قائلًا: «د. ميس، يجب عليك..».

قال ميس بشراسة: «اخرس واسمعني، إن كان هذا الشيء هنا»، ثم هوى براحة يده على غلاف المجلد المعدني، «هو مجموعة فوضوية من تقاريري فلتُلقِ به بعيدًا. أي تقرير أكتبه يصعد عبر بضعة وعشرين مسئولًا، حتى يصل إليك، ثم يهبط مجددًا عبر بضعة وعشرين آخرين. لا بأس بهذا إن لم يكن هناك شيء تُريد أن تُبقيه سرًّا، ولكن أنا لديَّ شيء سري هنا، شيء سري للغاية حتى إن الشباب الذين يعملون معي لا يعرفون أي شيء عنه. إنهم يقومون بالعمل بالطبع، ولكن كل واحد منهم ليس لديه إلا قطعة صغيرة منفصلة، وأنا من جمعت الأمر. هل تعرف ما هي خزانة الزمن؟».

أومأ إندبور برأسه، ولكن ميس أكمل حديثه بصوت مرتفع مستمتعًا بالموقف: «حسنًا، سأخبرك على أي حال، لأني كنت أتصور مثل هذا الموقف اللعين منذ وقت طويل للغاية، يُمكنني أن أقرأ أفكارك أيها المحتال الضئيل، أنت تضع يدك بالقرب من المقبض الصغير الذي سيستدعي قرابة خمسمئة رجل مسلح أو أكثر

للقضاء عليَّ، ولكنك تخشى ما أعرفه، أنت تخشى أزمة سيلدون. بالإضافة إلى ذلك إذا لمست أي شيء في مكتبك فسأكسر رأسك اللعين قبل أن يصل أي شخص إلى هنا. أنت وأبوك اللص وجدك القرصان قد امتصصتم دم القاعدة لوقت طويل على أي حال».

قال إندبور على الفور: «هذه خيانة».

قال ميس بشماتة: «إنها كذلك بالتأكيد، ولكن ما الذي ستفعله حيال ذلك؟ دعني أخبرك عن خزانة الزمن. إن خزانة الزمن هي ما وضعه هاري سيلدون هنا في البداية لمساعدتنا على تجاوز المواقف الصعبة، لذا قد أعدَّ سيلدون محاكاة شخصية من أجل المساعدة والشرح في كل أزمة. أربع أزمات حتى الآن، وقد ظهر أربع مرات؛ المرة الأولى ظهر في ذروة الأزمة الأولى. في المرة الثانية ظهر في اللحظة التي تلت تجاوز الأزمة بنجاح. لقد كان أسلافنا هناك للإنصات إليه في المرتين. في الأزمتين الثالثة والرابعة تجاهلوه، على الأرجح لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، ولكن التحقيقات الأخيرة ـ غير المدرجة في هذه التقارير التي لديك ـ تُشير إلى أنه ظهر على أي حال وفي الوقت المناسب. هل فهمت؟».

لم ينتظر إجابة. تخلص أخيرًا من سيجاره الذي كان عبارة عن بقايا منطفئة قبل أن يخرج سيجارًا جديدًا ويشعله، ثم نفخ الدخان بقوة.

قال: «بشكل رسمي كنت أحاول بناء علم التاريخ النفسي. حسنًا، لا يستطيع رجل واحد أن يفعل هذا، ولن يتم الأمر في قرن واحد أيضًا. ولكني أحرزت تقدمًا في العناصر الأكثر بساطة، وكنت قادرًا على استخدامها كذريعة للتطفل على خزانة الزمن. ما فعلته يتضمن تحديد التاريخ الدقيق لظهور هاري سيلدون التالي بدرجة كبيرة من اليقين. بعبارة أُخرى يُمكنني أن أحدد لك بالضبط اليوم الذي ستصل فيه أزمة سيلدون التالية ـ الخامسة ـ إلى ذروتها».

سأله إندبور بتوتر: «كم تبقَّى من الوقت؟».

فجَّر ميس قنبلته بلا مبالاة مرحة: «أربعة أشهر، أربعة أشهر لعينة إلا يومين».

قال إندبور بعنف غير معهود: «أربعة أشهر، مستحيل».

«لا يوجد شيء لعين مستحيل».

«أربعة أشهر؟ هل تفهم ما الذي يعنيه هذا؟ أن تصل أزمة إلى ذروتها في أربعة أشهر فهذا يعني أنها كانت تُعَدُّ لسنوات».

«ولم لا؟ هل هناك قانون طبيعي يتطلب أن تتطور الأزمة في وضح النهار؟».

«ولكن لا شيء يشي بالأمر، لا شيء يلوح لنا في الأفق». اعتصر قبضتيه في عصبية، ثم صرخ في ضراوة متشنجة مفاجئة: «هل ستنزل من على مكتبي وتدعني أرتبه؟ كيف تتوقع مني أن أفكر؟».

جفل ميس ثم رفع جسده بثقل وتحرك جانبًا. وضع إندبور الأشياء في منافذها الملائمة بحركة محمومة وهو يتحدث بسرعة: «ليس لك أدنى حق في المجيء إلى هنا على هذا النحو. إن كنت قد طرحت

فرضيتك...».

«إنها ليست فرضية».

«أنا أقول إنها فرضية، إن كنت قد طرحتها مع أدلتك وحججك بطريقة ملائمة لذهبت إلى مكتب العلوم الإدارية. هناك كان من الممكن معالجة الأمر بالطريقة الصحيحة وتقديم نتائج التحاليل إليَّ وبعدها بالطبع يُمكن اتخاذ الإجراء المناسب. أما هكذا فقد أزعجتني بلا هدف. آه، ها هي ذا».

كان يُمسك في يده بورقة فضية شفافة، لوَّح بها في وجه العالم المتعجرف الواقف بجواره.

«هذا ملخص قصير أعده بنفسي ـ أسبوعيًّا ـ للشئون الخارجية الجارية. اسمعني، لقد أكملنا المفاوضات بشأن المعاهدة التجارية مع موريس، واستأنفنا المفاوضات من أجل معاهدة أُخرى مع ليونيس، وأرسلنا وفدًا من أجل احتفالٍ ما في بوند، وتلقينا شكوى ما من كالجان ووعدنا بالنظر فيها، واحتججنا على بعض الممارسات التجارية الصارخة وقد وعدوا بالنظر فيها، إلخ، إلخ». كانت عينا العمدة تتحركان لأسفل بسرعة عبر قائمة من الملاحظات المشفرة، ثم وضع الورقة بحرص في موضعها المناسب في الملف المناسب في الفتحة المناسبة.

«أنا أقول لك يا ميس، لا يوجد هناك أي شيء يتنفس شيئًا سوى النظام والسلام...».

انفتح الباب عند الطرف البعيد المقابل، وبتزامن درامي للغاية، لا يشي بأي شيء سوى الواقع، ثم دلف إلى الداخل رجل يرتدي زيًّا مميزًا.

اعتدل إندبور قليلًا وهو يشعر بالإحساس الغريب من عدم الواقعية الذي يشعر به المرء في تلك الأيام التي يحدث فيها الكثير من الأمور. بعد اقتحام ميس والغضب الشديد، يحدث الآن تدخل غير لائق بنفس القدر، ومزعج بالتالي، اقتحام غير معلن من سكرتيره الذي يعرف القواعد على الأقل.

انحنى السكرتير على ركبته.

قال إندبور بحدة: «تحدث!».

قال السكرتير دون أن يرفع عينيه عن الأرض: «فخامتك، النقيب هان بريتشر من الاستخبارات قد عاد من كالجان في عصيان لأوامرك، وقد سُجِن وفقًا لتعليماتك المسبقة ـ الأمر س20-513 ـ وينتظر الإعدام. أولئك الذين يصطحبونه محتجزون من أجل الاستجواب. لقد رُفِع تقرير شامل».

قال إندبور في ضيق شديد: «لقد تلقَّيت التقرير الشامل، ماذا بعد!».

«فخامتك، لقد أبلغ النقيب هان بيرتشر عن مخططات غريبة من جانب أمير حرب كالجان الجديد. وفقًا لتعليماتك المسبقة ـ الأمر س20-651 ـ لم يُمنح أي جلسة استماع رسمية، ولكن كل ملاحظاته قد سُجِّلت ورُفِع بها تقرير شامل».

صرخ إندبور: «لقد تلقَّيت التقرير الشامل، ماذا بعد!».

«فخامتك، لقد تلقّينا تقارير في غضون ربع ساعة من حدود سالينيان، سفن تم تحديد هويتها بأنها كالجانية قد اخترقت حدود القاعدة بشكل غير مصرح. السفن مسلحة وهناك قتال قد اندلع».

كان السكرتير قد ضاعف انحناءته تقريبًا، بينما بقي إندبور واقفًا. استعاد إبلينج رباطة جأشه، ثم اقترب من السكرتير بخطوات ثقيلة وضربه بحدة على رأسه.

«من الأفضل لك أن تُطلق سراح هذا النقيب بريتشر وتُرسله إلى هنا. انصرف».

غادر السكرتير، فالتفت ميس إلى العمدة وقال: «أليس من الأفضل لك أن تأمر بالتحرك على الفور يا إندبور؟ لم يتبق سوى أربعة أشهر».

بقي إندبور واقفًا بعينين متوهجتين، وبدا عليه أنه لم يعد فيه شيء على قيد الحياة إلا إصبع واحد كان يمرره بحركة متشنجة سريعة على المثلثات الموجودة على سطح المكتب الأملس أمامه.

## الفصل السادس عشر

# المؤتمر

عندما شكَّلت كواكب التجارة الحرة ـ التي يوحدها فقط عدم ثقتها في كوكب القاعدة الأم ـ اتحادًا فيما بينها، وكل كوكب منهم يشعر بفخر كبير رغم صغر حجمه، وقد زادته العزلة صلابة، ويغمره إحساس بالخطر اللامتناهي، كان هناك مفاوضات أولية يجب تجاوزها ذات طبيعة مثيرة للشفقة، حتى إنها قد تصيب أكثر القلوب ثباتًا بالحزن.

لم يكن كافيًا حسم أمور مثل طرق التصويت وأنواع التمثيل، سواء حسب الكوكب أو السكان، بصورة مسبقة فهذه مسائل ذات أهمية سياسية. لم يكن كافيًا تحديد الأمور ذات الأولوية على الطاولة، سواء كانت طاولة المجلس أو طاولة العشاء، فهذه مسائل ذات أهمية اجتماعية.

كانت المشكلة هي تحديد المكان المناسب للاجتماع، بما أن هذه كانت مسألة تتعلق بالتغلب على النزعة الاقليمية. وفي النهاية أدت الطرق الدبلوماسية الملتوية إلى كوكب رادول، الذي اقترحه بعض المعلقين في البداية، لسبب منطقي وهو موقعه المركزي.

كان رادول كوكبًا صغيرًا، والأضعف بين السبعة وعشرين من حيث الإمكانيات العسكرية، وهذا بالمناسبة كان عاملًا آخر في الاختيار المنطقي.

كان كوكبًا شريطيًّا، من النوع الموجود بكثرة في المجرة، ولكن التنوع السكاني لهذه الكواكب هو أمر نادر لأنه من الصعب تحقيق المتطلبات المادية من أجل الحياة. بعبارة أُخرى كان كوكبًا يواجه أقصى درجات الحرارة والبرودة الرتيبة، بينما المنطقة التي يُمكن الحياة فيها هي الشريط الواقع في المنتصف في منطقة الشفق.

كوكب كهذا سيبدو دومًا غير جذاب بالنسبة لمن لم يجربوه، ولكن يوجد به مناطق موضوعة بشكل استراتيجي، وكانت مدينة رادول تقع في واحدة من تلك المناطق.

إنها تمتد على طول سفوح التلال الخفيضة أمام الجبال المتعرجة التي تدعمها على طول حافة نصف الكوكب البارد وتحجب عنها الجليد المخيف، بينما يهب الهواء الحار الجاف من النصف المشمس، وتتدفق المياه من الجبال عبر الأنابيب، وبين الاثنين صارت مدينة رادول حديقة دائمة الخضرة، تغرق في الصباح الأبدي من شهر يونيو الأبدي.

يقع كل منزل في وسط حديقة الزهور الخاصة به، منفتحًا على عناصر الطبيعة غير المؤذية، وكل حديقة كانت أرضًا قسرية للبستنة، حيث تنمو نباتات الزينة في أنماط رائعة من أجل التصدير، حتى صار رادول كوكبًا إنتاجيًّا تقريبًا وليس مجرد كوكب تجارة بالشكل النمطي.

لذا كانت مدينة رادول ـ بشكلٍ ما ـ نقطة صغيرة من الخضرة والرفاهية في كوكب شنيع، قطعة صغيرة من الجنة، وكان هذا أيضًا عاملًا في الاختيار المنطقي.

جاء الغرباء من كل الكواكب التجارية الستة وعشرين الأُخرى؛ المندوبون، والزوجات، والسكرتارية، والصحفيون، والسفن، والطواقم، فتضاعفت الكثافة السكانية لرادول تقريبًا، واُستُغِلَّت مواردها إلى أقصى حد. كان الواحد منهم يأكل كما يشاء ويشرب كما يشاء ولا ينام على الإطلاق.

ولكن كان هناك القليل ـ مِن بين هؤلاء الذين يقضون وقتًا ممتعًا ـ مَن لا يعرفون بشكل كبير أن المجرة تحترق ببطء في حرب هادئة وخاملة. ومن بين هؤلاء الذين يعرفون كان هناك ثلاث طبقات؛ أولًا كان هناك الكثيرون ممن يعرفون القليل ويشعرون بثقة مفرطة...

من هؤلاء كان الطيار الفضائي الشاب الذي يحمل شعار هاڤِن على مشبك قبعته، والذي استطاع وهو يُمسك بكأسه أمام عينيه أن يلمح الفتاة الرادولية التي تبتسم ابتسامة خافتة على الجانب المقابل.

كان يقول: «لقد مررنا مباشرة عبر منطقة الحرب لكي نأتي إلى هنا... وكان هذا مقصودًا. لقد سافرنا قُرابة دقيقة ضوئية بشكل محايد بجوار هورليجور مباشرة...».

تدخل رجل طويل القدمين من السكان المحليين يلعب دور المضيف لهذا الجمع الغريب قائلًا: «هورليجور؟ هذا هو المكان الذي تلقَّى فيه البغل هزيمة مبرحة الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟».

سأله الطيار بتعالٍ: «أين سمعت أن البغل قد تلقَّى هزيمة مبرحة؟».

«راديو القاعدة».

«حقًّا؟ حسنًا، لقد استولى البغل على هورليجور. لقد كدنا أن نصطدم في طريقنا بقافلة من سفنه، وهذا هو المكان الذي كانوا قادمين منه. إن الهزيمة المبرحة لا تعني أن تبقى في المكان الذي قاتلت فيه، وأن يهرب من هزمك في عجالة».

قال شخص آخر بصوت مرتفع غير واضح: «لا تتحدث هكذا، لطالما تعرضت القاعدة للهزيمة لبعض الوقت، فلتراقب، فقط اجلس وراقب. القاعدة تعرف متى تعود مجددًا ثم... بوم!». أنهى الصوت الغليظ حديثه ثم تلا ذلك ابتسامة مبهمة.

صمت طيار هاڤِن قليلًا ثم قال: «على أي حال، كما قلت، رأينا سفن البغل وكانت تبدو في حالة جيدة، جيدة للغاية. بل أقول لكم لقد بدت جديدة».

قال الساكن المحلي مفكرًا: «جديدة؟ هل يبنون السفن بأنفسهم؟». ثم انتزع ورقة من فرع متدلٍّ فوقه اشتمها برفق، قبل أن يعتصرها بين أسنانه، فسال من أنسجتها سائل أخضر، وانتشرت رائحة كرائحة النعناع، ثم قال: «هل تحاول أن تخبرني أنهم قد هزموا سفن القاعدة بسفن محلية الصنع؟ غير معقول».

«لقد رأيناهم يا دوك، وأنا أستطيع أن أُميز بين السفينة والمُذَنَّب».

مال الساكن المحلي بالقرب منه وقال: «أتعرف ما أعتقد، اسمعني، لا تخدع نفسك، الحروب لا تندلع من تلقاء نفسها، ولدينا بعض الدهاة يديرون الأمر، إنهم يعرفون ما يفعلونه».

صاح الرجل صاحب الصوت الغليظ فجأة قائلًا: «فلتراقبوا القاعدة، إنهم ينتظرون من أجل اللحظة الأخيرة ثم... بوم!». ثم ابتسم بفم فاغر أبله وهو ينظر إلى الفتاة التي تحركت مبتعدة عنه.

قال الرادولي: «على سبيل المثال يا صديقي فأنت قد تعتقد أن هذا الرجل المدعو البغل يُدير الأمور، لاا!». كان يلوح بإصبعه بحركة أفقية. «حسبما سمعت، ومن أشخاص ذوي مكانة عالية أيضًا، فإنه رجلنا، نحن ندفع له، وعلى الأرجح نحن من بنينا تلك السفن. دعونا نكون واقعيين حيال الأمر، لقد فعلنا هذا على الأرجح. بالتأكيد لا يمكنه هزيمة القاعدة على المدى الطويل، ولكن يمكنه أن يزعزع استقرارها، وعندما يفعل هذا سيحين دورنا».

قالت الفتاة: «هل هذا هو كل ما يمكنك الحديث عنه يا كليف؟ الحرب؟ لقد أصبتني بالضجر».

قال طيار هاڤِن بشهامة مفرطة: «فلنغير الموضوع، لا يُمكننا أن نجعل الفتيات يشعرن بالضجر».

اندمجت الفتاة مع الغناء وبدأت تضرب على كوب فارغ مع الإيقاع. المجموعات الصغيرة المكونة كل واحدة منها من فردين انفجرت في الضحك واللهو، وبدأت مجموعات قليلة شبيهة من فردين تخرج من بيت الشمس في الخلفية.

أخذت المحادثة منحنى عامًّا أكثر تنوعًا وأقل جدية...

ثم كان هناك هؤلاء الذين يعرفون أكثر بقليل ويشعرون بثقة أقل.

واحد منهم كان فران ذا الذراع الواحدة، الذي يمثل بجسده الضخم هاڤِن كمندوب رسمي، والذي كان يحظى بمكانة عالية كنتيجة لذلك، واستطاع تكوين صداقات جديدة؛ مع النساء عندما يستطيع هذا، ومع الرجال عندما يضطر لهذا.

كان مستلقيًا على منصة الشمس بمنزل أحد هؤلاء الأصدقاء الجدد المقام على قمة التل، وكان مسترخيًا لأول مرة ـ وهو ما سيصير لاحقًا مرتين ـ منذ ذهب إلى رادول. كان الصديق الجديد هو آيو ليون، وهو شخص من رادول مشابه له في الطباع. كان منزل آيو منعزلًا عن المجموعة العامة ووحيدًا في بحر من العطور الزهرية وثرثرة الحشرات. كانت منصة الشمس عبارة عن شريط من العشب موضوع على زاوية خمس أربعين درجة، وكان فران ممددًا عليها، وجسده يمتص أشعة الشمس بشكل معتدل.

قال: «ليس لدينا أي شيء مثل هذا على هاڤِن».

أجابه آيو بصوت ناعس: «هل رأيت الجانب البارد من قبل؟ هناك موقع على بعد عشرين ميلًا من هنا يجري فيه الأكسجين كالماء».

«غير معقول».

«إنها حقيقة».

«حسنًا، سأخبرك يا آيو، في الأيام الخوالي قبل أن أفقد ذراعي كنت معتادًا على الترحال، ولن تصدق هذا ولكن...». استمرت القصة التي تلت هذا لوقت طويل، ولم يصدقها آيو.

قال آيو وهو يتثاءب: «إنهم لا يصنعون هذه الأشياء كما في الأيام الخوالي، هذه هي الحقيقة».

قال فران بحماس شديد: «أجل، أعتقد أنهم لا يصنعونها، أنا أعرف هذا جيدًا. لقد أخبرتك عن ابني أليس كذلك؟ إنه من الطراز التقليدي إن جاز التعبير. سوف يصير تاجرًا عظيمًا، بحق السماء. إن يُشبهني في كل شيء، عدا أنه قد تزوج».

«هل تقصد عقدًا قانونيًّا؟ مع فتاة؟».

«هذا صحيح، أنا نفسي لا أفهم سبب هذا، لقد ذهبا إلى كالجان من أجل شهر العسل».

«كالجان؟ كالجان؟ متى كان هذا بحق السماء؟».

ابتسم فران ابتسامة عريضة وقال بطريقة ذات مغزى: «قبل أن يُعلن البغل الحرب على القاعدة مباشرة».

«هكذا إذن؟».

أومأ فران وهو يشير إلى آيو لكي يقرب رأسه وقال بصوت أجش: «في الواقع يمكنني أن أخبرك بشيء، ولكن لا تخبر به أحدًا. لقد أُرسل ابني إلى كالجان من أجل غرض محدد، لا يُمكنني بطبيعة الحال أن أبوح بهذا الغرض، ولكن فلتنظر إلى الموقف الآن وأعتقد أن بإمكانك تخمينه إلى حد كبير. على أي حال، كان ابني هو الرجل المناسب للمهمة، نحن التجار بحاجة إلى نوع من الفوضى». ثم ابتسم بحنكة وقال: «لقد حدثت الفوضى. أنا لا أقول كيف فعلنا هذا، ولكن ابني ذهب إلى كالجان فأرسل البغل سفنه. ابني أنا!».

كان آيو منبهرًا كما يجب، وازداد تكتمًا بدوره وهو يقول: «هذا جيد. أتعرف، إنهم يقولون إن لدينا خمسمئة سفينة جاهزة كي نتدخل بأنفسنا في الوقت المناسب».

قال فران بنبرة رسمية: «أكثر من هذا ربما. هذه استراتيجية حقيقية، هذا هو النوع الذي أحبه». ثم أخذ يهرش جلد بطنه بصوت مرتفع وهو يقول: «ولكن لا تنسَ أن البغل فتى ذكي أيضًا. ما حدث في هورليجور يقلقني».

«سمعت أنه قد خسر عشر سفن تقريبًا».

«بالتأكيد، ولكن لديه مئة أخرى، والقاعدة عليها أن تواجهه. من الجيد أن يُهزم هؤلاء الطغاة، ولكن ليس بمثل هذه السرعة على الإطلاق». ثم هز رأسه.

«السؤال الذي يراودني هو؛ من أين يحصل البغل على سفنه؟ هناك شائعة متداولة على نطاق واسع بأننا نحن من نصنعها له».

«نحن؟ التجار؟ يمتلك هاڤِن أكبر مصانع السفن في الكواكب الحرة، ونحن لا نصنع سفينة لأي شخص سوى أنفسنا. هل تفترض أن أي كوكب سيبني أسطولًا للبغل من تلقاء نفسه دون أن يتخذ الإجراءات اللازمة للعمل الموحد؟ هذه... مجرد حكاية خرافية».

«حسنًا، من أين يحصل عليها؟».

هزَّ فران كتفيه وقال: «أفترض أنه يصنعها بنفسه. هذا يقلقني أيضًا».

رمش فران بعينيه وهو ينظر إلى الشمس، ثم لفَّ أصابع قدميه حول الخشب الأملس لمسند القدمين المصقول. وببطء غرق في النوم واختلط صوت أنفاسه الهادئ مع صفير الحشرات.

وأخيرًا كان هناك هؤلاء القلة القليلة الذين يعرفون الكثير ولا يشعرون بأي ثقة على الإطلاق.

واحد من هؤلاء كان راندو، الذي ـ في اليوم الخامس من مؤتمر كل التجار ـ دلف إلى القاعة المركزية وعثر على الرجلين اللذين طلب لقاءهما هناك ينتظرانه. كان الخمسمئة مقعد فارغين، وسيظلون فارغين.

قال راندو على الفور، قبل حتى أن يجلس: «نحن الثلاثة نمثل قرابة نصف الإمكانيات العسكرية لكواكب التجارة الحرة».

قال مانجين من كوكب إيس: «أجل، أنا ورفيقي قد علَّقنا بالفعل على هذه الحقيقة».

قال راندو: «أنا جاهز للحديث على الفور، وبمنتهى الإخلاص. أنا لست مهتمًّا بالمساومة أو المراوغة. إن موقفنا يزداد سوءً بشكل حرج».

قال أوڤال جري من كوكب منيمون متسائلًا: «كنتيجة لـ...».

«لتطورات الساعة الأخيرة. من فضلكما! من البداية. أولًا إن موقفنا ليس من صنيعنا، ولكن ليس من المؤكد أنه قد خرج عن سيطرتنا. إن تعاملاتنا الأصلية لم تكن مع البغل، ولكن مع عدد من الآخرين، أبرزهم أمير حرب كالجان السابق، الذي هزمه البغل في أكثر وقت غير ملائم لنا».

قال مانجين: «أجل، ولكن هذا البغل هو بديل مناسب. أنا لا أُبالي بالتفاصيل البسيطة».

قال راندو: «ستبالي عندما تعرف كل التفاصيل». ثم مال إلى الأمام واضعًا يديه على الطاولة وراحتاه لأعلى في إشارة واضحة.

قال: «منذ شهر أرسلت ابن أخي وزوجته إلى كالجان».

صاح أوڤال جري في دهشة: «ابن أخيك؟ أنا لم أكن أعرف أنه ابن أخيك».

سأله مانجين في فتور: «لأي غرض؟ هذا؟». ثم رسم بإبهامه دائرة مغلقة عاليًا في الهواء.

«لا، إن كنت تعني حرب البغل على القاعدة فلا. كيف يُمكنني أن أرمي لمثل هذا الهدف البعيد؟ الشاب لا يعرف شيئًا، لا عن منظمتنا ولا عن أهدافنا. لقد قيل له إنني عضو صغير في مجتمع وطني بداخل هاڤِن، وأن دوره على كالجان هو لا شيء سوى مراقب مبتدئ. يجب أن أعترف أن دوافعي كانت غامضة حقًّا. بشكل أساسي كنت أشعر بالفضول حيال البغل، إنه ظاهرة غريبة، ولكنه أمر يحتاج إلى نقاش طويل، لن أخوضه الآن. ثانيًا سيكون مشروعًا تدريبيًّا تعليميًّا مثيرًا للاهتمام بالنسبة لرجل لديه خبرة مع القاعدة ومجتمع القاعدة السري، ويبدو أنه سيكون ذا فائدة لنا في المستقبل. كما تريان...».

تجهَّم وجه أوڤال وقال مظهرًا أسنانه الكبيرة: «لا شك أنك قد فوجئت بالنتيجة إذن، بما أنه لا يوجد كوكب بين التجار حسبما أعتقد لا يعرف أن ابن أخيك قد اختطف أحد رجال البغل باسم القاعدة، معطيًا البغل سببًا لإعلان الحرب. بحق المجرة يا راندو، أنت تغزل حكايات خيالية، أجد من الصعوبة تصديق أنه ليس لك يد في الأمر. بحقك لقد كان عملًا بارعًا».

هز راندو رأسه الأشيب وقال: «هذا الأمر ليس من صنيعي، ولا ـ عن عمد ـ من صنيع ابن أخي، المُحْتَجَز الآن في القاعدة، وقد لا يعيش لكي يرى إتمام ما تسميه أنت عملًا بارعًا. لقد تلقيت رسالة منه للتو، الكبسولة الشخصية قد هُرِّبت بطريقة ما، ومرت عبر منطقة الحرب لتصل إلى هاڤن، ثم سافرت من هناك إلى هنا. لقد استغرقت شهر في رحلتها».

«ومن ثم؟».

اتكأ راندو بثقل على معصمي راحتيه وقال بحزن: «أخشى أننا نلعب نفس الدور الذي لعبه أمير حرب كالجان السابق. البغل متحول جينيًّا!».

كان هناك اضطراب لحظي، انطباع خافت عن نبضات قلب متسارعة، كان باستطاعة راندو أن يتخيلها بسهولة.

عندما تحدَّث مانجين لم يظهر الاضطراب في صوته: «كيف عرفت هذا؟».

«فقط لأن ابن أخي يقول هذا، ولكنه كان على كالجان».

«أي نوع من المتحولين؟ هناك أنواع كثيرة كما تعرف».

كبح راندو إحساسه المتزايد بنفاد الصبر وقال: «أجل، أنواع كثيرة من المتحولين يا مانجين، أنواع كثيرة! ولكن هناك نوعًا واحدًا من البغل. أي نوع من المتحولين يمكنه أن يبدأ كشخص مجهول، ثم يجمع جيشًا ويؤسس ـ كما يقولون ـ قاعدة أصلية على نيزك من خمسة أميال، ويحتل كوكبًا، ثم مجموعة شمسية، ثم إقليم... ثم يهاجم القاعدة ويهزمها في هورليجور. وكل هذا في غضون عامين إلى ثلاثة أعوام!».

هزَّ أوڤال جري كتفيه وقال: «هل تعتقد إذن أنه سيهزم القاعدة؟».

«لا أعرف، فلنفترض أنه استطاع فعل هذا؟».

«المعذرة، لا يُمكنني أن أفترض مثل هذا الافتراض البعيد. اسمعني، لا يوجد هناك حقيقة جديدة يُمكننا أن نفترض هذا بناءً عليها إلا ما قاله... شاب عديم الخبرة. لمَ لا ندع الأمر جانبًا مؤقتًا؟ رغم كل انتصارات البغل فنحن لم نشعر بالقلق حتى الآن، وما لم يذهب إلى مدى أبعد فلا أرى سببًا لتغيير هذا، أليس كذلك؟».

عقد راندو حاجبيه وهو ينظر في يأس إلى نسيج ردائه الذي يشبه خيوط العنكبوت، ثم قال لكليهما: «هل تواصل أحد منا مع البغل من قبل؟».

أجابه كلاهما: «لا».

«ولكن صحيح أننا حاولنا التواصل معه، أليس كذلك؟ صحيح أنه لا يوجد هدف من اجتماعنا ما لم نستطع الوصول إليه، أليس كذلك؟ صحيح أننا حتى الآن قد انغمسنا في الشرب أكثر من التفكير، والشكوى أكثر من الفعل ـ أنا أقتبس من المقال الافتتاحي اليوم بجريدة منبر رادول ـ وكل هذا لأننا لا نستطيع الوصول إلى البغل. لدينا أيها السادة قرابة ألف سفينة تنتظر أن تخوض معركة في اللحظة المناسبة للاستيلاء على القاعدة. أقول إننا يجب أن نغير هذا، فلتأمروا بأن تخوض هذه الألف السفينة معركة الآن... ضد البغل».

سأله مانجين في غل شديد: «هل تقصد من أجل الطاغية إندبور ومصاصي دماء القاعدة؟».

رفع راندو يده في تعب وقال: «فلتعفني من المصطلحات، أنا أقول ضد البغل ولا يهمني من أجل من».

اعتدل أوڤال جري واقفًا وقال: «ليس لي شأن بكل هذا يا راندو، يُمكنك أن تطرحه أمام المجلس بكامل هيئته الليلة، إن كنت تتوق بشكل كبير إلى الانتحار السياسي».

ثم غادر دون أن يضيف كلمة أخرى فتبعه مانجين بصمت، تاركين راندو وحده ليقضي ساعة من التفكير اللانهائي غير المحسوم.

عندما انعقد المجلس بكامل هيئته هذه الليلة لم يقل شيئًا.

ولكن في الصباح التالي، اقتحم أوڤال جري غرفته مرتديًا ملابس غير رسمية بوجهٍ غير حليق وشعر غير ممشط.

حدَّق راندو إليه من وراء مائدة الإفطار التي لم تُنظَّف بعد بدهشة كافية لأن يفغر فاه مما تسبب في سقوط غليونه.

قال أوڤال بخشونة وبشكلٍ مباشر: «لقد تعرَّض منيمون للقصف من الفضاء بهجوم غادر».

ضيَّق راندو عينيه وقال: «القاعدة؟».

انفجر أوڤال قائلًا بكلمات متسارعة: «إنه البغل! كان هجومًا متعمدًا وغير مبرر. معظم أسطولنا قد انضم إلى الأسطول الدولي، والعدد القليل الذي تبقى كسرب محلي لم يكن كافيًا، وقد تحطم في السماء. ليس هناك أي عمليات إنزال حتى الآن، وقد لا يحدث هذا، فإن نصف المهاجمين قد تدمروا بحسب التقارير، ولكنها الحرب، وأنا قد جئت لكي أسألك عن موقف هاڤِن في هذا الأمر».

«أنا واثق أن هاڤِن سيلتزم بروح ميثاق الاتحاد، ولكن الأمر هو أنه يهاجمنا بدورنا».

«البغل رجل مجنون، هل يظن أن بإمكانه هزيمة الكون بأكمله». ثم هوى بجسده جالسًا وأمسك بمعصم راندو قائلًا: «لقد أبلغ الناجون القلائل لدينا بأن البغل يمتـ... العدو يمتلك سلاحًا جديدًا؛ حقل تثبيط نووي».

«ماذا؟».

قال أوڤال: «لقد تعرضت معظم سفننا للهزيمة لأن أسلحتها النووية قد خذلتها. لا يمكن أن يكون هذا قد حدث من قبيل المصادفة، أو عن طريق عملية تخريب داخلية؛ لا شك أنه سلاح يمتلكه البغل. إنه لم يعمل بشكل مثالي، فالتأثير كان متفاوتًا، وكان هناك طريقة لتحييده. البرقيات التي وصلتني ليست مفصلة، ولكن مثل هذه الأداة ستغير طبيعة الحرب كما ترى، وعلى الأرجح ستجعل الأسطول بالكامل عديم الجدوى».

أحس راندو أنه عجوز، عجوز للغاية، تجعَّد وجهه في يأسٍ وقال: «أخشى أن الوحش قد كبر وأنه سيلتهمنا جميعًا. ومع ذلك يجب أن نقاتله».

## الفصل السابع عشر

# مُحفِّز العقل

كان منزل إبلينج ميس الواقع في حي متواضع في مدينة تيرمينوس معروفًا جيدًا لأصحاب الفكر والمثقفين ومحبي القراءة في القاعدة، وتعتمد أهم صفاته بشكل ذاتي على المصدر المرجعي للقراءة، بالنسبة لمفكر ومؤرخ فإنه «رمز للانسحاب من الواقع اللا أكاديمي»، بينما كاتب صحفي مجتمعي سيكتب بحماس مبالغٍ فيه عن «جَوِّه الذكوري المخيف من الفوضى المستهترة»، بينما دكتور جامعي سيصفه باقتضاب بأنه «يحتوي على كتب ولكنه غير منظم»، صديق غير جامعي سيقول «مكان مناسب من أجل تناول الشراب في أي وقت، ويمكنك أن تضع قدميك على الأريكة»، وبث إخباري أسبوعي يهتم بالمظاهر سيتحدث عن «المسكن الصخري الواقعي الخالي من الهراء للمهرطق اليساري الأصلع إبلينج ميس».

بالنسبة لبايتا التي كانت تجلس منفردة بنفسها في تلك اللحظة، والتي حظيت بميزة الحصول على المعلومات بشكل مباشر، فقد كان مجرد مكان قد طالته يد الإهمال.

باستثناء الأيام القليلة الأولى كان سجنها عبءً خفيفًا، أخف بكثير كما يبدو من هذا الانتظار لمدة نصف ساعة في منزل العالم النفسي ـ ربما تحت مراقبة سرية؟ ـ فعلى الأقل كان معها توران حينها.

ربما كانت لتشعر بإرهاقٍ أكثر بسبب التوتر لو لم يكن أنف ماجنيفيكو الطويل متدليًا في إشارة تُظْهِر بشكل واضح أنه متوتر أكثر منها بشكل كبير.

كانت ساقا ماجنيفيكو ذات الشكل الأنبوبي منطويتين أسفل ذقنه المدبب المتهدل، كأنه يحاول أن يحتضن نفسه حتى يختفي. فامتدت يد بايتا في لفتة تلقائية لطيفة لكي تطمئنه. جفل ماجنيفيكو ثم ابتسم.

«يبدو حقًّا يا سيدتي أنه حتى جسدي يُنكر ما يعرفه عقلي، ويتوقع من أيدي الآخرين أن تضربه».

«ليس هناك داعٍ للقلق يا ماجنيفيكو، أنا معك ولن أدع أي شخص يؤذيك».

اختلس النظر إليها من جانب عينيه ثم أعادهما سريعًا وقال: «ولكنهم أبقوني بعيدًا عنك باكرًا، وعن زوجكِ الطيب. وقد تضحكين من هذا ولكن صدقيني لقد شعرت بالوحدة لافتقاد الصحبة».

«لن أضحك من هذا، لقد أحسست به أيضًا».

ابتهج المهرج واحتضن ركبتيه أكثر ثم تساءل بحذر: «ألم تلتقي من قبل بهذا الرجل الذي سيقابلنا؟».

«لا، ولكنه رجل مشهور، لقد رأيته في نشرات الأخبار، وسمعت الكثير عنه. أعتقد أنه رجل طيب يا ماجنيفيكو، وأنه لا يضمر لنا أي شر».

تململ المهرج في توتر وقال: «حقًّا؟ قد يكون هذا حقيقيًّا يا سيدتي، ولكنه قد استجوبني من قبل، وأسلوبه الفظ الصاخب جعلني أرتجف. إنه يتحدث بكلمات غريبة، لذا لم أستطع أن أجبر نفسي على الإجابة على

أسئلته. أكاد أصدق هذا الحكَّاء الذي لعب على جهلي بحكاية أنه في مثل هذه اللحظات يستقر القلب في القصبة الهوائية ويمنع المرء من الحديث».

«ولكن الأمر مختلف هذه المرة، نحن اثنان وهو شخص واحد، لن يكون قادرًا على إخافة كلينا، أليس كذلك؟».

«بلى يا سيدتي».

انغلق باب بصوت قوي في مكان ما، مع صوت مرتفع يدلف إلى البيت، وخارج الغرفة مباشرة قال الصوت في كلمات غاضبة: «اخرجا من هنا بحق المجرة!»، وكان بالإمكان رؤية حارسين بالزي الرسمي - لوهلةٍ عبر الباب المفتوح - وهما يتراجعان بسرعة.

دلف إبلينج ميس متجهمًا ووضع طردًا ملفوفًا بعناية على الأرض، ثم اقترب ليصافح بايتا وهو يضغط على يدها بلا مبالاة، فبادلته بايتا المصافحة بقوة بطريقة ذكورية. نظر ميس إلى المهرج بتردد، ثم نظر إلى الفتاة نظرة أطول.

قال لها: «هل أنتِ متزوجة؟».

«أجل، لقد انتهينا من الإجراءات القانونية».

صمت ميس ثم سألها: «هل أنتِ سعيدة حيال الأمر؟».

«حتى الآن».

هزَّ ميس كتفيه ثم التفت مجددًا إلى ماجنيفيكو، قبل أن ينزع التغليف عن الطرد، ويسأله: «هل تعرف ما هذا يا فتى؟».

قفز ماجنيفيكو من كرسيه وهو ينظر إلى الآلة متعددة المفاتيح، مرر أصابعه على الأزرار العديدة التي تُشبه المقابض، ثم تشقلب فجأة إلى الوراء في بهجة، فكاد أن يحطم قطعة الأثاث القريبة منه.

صرخ قائلًا: «مُحفِّز العقل، القادر على استخراج البهجة من قلب رجل ميت». كانت أصابعه الطويلة تداعب المفاتيح بِرِقَّة وببطء وهو يضغط عليها بخفة بحركة متموجة، لتستقر مؤقتًا على مفتاح أو آخر، وفي الهواء أمامهم كان هناك شكل وردة متوهجة رقيقة، فقط بداخل نطاق الرؤية.

قال إبلينج ميس: «حسنًا يا فتى لقد قلت إن باستطاعتك العزف على واحدة من تلك الآلات، وها هي فرصتك، من الأفضل لك أن تضبطه أولًا، فقد جلبته من أحد المتاحف». ثم مال جانبًا وقال لبايتا: «حسبما فهمت فلا أحد من القاعدة يستطيع أن يجعله يتحدث بالشكل الملائم».

ثم مال مقتربًا أكثر منها وقال على الفور: «المهرج لن يتحدث بدونك، هل ستساعدين؟».

أومأت برأسها.

قال: «رائع! إن حالة الخوف لديه ثابتة تقريبًا، وأشك أن قوته العقلية ستتحمل مسبارًا نفسيًّا. إن كنت سأستخرج أي شيء منه بطريقة أخرى، فيجب أن يشعر بالراحة المطلقة. هل تفهمين؟».

أومأت برأسها مجددًا.

«إن محفز العقل هذا هو الخطوة الأولى في العملية. يقول إن باستطاعته العزف عليه، ورد فعله الآن يجعلني واثقًا من أنها واحدة من أعظم المباهج في حياته. لذا سواء كان العزف جيدًا أو سيئًا فلتُبدي الاهتمام والتقدير، ثم أظهري الود والثقة بي. وفي المقام الأول فلتحذي حذوي في كل شيء». ثم ألقى نظرة سريعة على ماجنيفيكو المتكوم في ركن الأريكة وهو يجري تعديلات سريعة على الجزء الداخلي من الآلة الموسيقية، كان مستغرقًا تمامًا.

قال ميس لبايتا بنبرة ودية غير رسمية: «هل سمعتِ من قبل عن محفز العقل؟».

أجابته بايتا ببساطة مماثلة: «مرة واحدة، في حفلٍ من الآلات الموسيقية النادرة، لم أكن منبهرة».

«حسنًا، أشك في أنك قد التقيت بعازف بارع، هناك عدد قليل للغاية من العازفين البارعين حقًّا. لا يتوقف الأمر على تطلبه للتوافق الجسدي وحسب ـ فالبيانو متعدد الصفوف يتطلب توافقًا أكثر منه على سبيل المثال ـ ولكن الأمر هو أنه يتطلب عقلية حرة من نوعٍ ما». ثم خفض صوته وقال: «لذا فإن هذا الهيكل العظمي الحي قد يكون أفضل مما نعتقد. في أغلب الأحيانٍ يكون العازفون البارعون حمقى في كل شيء عدا العزف. إنها واحدة من تلك التركيبات الغريبة التي تجعل علم النفس مثيرًا للاهتمام».

ثم أضاف في محاولة واضحة لخلق محادثة ودية: «هل تعرفين كيف يعمل هذا الشيء اللعين؟ لقد بحثت في الأمر من أجل هذا الغرض، وكل ما استطعت معرفته حتى الآن هو أن موجاته الصوتية تحفز المركز البصري للدماغ مباشرة، دون حتى أن تلمس العصب البصري، إنه في الواقع استغلال للحواس ليس له مثيل في الطبيعة المعتادة. إنه أمر استثنائي عندما تفكرين فيه. ما تسمعينه قد لا يكون استثنائيًا، وهذا طبيعي، لأنه يتوقف على طبلة الأذن وقوقعة الأذن وكل ذلك، ولكن ما... صه! إنه مستعد. هلا ضغطتِ على هذا المفتاح من فضلك؛ الآلة تعمل بشكل أفضل في الظلام».

كان ماجنيفيكو مجرد فقاعة في الظلام، وكان إبلينج ميس كتلة ضخمة تتنفس بعمق، ووجدت بايتا نفسها تُرهق عينيها بالتحديق في قلق، ولكن في البداية لم يكن هناك أي تأثير. ثم ظهرت خيوط رفيعة ترتجف في الهواء وتتمايل بحركة متذبذبة مع تصاعد النغمات في السلم الموسيقي. كانت مُعَلَّقة في الهواء ثم سقطت ثم تعلَّقت مجددًا وازدادت حجمًا، قبل أن تنفجر بدويٍّ هائل، كان أثره كدويّ انقسام في غلالة رقيقة.

ظهرت كرة صغيرة من الألوان النابضة، ازدادت حجمًا في طفرات متناغمة، ثم انفجرت في الهواء إلى دفقات عديمة الشكل، وارتفعت عاليًا في الهواء، ثم انسابت لأسفل كتموجات منحنية في أنماط متداخلة. اتحدت في كرات صغيرة لا توجد اثنتان منهما متماثلتين في اللون، وبدأت بايتا تكتشف أشياء.

لاحظت أن إغلاق عينيها يجعل أنماط الألوان أكثر وضوحًا، وأن كل حركة صغيرة من الألوان لها نمطها الصوتي الصغير، وأنها لا تستطيع التعرف على الألوان، وأخيرًا أن الكرات لم تكن كراتٍ بل صور صغيرة.

صور صغيرة، ألسنة لهب صغيرة متغيرة، ترقص وتومض بأعداد لا تُحصى، تغيب عن الأنظار ثم تعود فجأة كأنما تظهر من العدم. تدور سريعًا حول بعضها ثم تندمج في ألوان جديدة.

فكَّرت بايتا بشكل متناقض في فقاقيع الألوان الصغيرة التي تظهر في الليل عندما تُغلق جفنيك حتى يؤلماك ثم تحدق بصبر. كان هناك ذلك التأثير المألوف القديم لنقاط الألوان المتغيرة وهي تتحرك بشكل راقص، الدوائر المتشابكة متحدة المركز، الكتل المبهمة التي ترتجف لحظيًّا. كل هذا أكبر وأكثر عددًا، وكل نقطة صغيرة من الألوان هي صورة ضئيلة.

اندفعوا ناحيتها في أزواج فرفعت يديها وهي تشهق فجأة، ولكنهم توقفوا عن الاندفاع، ولوهلة وجدت نفسها في قلب عاصفة ثلجية باهرة، بينما ضوء بارد ينساب على كتفيها وذراعيها في انزلاق مضيء، ومندفعًا من أصابعها المتيبسة ليلتقي ببطء في تركيز ساطع في منتصف الهواء. أسفل كل هذا يتدفق صوت مئات الآلات الموسيقية في تيارات سائلة لم تستطع أن تميزها عن الضوء.

تساءلت إن كان إبلينج ميس يرى نفس الشيء، وإن لم يكن فما الذي يراه. توقَّفت عن التساؤل وبعدها...

راقبت مجددًا. الصور الصغيرة ـ هل هي صور صغيرة؟ نساء صغيرات ضئيلات بشعر محترق يدرن وينحنين بسرعة أكبر من قدرة العقل على التركيز؟ ـ اشتبكت مع بعضها البعض في مجموعات نجمية الشكل تدور حول نفسها، وكانت الموسيقى ضحكًا خافتًا، ضحك فتيات ينبعث بداخل الأذن.

اقتربت النجوم من بعضها البعض، وهي تُصدر شررًا، ثم ازدادت حجمًا ببطء، لتتحول إلى مبنى، ومن الأسفل كان هناك قصر يزداد ارتفاعًا في نموٍ سريع. كل حجر كان لونًا صغيرًا، كل لون كان شرارة صغيرة، كل شرارة كانت ضوءً باهرًا تتغير أنماطه، يجذب الأنظار ناحية السماء إلى عشرين مئذنة مرصعة بالجواهر.

انطلقت سجادة متلألئة تحوم في المكان وتدور حول نفسها لتغزل شبكة واهية غمرت المكان بأكمله، واندفع منها براعم ضوء تفرَّعت لتصير أشجارًا تغني بموسيقى خاصة بها.

كانت بايتا جالسة وهي محاطة بكل هذا. الموسيقى تنهمر من حولها، في تحليقٍ غنائي سريع. مدَّت يدها لتلمس شجرة هشة، فتدفقت الشوكات المتفتحة لأسفل واختفت، كل واحدة بصوت رنين خافت مسموع.

تحطَّمت الموسيقى في عشرين صنجًا، وأمامها اشتعلت النار في منطقة ما وتدفقت لأعلى، قبل أن تهبط لأسفل بخطوات خفية إلى حجر بايتا، حيث انسكبت وتدفقت في تيارات سريعة ففاضت الشرارات النارية حتى وصلت إلى خصرها. بينما على حجرها كان هناك جسر من قوس قزح وفوقه الصور الصغيرة...

قصر وحديقة ورجال ضئال ونساء على جسر يمتد على مرمى البصر، يسبحون عبر أمواج مهيبة من الموسيقى الوترية تصب كلها ناحيتها.

ثم كان هناك توقف خائف، تردُّد، حركة انسحابية، انهيار سريع. هربت الألوان ونُسِجَت في كرات انكمشت وارتفعت ثم اختفت.

ولم يعد هناك سوى الظلام مُجددًا.

امتدت قدم ثقيلة تبحث عن دواسة، ثم وصلت إليها، فتدفق الضوء إلى الداخل، ضوء الشمس البسيط العادي. أخذت بايتا ترمش بعينيها حتى سالت الدموع كأنما تشتاق إلى ما قد ذهب. كان إبلينج ميس عبارة عن كتلة خاملة، عيناه لا تزالان متسعتين وفمه لا يزال مفتوحًا.

وحده ماجنيفيكو كان ينبض بالحياة، وهو يداعب محفز العقل في نشوة مدندنة.

تنهَّد وقال: «إنه تأثير ساحر بالفعل يا سيدتي. إنه توازن واستجابة للحواس يفوقان الخيال في رقتهما واستقرارهما. باستخدام هذا أستطيع فعل المعجزات. ما مدى إعجابك بمقطوعتي الموسيقية يا سيدتي؟».

شهقت بايتا وقالت: «أهي مقطوعتك؟ من تلحينك؟».

تخضب وجهه النحيف بالحمرة حتى أرنبة أنفه الكبيرة إثر انبهارها وقال: «إنها مقطوعتي الخاصة يا سيدتي، لم تُعجب البغل، ولكني كنت أعزفها مرارًا وتكرارًا من أجل متعتي الخاصة. لقد رأيت هذا القصر ذات مرة في شبابي، مكان ضخم من الثروات المرصعة بالجواهر، رأيته من بعيد ذات مرة في كرنڤال كبير. كان هناك أشخاص لهم فخامة لا تخطر على بال، وعظمة تفوق ما رأيته لاحقًا، حتى في خدمة البغل. إنها مجرد مقطوعة بسيطة اختلقتها كيفما اتفق، ولكن فقر مخيلتي يحول دون المزيد. أسميتها؛ ذكرى الجنة».

أثناء هذه الثرثرة انتزع ميس نفسه من ذهوله ليعود إلى الحياة العملية وقال: «حسنًا يا ماجنيفيكو هل يمكنك أن تفعل نفس الشيء أمام آخرين؟».

تراجع المهرج للوراء للحظة ثم قال بصوت مرتجف: «أمام آخرين؟».

صاح ميس: «أمام آلاف في قاعات القاعدة الكبرى. هل ترغب في أن تكون سيد نفسك؟ وأن يكرمك الجميع، الأثرياء و... و...». لم تسعفه مخيلته فقال: «وما إلى ذلك؟ ها؟ ما قولك؟».

«ولكن كيف لي أن أكون كل هذا يا سيدي العظيم؟ فأنا في الحقيقة لست سوى مهرج مسكين، لا وزن له أمام الأشياء العظيمة في العالم».

زفر العالم النفسي ثم مسح جبينه بظهر يده قبل أن يقول: «ولكن عزفك مذهل. العالم ملكك إن عزفت هكذا أمام العمدة ورجاله التجار. ألا تريد هذا؟».

نظر المهرج نظرة سريعة إلى بايتا وقال: «هل ستبقى معي؟».

ضحكت بايتا وقالت: «بالطبع أيها الأحمق، هل تظن أني سأتركك الآن وأنت على وشك أن تصير ثريًّا ومشهورًا؟».

أجابها بصدق: «سيكون كل شيء ملكك، ومنحك كل ثروات المجرة لن يكفي لسداد ديني نظير طيبتك».

قال ميس ببساطة: «ولكن إن كنت ستساعدني أولًا...».

«ماذا؟».

صمت العالم النفسي ثم ابتسم وقال: «مجرد مسبار سطحي صغير لن يؤلمك، لن يلمس سوى قشرة مخك».

كان هناك بريق خوف شديد في عيني ماجنيفيكو، الذي قال: «لا، إلا المسبار، لقد رأيته يُستخدم من قبل، إنه يستنزف العقل ويترك وراءه جمجمة فارغة. لقد استخدمه البغل على الخونة وتركهم يجوبون الشوارع بلا عقل، حتى قُتِلوا بدافع الرحمة». ثم رفع يديه ليدفع ميس بعيدًا.

شرح له ميس في صبر: «كان هذا مسبارًا نفسيًّا، وحتى هذا لا يؤذي الشخص إلا عند إساءة استخدامه. المسبار الذي لديَّ هو مسبار سطحي لن يؤذي طفلًا رضيعًا».

قالت بايتا لتشجعه: «هذا صحيح يا ماجنيفيكو، إن هذا فقط لمساعدتنا على هزيمة البغل وإبقائه بعيدًا عنا. بمجرد أن ينتهي هذا الأمر سنصير أنا وأنت غنيين ومشهورين طيلة حياتنا».

رفع ماجنيفيكو يده المرتجفة وقال: «هلا أمسكتِ بيدي إذن؟».

أمسكت بايتا يده بكلتا يديها، بينما المهرج ينظر إلى الألواح المدببة المصقولة بعينين واسعتين.

كان إبلينج ميس مسترخيًا بلا اكتراث على الكرسي بالغ الفخامة في مسكن العمدة إندبور الخاص، بدون أن يشعر بأدنى امتنان للتنازل الذي أظهره له، وراح يراقب العمدة يتململ بدون تعاطف.

ألقى بعقب سيجار بعيدًا وبصق قطعة من التبغ، ثم قال: «وبالمناسبة يا إندبور، إن كنت تريد شيئًا من أجل حفلك القادم في قاعة مالو فيُمكنك أن تُلقي بهذه الآلات الإلكترونية في المجاري التي أتت منها، واجعل هذا المسخ الصغير يعزف على محفز العقل من أجلك. إنه شيء لا يوجد له مثيل في العالم يا إندبور».

قال إندبور بحنق: «أنا لم أُحضرك إلى هنا لكي أستمع إلى محاضراتك عن الموسيقى. ماذا عن البغل؟ قل لي، ماذا عن البغل؟».

«البغل؟ حسنًا، سأقول لك، لقد استخدمت المسبار السطحي وحصلت على القليل. لا يُمكنني أن أستخدم المسبار النفسي لأن المسخ يشعر بالرعب منه، لذا فإن مقاومته على الأرجح ستفجر صمامات عقله اللعين بمجرد حدوث الاتصال. ولكن هذا هو ما حصلت عليه، لو أنك فقط توقَّفت عن النقر بأظافرك...

أول شيء كف عن التوتر بشأن قوة البغل البدنية. إنه قوي على الأرجح ولكن معظم حكايات المسخ الخرافية عنها هي على الأرجح مبالغ فيها إلى حد كبير، بسبب ذاكرته المذعورة. إنه يرتدي نظارة غريبة وعيناه تقتلان. من الواضح أن لديه قوى عقلية».

قال العمدة بمرارة: «كنا نعرف هذا ـ إلى حد كبير ـ من البداية».

«ثم أثبت المسبار صحته، ومن ثم يُمكنني أن أبدأ في العمل رياضيًّا».

«إذن كم من الوقت سيستغرق هذا؟ إن كلماتك المزعجة ستصيبني بالصمم».

«يمكنني أن أقول قرابة شهر وسيكون لديَّ شيء لأعرضه عليك. وقد لا يكون لديَّ بالطبع، ولكن ما الفارق؟ إن كان هذا كله خارج خطة سيلدون فإن فرصتنا ضئيلة، ضئيلة للغاية».

هجم إندبور على العالم النفسي بشراسة وقال: «الآن كشفتك أيها الخائن. اكذب! قل إنك لست واحدًا من هؤلاء المجرمين مروجي الإشاعات الذين ينشرون الانهزامية والذعر في القاعدة ويجعلون عملي صعبًا

بشكل مضاعف».

كان غضب ميس يتعاظم ببطء وهو يقول: «أنا؟ أنا؟».

صرخ فيه إندبور: «لأن القاعدة ستنتصر بحق غبار السحب الفضائية... يجب أن تنتصر القاعدة».

«رغم الهزيمة في هورليجور؟».

«لم تكن هزيمة. هل ابتلعت هذه الكذبة المنتشرة أيضًا؟ لقد كانوا يفوقوننا عددًا، وتعرضنا للخيانة...».

سأله ميس بازدراء: «الخيانة ممن؟».

صرخ إندبور مجددًا في وجهه: «من الديموقراطيين المتعفنين ساكني البالوعات. كنت أعرف منذ وقت طويل أن الأسطول موبوء بالخلايا الديموقراطية. لقد قضينا على عدد كبير منهم، ولكن تبقى عدد كافٍ تسبب في استسلام عشرين سفينة بشكلٍ غير مبرر أثناء معركة حامية الوطيس. ما يكفي من أجل هزيمة ظاهرية.

فيما يتعلق بهذه المسألة أيها المناضل الوطني سليط اللسان ومثال القيم البدائية، ما هي علاقتك بالديموقراطيين؟».

هز إبلينج ميس كتفيه وقال: «أنت تهذي، هل تعرف هذا؟ ماذا عن الانسحاب المتكرر منذ ذلك الوقت، وخسارة نصف سيوينا؟ الديموقراطيون أيضًا؟».

ابتسم الرجل الضئيل بحدة وقال: «لا، ليس الديموقراطيون، لقد تراجعنا كما تتراجع القاعدة دومًا تحت وطأة الهجوم، حتى تقف مسيرة التاريخ الحتمية في صفنا. يُمكنني أن أرى النتيجة بالفعل. لقد أدلى ما يسمى بمجتمع الديموقراطيين السري ببيانات يقسمون فيها بالولاء ومد يد العون للحكومة. يمكن أن تكون مجرد خدعة، غطاء لخيانة أعمق، ولكني سأُحسن استغلال الأمر، والبروبوجاندا المستخلصة من الأمر سيكون لها تأثيرها، بغض النظر عن مخطط هؤلاء الخونة المتسلقين، والأفضل من هذا...».

«أفضل حتى من هذا يا إندبور؟».

«فلتحكم بنفسك. منذ يومين أعلنت ما تُسمى برابطة التجار الأحرار الحرب على البغل، وتم تعزيز قوة أسطول القاعدة بألف سفينة دفعة واحدة. لقد تمادى هذا البغل كثيرًا كما ترى، لقد رآنا منقسمين ومتشاكسين بين أنفسنا، وتحت ضغط هجومه اتحدنا وازددنا قوة. يجب أن يخسر. هذا حتمي كما هو الحال دائمًا».

قال ميس والشك لا يزال ظاهرًا عليه: «هل تُخبرني أن سيلدون قد خطط حتى لظهور متحول جينيًّا مصادفة؟».

«متحول جينيًّا؟ أنا لا أستطيع التفريق بينه وبين أي بشري، ولا يمكنك أنت سوى عن طريق هذيان نقيب متمرد، وشابين غريبين، ومهرج مخادع محتال. لقد نسيت أهم دليل دامغ؛ دليلك أنت».

ظهرت الدهشة على وجه ميس لوهلة ثم قال: «دليلي؟».

قال العمدة بسخرية: «أجل دليلك. ستنفتح خزانة الزمن في غضون تسعة أسابيع، ما معنى هذا؟ إنها لا تنفتح الا عند حدوث أزمة. إن كان هجوم البغل ليس هو الأزمة، فأين هي الأزمة الحقيقية؟ الأزمة التي ستنفتح الخزانة من أجلها؟ أجبني أيها العبقري».

هزَّ العالم النفسي كتفيه وقال: «حسنًا، إن كان هذا يُبقيك سعيدًا، ولكن فلتسدِ لي معروفًا، فقط في حالة أن ألقى العجوز سيلدون خطبته ولم يسِر الأمر على ما يرام، فلتسمح لي بحضور الافتتاح الكبير».

«حسنًا، فلتنصرف الآن، ولا تُرني وجهك لمدة تسعة أسابيع».

تمتم ميس في قرارة نفسه وهو يغادر: «بكل سرور أيها الضئيل اللعين».

## الفصل الثامن عشر

# سقوط القاعدة

كان هناك جو عام يغلف خزانة الزمن لا يمكن تحديده بدقة في أماكن عدة في وقت واحد، لم يكن جوًّا من التعفن، فقد كانت جيدة الإضاءة وجيدة التهوية، وألوان الجدران نابضة بالحياة، وصفوف الكراسي المثبتة مريحة، ومن الواضح أنها قد صُمِمت للاستخدام اللانهائي. لم يكن حتى جوًّا من القِدَم، فإن ثلاثة قرون لم تترك أي علامة واضحة. لم يُبذَل أي مجهود بالتأكيد لخلق إحساس بالرهبة والتبجيل، فالأثاث كان بسيطًا ومعتادًا، وتكاد الحجرة أن تكون خالية منه في الواقع.

ولكن بعد إضافة السوالب والتخلص من المجموع تبقى شيء واحد، وهذا الشيء كان متمركزًا حول المقصورة الزجاجية التي تحتل نصف الحجرة بفراغها الواضح. أربع مرات في ثلاثة قرون جلست المحاكاة الحية لهاري سيلدون ذاته هناك وتحدَّثت، ومرتان منهما لم يكن هناك أي مستمعين.

خلال ثلاثة قرون وتسعة أجيال، الرجل العجوز الذي شهد الأيام العظيمة للإمبراطورية الكونية قد تجسَّد بنفسه، وما زال يعرف عن مجرة أحفاد أحفاد أحفاد أحفاده، أكثر من هؤلاء الأحفاد أنفسهم.

انتظرت تلك المقصورة الفارغة بصبر.

أول الواصلين كان العمدة إندبور الثالث، وهو يقود سيارته الأرضية الرسمية عبر الشوارع الصامتة القلقة. وصل معه كرسيه الخاص، الأكثر ارتفاعًا وعرضًا من الكراسي الموجودة هناك، ثم وُضِع أمام كل الكراسي الأخرى، وبسط إندبور نفوذه على كل شيء ما عدا الزجاج الفارغ أمامه.

أحنى المسؤول الرسمي الواقف على يساره رأسه في تبجيل وقال: «لقد انتهينا فخامتك من الترتيبات من أجل الانتشار الأثيري الأوسع نطاقًا للبيان الرسمي الذي سُتدلي به فخامتك الليلة».

«جيد، في الوقت ذاته يجب أن تستمر إذاعة البرامج المتعلقة بخزانة الزمن إلى الكواكب الخارجية. لن يكون هناك بالطبع أي توقعات أو تكهنات من أي نوع حيال الأمر. هل رد الفعل الشعبي مستمر بشكلٍ مُرْضٍ؟».

«إلى حدٍ كبيرٍ فخامتك. الشائعات المغرضة التي انتشرت في الفترة الأخيرة قد تناقصت كثيرًا. الثقة تسود على نطاق واسع».

«جيد». ثم لوَّح بيده إلى الرجل لكي ينصرف، قبل أن يضبط حلية عنقه على نحو أنيق.

تبقَّى عشرون دقيقة على الظهيرة.

كان هناك مجموعة منتقاة من الدعائم العظيمة للعمودية ـ قادة المنظمات التجارية الكبرى ـ قد ظهروا بشكل ثنائي بدرجة من الفخامة تتناسب مع وضعهم المادي أو درجة تفضيل العمدة لهم. قدَّم كل واحد

منهم نفسه إلى العمدة، وتلقّى كلمة ثناء أو كلمتين، قبل أن يجلس في موضعه المخصص.

في مكان ما وبشكل يتعارض مع كل هذه المراسم المتكلفة ظهر «راندو من هاڤِن» دون سابق إنذار وشقَّ طريقه إلى كرسي العمدة.

انحنى وتمتم قائلًا: «فخامتك!».

عقد إندبور حاجبيه وقال: «أنت لم تُمنح إذنًا بلقائي».

«لقد قدمت طلبًا منذ أسبوع فخامتك».

«يؤسفني أن شئون الدولة المتعلقة بظهور سيلدون قد...».

«يؤسفني هذا أيضًا فخامتك، ولكن يجب أن أطلب منك أن تلغي الأمر الذي أصدرته بتوزيع سفن التجار الأحرار على أساطيل القاعدة».

احتقن وجه إندبور بسبب مقاطعته وقال: «هذا ليس الوقت المناسب للنقاش».

همس راندو بإلحاح: «هذا هو الوقت الوحيد فخامتك، كممثل لكواكب التجارة الحرة أقول لك إننا لا يُمكننا إطاعة هذا الأمر. يجب إلغاؤه قبل أن يحل سيلدون مشكلتنا نيابة عنا. بمجرد أن تنتهي حالة الطوارئ سيكون أوان التصالح قد فات، وسيتفتت تحالفنا».

حدَّق إندبور إلى راندو ببرود وقال: «هل تدرك أنني رئيس قوات القاعدة المسلحة؟ هل لديَّ الحق في تحديد السياسة العسكرية أم لا؟».

«لديك الحق فخامتك، ولكن هناك بعض الأشياء غير الملائمة».

«أنا لا أرى أي شيء غير ملائم، من الخطر السماح بأن يكون لقومك أساطيل مستقلة في ظل حالة الطوارئ هذه. إن العمل بشكل متفرق لن يفيد سوى العدو، يجب أن نتحد سياسيًّا أيها السفير، مثلما نحن متحدون عسكريًّا».

أحس راندو بالاختناق في حلقه، فتجاهل مجاملة مخاطبته بكلمة فخامتك وهو يقول: «أنت تشعر بالأمان الآن لأن سيلدون سيتحدث، وتتصرف بشكل معادٍ لنا. منذ شهر مضى كنت لينا وطيعًا عندما هزمت سفننا البغل في تيريل. يجب أن أُذّكِّرك يا سيدي أن أسطول القاعدة قد هُزِم في المعارك المفتوحة خمس مرات، وأن سفن كواكب التجارة الحرة قد جلبت لك الانتصارات».

عقد إندبور حاجبيه بشكل يُنذر بالخطر وقال: «لم يعد مُرَحَّبًا بك على تيرمينوس أيها السفير، إن طلب مغادرتك سيُقدَّم هذا المساء، علاوة على ذلك فإن علاقتك بالقوى الديموقراطية التخريبية على تيرمينوس سيجري التحقيق فيها، أو بالأحرى قد جرى التحقيق فيها».

أجابه راندو: «عندما أُغادر فإن سفننا ستُغادر معي. أنا لا أعرف شيئًا عن هؤلاء الديموقراطيين الذين تتحدث عنهم. أنا أعرف فقط أن سفن القاعدة الخاصة بكم قد استسلمت للبغل بسبب خيانة كبار الضباط وليس البحَّارة، سواءً كانوا ديموقراطيين أو غير ذلك. أنا أقول لك إن عشرين سفينة من سفن القاعدة قد

استسلمت في هورليجور بأوامر الأدميرال قبل أن يصابوا بأذى، أو أن يكونوا موشكين على الهزيمة. هذا الأدميرال هو أحد رجالك المقربين، فهو من ترأَّس محاكمة ابن أخي بمجرد وصوله من كالجان. إنها ليست الحالة الوحيدة التي نعرفها، ولن نسمح بتعرض سفننا ورجالنا للخطر تحت قيادة خونة محتملين».

قال إندبور: «ستوضع تحت الحراسة بمجرد أن تغادر هذا المكان».

سار راندو مبتعدًا تلاحقه التحديقات المزدرية الصامتة لزمرة حكام تيرمينوس.

تبقَّى عشر دقائق على الثانية عشرة!

كان بايتا وتوران قد وصلا بالفعل، وقد اعتدلا واقفين من مقعديهما في الخلفية، وأشارا إلى راندو بينما هو يمر من جوارهما.

ابتسم راندو برفق وقال: «أنتما هنا رغم كل شيء. كيف استطعتما فعل هذا؟».

ابتسم توران وقال: «لقد كان ماجنيفيكو رجلنا السياسي. أصر إندبور على أن يلحن مقطوعة موسيقية لمحفز العقل مبنية على خزانة الزمن وأن يكون هو نفسه البطل بلا شك. رفض ماجنيفيكو الحضور بدوننا، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن هذا. إبلينج ميس معنا، أو كان معنا، إنه يتجول في مكان ما». وعندما أدرك فجأة الجدية القلقة المرتسمة على وجهه سأله: «ما الخطب يا عمَّاه؟ أنت لا تبدو على ما يرام».

أومأ راندو برأسه وقال: «أنت محق، نحن على وشك مواجهة أوقات عصيبة يا توران. أخشى أنهم عندما يتخلصون من البغل فسوف يحين دورنا».

اقترب منهم شخص يرتدي ملابس بيضاء رسمية، حياهم بانحناءة صارمة.

لمعت عينا بايتا السوداوان بابتسامة وهي تمد يدها قائلة: «النقيب بريتشر! هل أنت في مهمة فضائية رسمية إذن؟».

أمسك النقيب بيدها وزاد انحناءته وهو يقول: «لا شيء كهذا. إن د. ميس حسبما فهمت كان السبب وراء إحضاري إلى هنا، ولكن هذا بشكل مؤقت فقط، سأعود إلى الإقامة المنزلية الجبرية في الغد. ما الوقت الآن؟».

تبقَّى ثلاث دقائق على الثانية عشرة!

كان ماجنيفيكو في حالة مزرية من البؤس والاكتئاب؛ جسده متكومٌ في محاولة لا تنقطع لأن يختفي، وأنفه الطويل متدلٍ على فتحتي أنفه، وعيناه الكبيرتان المُطرِقتان تتحركان بسرعة واضطراب.

أمسك بقوة بيد بايتا، وعندما انحنت همس قائلًا: «هل تعتقدين يا سيدتي أن كل هؤلاء العظماء قد كانوا ضمن الحضور عندما... عندما عزفت على محفز العقل؟».

قالت بايتا لتطمئنه وهي تهزه بلطف: «الجميع، أنا واثقة، وواثقة أيضًا من أنهم جميعًا يعتقدون أنك أروع عازف في المجرة، وأن حفلتك الموسيقية هي أعظم ما شهدوه على الإطلاق، لذا فلتجلس معتدلًا بشكل صحيح، يجب أن نتحلى بالوقار».

ابتسم في ضعف إثر تجهمها المازح، وببطء بدأ يبسط أطرافه العظمية الطويلة.

كانت الظهيرة...

... ولم تعد المقصورة الزجاجية فارغة.

من غير المؤكد أن أحدًا قد شاهد ظهوره، فقد كان انتقالًا خاطفًا؛ في لحظة لم يكن هناك، وفي اللحظة التالية صار هناك.

في المقصورة كان هناك شخص على كرسي متحرك، عجوز ومتغضن الوجه، ومن بين تجاعيد وجهه تلمع عينان ذكيتان، وصوته ـ كما اتضح ـ كان أكثر شيء حيوي فيه. كان هناك كتاب موضوع على حجره ووجهه لأسفل، وجاء صوته هادئًا.

«أنا هاري سيلدون!».

بدا صوته مدويًا في الصمت المطبق.

«أنا هاري سيلدون! لا أعرف إن كان يوجد أحد هنا على الإطلاق بمجرد الإدراك الحسي، ولكن هذا غير مهم. لديَّ تخوفات قليلة حتى هذه اللحظة في انهيار الخطة، فالنسبة المئوية لاحتمالية عدم انحراف الخطة في الثلاثة قرون الأولى هي أربعة وتسعون فاصل اثنان من عشرة».

صمت ليبتسم ثم قال برفق: «بالمناسبة؛ إن كان أحدكم واقفًا فليجلس، وإن كان أحدكم يرغب في التدخين فمن فضلك افعل هذا. أنا لست هنا بجسدي، ولا أحتاج إلى أي رسميات.

دعونا إذن نتحدث في مشكلة اللحظة الراهنة، للمرة الأولى تواجه القاعدة حربًا أهلية، أو ربما هي في المراحل الأخيرة من مواجهتها. لقد تغلبتم حتى الآن على الهجمات القادمة من الخارج بالشكل الملائم، وهذا حتمي بحسب قوانين علم التاريخ النفسي الصارمة. الهجوم الحالي هو هجوم مجموعة خارجية غير نظامية من القاعدة ضد الحكومة المركزية الاستبدادية. هذا الإجراء كان ضروريًّا والنتيجة واضحة».

بدأ وقار الجمهور النبيل في الانهيار، وكاد إندبور أن يهوي من فوق كرسيه.

عقدت بايتا حاجبيها بعنين مضطربتين؛ ما الذي يتحدث عنه سيلدون العظيم؟ لقد فاتها بضع كلمات...

«... إن التسوية التي توصلتم إليها ضرورية من ناحيتين. ثورة التجار الأحرار تُقَدِّم عنصرًا من عدم الثقة في حكومة ربما تكون قد أفرطت في الثقة، وأعادت من جديد عنصر النضال. على الرغم من الهزيمة إلا أن هناك زيادة صحية في الديموقراطية...».

كان هناك أصوات مرتفعة الآن، الهمسات قد تعالت حتى صارت صياحًا، وكانوا جميعًا على حافة الذعر.

قالت بايتا في أذن توران: «لمَ لا يتحدث عن البغل؟ التجار لم يثوروا».

هزَّ توران كتفيه.

كان الشخص الجالس يتحدث بمرح عبر الفوضى المتزايدة:

«... حكومة ائتلافية جديدة أكثر رسوخًا كانت هي النتيجة الضرورية والإيجابية للحرب الأهلية المنطقية التي فُرِضت على القاعدة. والآن لا يقف في طريق المزيد من التوسع إلا بقايا الإمبراطورية القديمة، وهم في حد ذاتهم لن يمثلوا أي مشكلة في السنوات القليلة التالية. لا يمكنني بالطبع أن أكشف عن طبيعة المشكلة التالـ...».

تحرَّكت شفتا سيلدون بصمت في الصخب المطلق.

كان إبلينج ميس واقفًا بجوار راندو ووجهه محتقن، وهو يصيح: «لقد اختل توازن سيلدون. لقد تنبَّأ بالأزمة الخاطئة. هل كان تجارك يخططون حتى لحرب أهلية؟».

قال راندو بضعف: «لقد خططنا لواحدة أجل، ولكننا ألغيناها لمواجهة البغل».

«إذن فالبغل هو عامل مُضاف لم يستعد له علم التاريخ النفسي الخاص بسيلدون. الآن ما الذي يحدث؟».

فجأة في صمت متجمد وجدت بايتا المقصورة فارغة مجددًا. انطفأ الوهج النووي للجدران واختفى التيار الخفيف لمكيف الهواء.

من كل مكان كان صوت صافرات الإنذار يعلو وينخفض في إيقاع محدد، فشكَّل راندو الكلمات بشفتيه: «غارة فضائية!».

قرَّب إبلينج ميس ساعة معصمه من أذنه وصاح فجأة بصوتٍ هادر: «لقد توقَّفت بحق المجرة! هل هناك ساعة ما زالت تعمل في هذه الغرفة؟».

اقتربت عشرون ساعة من عشرين أذنًا، وفي أقل من عشرين ثانية صار من المؤكد أنه لا توجد ساعة تعمل.

قال ميس متجهمًا بسبب هذه الحقيقة المروعة: «إذن فشيء ما قد أوقف كل الطاقة النووية في خزانة الزمن... والبغل يشن هجومًا».

صاح إندبور بصوت يعلو على كل الضوضاء قائلًا: «فلتجلسوا في مقاعدكم! البغل على بعد خمسين فرسخًا نجميًّا».

صاح ميس: «لقد كان هذا منذ أسبوع. الآن تيرمينوس يتعرض للقصف».

أحسَّت بايتا بإحباط عميق يجتاحها ببطء، وأحست به يُحكم قبضته عليها بقوة حتى لم تعد قادرة على إجبار نفسها على التنفس إلا بألم عظيم عبر حلقها المختنق.

كان الضجيج الخارجي للحشد المجتمع واضحًا، فُتِحت الأبواب واندفع شخص إلى الداخل وتحدَّث بكلمات سريعة مع إندبور الذي هرع إليه.

همس قائلًا: «فخامتك، لا توجد سيارة تعمل في المدينة، ولا خط اتصال مفتوح مع الخارج. لقد تلقينا تقريرًا عن هزيمة الأسطول العاشر، وأن سفن البغل خارج الغلاف الجوي. هيئة الأركان العامة...».

هوى إندبور منهارًا وعاجزًا على الأرض. لم يعد هناك أي صوت مرتفع في هذا البهو. حتى الحشد المتزايد في الخارج كان خائفًا ولكنه صامت، وكان نذير الهلع العام يحوم بشكل مخيف.

رفع بعضهم إندبور من على الأرض، وقُرِّبوا كأس نبيذ من شفتيه. تحرَّكت شفتاه قبل أن يفتح عينيه، وكانت الكلمة التي نطقتا بها هي: «استسلموا!».

وجدت بايتا نفسها على وشك البكاء، ليس بسبب الحزن أو الإحساس بالذل، ولكن ببساطة ووضوح بسبب اليأس المطلق المخيف. أمسك إبلينج ميس بكم ردائها وقال: «هيا بنا يا سيدتي الصغيرة...».

ثم جذبها بجرأة من كرسيها.

قال لها بشفتين مرتجفتين ممتقعتين: «سنغادر، فلتحضري عازفك الموسيقي معك».

قالت بايتا بضعف: «ماجنيفيكو». كان المهرج منكمشًا في رعب وعيناه غائرتان.

صرخ قائلًا: «البغل، لقد جاء البغل من أجلي».

ضربها بعنف عندما لمسته فمال توران ناحيته ولكمه بقوة. سقط ماجنيفيكو فاقدًا للوعي، فحمله توران كأنما يحمل جوال بطاطس.

في اليوم التالي تدفقت سفن البغل الحربية السوداء القبيحة في ممرات الهبوط على كوكب تيرمينوس. أسرع الجنرال المهاجِم عبر الشارع الرئيسي الفارغ بمدينة تيرمينوس في سيارة أرضية أجنبية الصنع، بينما سيارات المدينة الذرية كلها لا تزال ساكنة عديمة النفع. تم إعلان الاحتلال بعد أربع وعشرين ساعة من الدقيقة التي تلت ظهور سيلدون أمام مستبد القاعدة السابق.

من بين كل كواكب القاعدة، وحدها كواكب التجارة الحرة لا تزال تقاوم، وفي مواجهتهم قوة البغل ـ غازي القاعدة ـ تلوح بوجهها.

## الفصل التاسع عشر

# بداية البحث

الكوكب المنعزل، هاڤِن؛ الكوكب الوحيد لشمس وحيدة في قطاع مجري يتلاشى تدريجيًّا عبر الفراغ المجري، كان تحت الحصار.

من حيث التعريف العسكري الدقيق كان بالفعل تحت الحصار، حيث لم تكن هناك مساحة من الفضاء على هذا الجانب من المجرة أبعد من عشرين فرسخًا نجميًّا واقعة خارج نطاق قواعد البغل العسكرية المتوغلة. في غضون أربعة أشهر منذ سقوط القاعدة المدوي انهارت اتصالات هاڤِن مثل شبكة عنكبوت تحت شفرة حادة. لقد تراجعت سفن هاڤِن ناحية الكوكب الأم وصار هاڤِن نفسه قاعدة عسكرية.

ومن نواحٍ أُخرى كان الحصار أكثر توغلًا، فإن ظلال العجز والهلاك قد غزتهم بالفعل...

شقَّت بايتا طريقها عبر الممر الوردي بين صفوف من الطاولات ذات السطح البلاستيكي الأبيض، وعثرت على مقعدها بالتخمين المحض. استرخت في الكرسي المرتفع وأجابت التحيات التي سمعتها بعقلٍ خاوٍ وبطريقة تلقائية وهي تفرك عينيها في تعب بظهر يدها المتعبة، ثم مدت يدها لتتناول قائمة الطعام.

كان لديها الوقت الكافي لكي تشعر برد فعل عقلي عنيف من النفور من وجود العديد من أطباق الفِطر المحلية، التي تُعد من أشهى الأطعمة في هاڤِن، والتي بدت لذائقتها ـ كواحدة من سكان القاعدة ـ غير صالحة للأكل... ثم أدركت أن هناك بكاءً بالقرب منها فتلفتت بحثًا عنه.

حتى هذه اللحظة كان انطباعها عن جودي ـ الفتاة البسيطة اللامبالية الشقراء ذات الأنف الأفطس التي تجلس بالقرب منها في وحدة تناول الطعام ـ انطباعًا سطحيًّا بدون تعارف. الآن كانت جودي تبكي، وهي تعض بشكل يرثى له على منديل مبتل، محاولة أن تمنع نفسها من البكاء حتى احتقن وجهها ببقع حمراء. كان رداؤها ـ عديم الشكل المقاوم للإشعاع ـ ملقى على كتفيها، ودرع الوجه الشفاف الخاص بها قد سقط أمامها في طبق الحلوى وبقي هناك.

انضمت بايتا إلى الفتيات الثلاث اللاتي يتبادلن الأدوار في محاولات المواساة اللانهائية غير الفعَّالة، من التربيت على الأكتاف وتمسيد الشعر والتمتمات غير المفهومة.

همست قائلة: «ما الخطب؟».

التفتت إليها إحداهن وهزَّت كتفيها بشكل متكتم وهي تقول: «أنا لا أعرف». وبعد أن أحست بأن إشارتها غير كافية جذبت بايتا جانبًا.

«أعتقد أنها تمر بيوم صعب، وهي قلقة على زوجها».

«هل هو في دورية فضائية؟».

«أجل».

مدت بايتا يدها بود إلى جودي وقالت: «لم لا تعودين إلى البيت يا جودي؟». كان صوتها عبارة عن اقتحام عملي مبتهج للتفاهات الناعمة عديمة الجدوى التي سبقت ذلك.

رفعت جودي عينيها لتنظر إليها بشبه استياء وقالت: «لقد خرجت مرة بالفعل هذا الأسبوع...».

«إذن ستخرجين مرتين، إذا حاولتِ البقاء فسوف تخرجين ثلاثة أيام في الأسبوع المقبل، لذا فالذهاب إلى البيت الآن يعد نوعًا من الوطنية. أي منكن أيها الفتيات تعمل في قسمها؟ حسنًا إذن، فلتعتني ببطاقتها. من الأفضل أن تذهبي إلى غرفة الاستحمام أولًا يا جودي، لتعيدي إلى وجهك النضارة التي تستحقينها. هيا اذهبي! بسرعة!».

عادت بايتا إلى مقعدها وأمسكت بقائمة الطعام مجددًا بارتياح كئيب. هذه الحالات المزاجية مزعجة، ففتاة منتحبة واحدة ستجعل قسمها بالكامل في حالة من الهياج في هذه الأيام التي تمزق الأعصاب.

اختارت طبقًا كريهًا من قائمة الطعام وضغطت على الأزرار المناسبة عند مرفقها، ثم أعادت القائمة إلى موضعها.

قالت الفتاة السمراء الطويلة الجالسة قبالتها: «لا يستطيع أحد منا أن يفعل شيئًا سوى البكاء، أليس كذلك؟».

بالكاد تحركت شفتاها الممتلئتان بشكل رائع، ولاحظت بايتا أن طرفي شفتيها قد أُضيفت إليهما لمسة دقيقة لإبراز تلك الابتسامة شبه المصطنعة التي ختمت بها كلماتها بأناقة.

فكَّرت بايتا في التلميح الذي تحويه تلك الكلمات وهي تنظر إليها من بين رموش عينيها، ورحبت بوصول طعامها ليُلهيها عن هذا الحديث، حيث تحركت البلاطة العلوية لطاولة طعامها إلى الداخل لتُظهر الطعام. انتزعت الغطاء بحرص عن أدوات المائدة الخاصة بها وتعاملت معها بحذر حتى تبرد.

قالت: «ألا يمكنك التفكير في أي شيء آخر لفعله يا هيلا؟».

قالت هيلا: «أجل، يُمكنني!». ثم ألقت سيجارتها بحركة تلقائية من إصبع خبير داخل التجويف الصغير المخصص لذلك، فاشتعل وميض سريع ليلتهمها قبل أن تصل إلى القاع.

شبكت هيلا يديها النحيفتين المُعتنى بهما جيدًا تحت ذقنها وقالت: «على سبيل المثال أعتقد أن باستطاعتنا عقد اتفاق لطيف مع البغل وإيقاف كل هذا الهراء. فأنا ليس لديَّ... امم... تسهيلات الهرب من أي مكان بسرعة إذا فرض البغل سيطرته».

ظلَّت ملامح بايتا جامدة وصوتها هادئ ولا مبالٍ وهي تقول: «لا يتصادف أن لكِ أخًا أو زوجًا في السفن القتالية، أليس كذلك؟».

«لا، وهذا سبب إضافي يجعلني لا أرى أي مبرر للتضحية بأخوة الأخريات وأزواجهن».

«التضحيات ستكون أكبر في حالة الاستسلام بالتأكيد».

«القاعدة قد استسلمت وتنعم بالسلام. رجالنا بعيدون عنا والمجرة ضدنا».

هزَّت بايتا كتفيها وقالت بلطف: «أخشى أن هذا ليس الأمر الوحيد الذي يزعجك وأن هناك أمرًا آخر». عادت لتولي اهتمامها إلى طبق الخضروات الموضوع أمامها وأكلت منه في هدوء وهي تشعر بالصمت المحيط بها. لم يُبالِ أي شخص آخر على مرمى السمع بالإجابة على تشاؤم هيلا.

غادرت على الفور بعد أن ضغطت بعنف على الزر الذي ينظف طاولة تناول الطعام من أجل شاغل الوردية التالية.

فتاة جديدة على بعد ثلاثة مقاعد قالت لهيلا بهمس مسموع: «من تكون؟».

ضمَّت هيلا شفتيها المزينتين وقالت بلا اكتراث: «إنها زوجة ابن أخي منسقنا الجديد، ألا تعرفين هذا؟».

نظرت إليها وهي تبتعد قبل أن تختفي ثم قالت: «أجل؟ ما الذي تفعله هنا؟».

«إنها فقط مجرد فتاة من الاتحاد، ألا تعرفين أنه من الموضة أن تكوني وطنية؟ الأمر برمته ديموقراطي للغاية، إنه يجعلني أشعر بالغثيان».

قالت فتاة بدينة على يمينها: «حسنًا يا هيلا، إنها لم تستغل قرابتها بعم زوجها معنا من قبل، لم لا تتركينها وشأنها قليلًا؟».

تجاهلت هيلا جارتها بإشاحة حادة من عينيها وأشعلت سيجارة أُخرى.

كانت الفتاة الجديدة تصغي إلى ثرثرة محاسب لامع العينين يجلس قبالتها. كانت الكلمات تأتي سريعة، «... ومن المفترض أنها كانت في الخزانة ـ في الخزانة نفسها عندما تحدث سيلدون ـ ويقولون إن العمدة كان يزبد في غضب، وكان هناك حالات شغب، وكل هذه الأشياء. لقد هربت قبل أن يهبط البغل، ويقولون إن عملية هروبها كانت مثيرة للغاية، فقد اضطرت إلى أن تمر من خلال الحصار وما إلى ذلك. وأنا أتساءل لم لا تكتب كتابًا عن الأمر، هذه الكتب تحظى بشعبية كبيرة هذه الأيام. ومن المفترض أنها قد كانت في كوكب البغل أيضًا، كالجان كما تعرفين، و...».

دقَّ جرس الساعة فأُفرغت حجرة الطعام. لم تنقطع ثرثرة المحاسب، ولم تُقاطعه إلا وهي تقول بعينين واسعتين وبشكل تقليدي: «حقًّاااا؟»، في الأوقات المناسبة.

عندما عادت بايتا إلى منزلها كانت أضواء الكهف الضخم تُغلَق بشكل جماعي تدريجيًّا حتى تصل إلى الظلمة التي تعني نوم العمال الكادحين الصالحين.

التقى بها توران عند الباب وهو يُمسك في يده بشريحة خبز بالزبدة.

سألها بفم ممتلئ بالطعام: «أين كنتِ؟». ثم بشكل أكثر وضوحًا: «لقد أعددت عشاءً بشكل ما كيفما اتفق. ليس كثيرًا فلا تلوميني».

ولكنها تفحَّصته بعينين واسعتين وقالت: «توري! أين زِيَّك الرسمي؟ ما الذي تفعله بهذه الملابس المدنية؟».

«إنها الأوامر يا باي، راندو مختبئ مع إبلينج ميس الآن، ولكني لا أعرف ما الذي يحدث بالضبط. ها قد عرفتِ كل شيء».

اندفعت ناحيته وقالت: «هل سأذهب؟».

قبَّلها قبل أن يجيبها قائلًا: «أعتقد هذا، ولكنه على الأرجح سيكون خطيرًا».

«وهل يوجد شيء ليس خطيرًا؟».

«بالضبط. صحيح، لقد أرسلت في طلب ماجنيفيكو، إنه سيأتي أيضًا على الأرجح».

«هل تعني أنه سيكون علينا إلغاء حفله الموسيقي في مصنع المحركات».

«بالطبع».

دلفت بايتا إلى الغرفة المجاورة وجلست أمام وجبة تبدو بوضوح أنها قد أُعِدَّت «كيفما اتفق». قسمت الشطائر إلى نصفين بسرعة وكفاءة، ثم قالت: «إن إلغاء الحفل أمر سيئ للغاية، فالفتيات في المصنع كُنَّ يتطلعن إليها، وماجنيفيكو أيضًا كان يتطلع إليها». ثم هزت رأسها وقالت: «إنه غريب الأطوار».

«الأمر وما فيه هو أنه يحرك لديك غريزة الأمومة يا باي. يومًا ما سيكون لدينا طفل وعندها سوف تنسين ماجنيفيكو».

أجابته بايتا وهي تتناول شطيرتها: «يبدو لي أنك أنت من يحرك غريزة الأمومة لديَّ بشكل كافٍ».

ثم وضعت شطيرتها جانبًا وحدَّقت إليه فجأة بجدية وهي تقول: «توري».

«ماذا؟».

«توري، لقد كنت اليوم في مجلس المدينة، في مكتب الإنتاج، وهذا هو سبب تأخري اليوم».

«ما الذي كنت تفعلينه هناك؟».

ترددت قليلًا في عدم يقين ثم قالت: «حسنًا... الأمر يتصاعد، هذا ما أحسست به فلم أستطع البقاء في المصنع. الروح المعنوية غير موجودة مطلقًا. الفتيات ينخرطن في نوبات بكاء دون سبب معين. هؤلاء الذين لا يُصابون بالمرض يُصابون بالاكتئاب. حتى الفتيات الصغيرات عابسات. الإنتاج في القطاع الخاص بي ليس ربع ما كان عليه عندما أتيت، ولا يوجد لدينا اليوم طاقم عمل كامل».

«حسنًا، ولكن لم تخبريني ما الذي كنتِ تفعلينه هناك؟».

«سألت بعض الأسئلة، والوضع هكذا في جميع أنحاء هاقِن يا توري؛ انخفاض في الإنتاج وزيادة في السخط والعصيان. لقد اكتفى رئيس المكتب بهز كتفيه بعد أن جلست في غرفة الانتظار ساعة لكي أراه، وقد استطعت مقابلته فقط لأنني زوجة ابن أخي المنسق، وقد قال إن الأمر أكبر منه. بصراحة، لا أعتقد أنه يبالي».

«لا تُبالغي يا باي».

قالت بحدة شديدة: «لا أعتقد أنه يبالي. أنا أقول لك إن هناك شيئًا خاطئًا، إنه نفس الإحباط الفظيع الذي أصابني في خزانة الزمن عندما تخلى عنَّا سيلدون. أنت نفسك قد أحسست بهذا».

«أجل، لقد أحسست به».

أكملت بقسوة قائلة: «حسنًا هذا الإحساس يراودني مجددًا، ونحن لن نكون قادرين على مقاومة البغل. حتى ولو كان معنا المقومات المادية فنحن نفتقر إلى القلب والروح والإرادة. ليس هناك فائدة من القتال يا توري».

لا يذكر توران أن بايتا قد بكت من قبل، ولم تبكِ الآن، ليس بالضبط. ولكن توران وضع يده برفقٍ على كتفها وهمس: «انسي الأمر يا حبيبتي، أنا أعرف ما تقصدينه، ولكن لا يوجد شيء...».

«أجل، لا يوجد شيء يُمكننا فعله، الجميع يقولون هذا، ويكتفون بالجلوس وانتظار أن يهوي السكين على أعناقهم».

عادت إلى ما تبقى من الشطيرة والشاي، بينما راح توران يرتب الفراشين في هدوء. كان الظلام دامسًا بالخارج.

راندو، المُعيَّن حديثًا في منصب منسق اتحاد المدن في هاڤِن في وقت الحرب، قد مُنِح حسب طلبه غُرفة علوية يُمكنه من خلال نافذتها أن ينظر إلى أسطح المنازل وخضرة المدينة. الآن مع تلاشي أضواء الكهف غرقت المدينة في ظلمة يصعب فيها التمييز بين الظلال. لم يهتم راندو بتأمل هذه الصورة الرمزية.

قال مُخاطبًا إبلينج ميس الذي بدا أن عينيه الصافيتين الصغيرتين لا تهتمان بأي شيء سوى الكأس المملوء بسائل أحمر في يده: «هناك مقولة في هاڤِن إنه عندما تنطفئ أضواء الكهف فإنه يكون وقت نوم العمال الكادحين الصالحين».

«هل تنام كثيرًا مؤخرًا».

«لا! أعتذر على استدعائك في مثل هذا الوقت المتأخر يا ميس. أنا أحب الليل أكثر بشكل ما هذه الأيام. أليس هذا غريبًا؟ الناس في هاڤِن قد كيَّفوا أنفسهم بشكل صارم على أن عدم وجود الضوء يعني النوم. وأنا أيضًا، ولكن الأمر مختلف الآن...».

قال ميس بدون مجاملة: «أنت مختبئ، ومحاط بالناس في وقت اليقظة، وتشعر بأعينهم وآمالهم المعلقة بك. لا يمكنك تحمل هذا. في وقت النوم أنت حر».

«هل تشعر أنت أيضًا بهذا إذن؟ هذا الإحساس المزري بالهزيمة؟».

أومأ إبلينج برأسه ببطء وقال: «أشعر به، إنه اضطراب عقلي جماعي، ذعر غوغائي لعين. بحق المجرة ما الذي تتوقعه يا راندو؟ إن لديكم هنا ثقافة كاملة مبنية على إيمان طفولي أعمى أن هناك بطل شعبي من الماضي قد خطط لكل شيء وأنه يعتني بكل تفصيلة صغيرة في حياتهم اللعينة. إن نمط التفكير الذي يُحفِّزه هذا الأمر له خصائص دينية، وأنت تعرف ما يعنيه هذا».

«لا، إطلاقًا».

لم يكن ميس متحمسًا بشأن ضرورة التفسير، لم يكن متحمسًا قط. لذا فقد زمجر وحدَّق إلى سيجاره الطويل، الذي راح يديره بين أصابعه وهو غارق في التفكير، قبل أن يقول: «إنها تتميز بردود أفعال إيمانية قوية، لا يمكن أن تتزعزع المعتقدات إلا بصدمة كبرى، وفي هذه الحالة ينتج عنها اضطراب عقلي كامل. حالات متوسطة من الهيستيريا وإحساس كئيب بعدم الأمان، وحالات متقدمة من الجنون والانتحار».

عض راندو على ظفر إبهامه ثم قال: «عندما خذلنا سيلدون فإن دعامتنا قد اختفت ـ إن جاز التعبير ـ ونحن كنا نتكئ عليها لفترة طويلة، حتى إن عضلاتنا قد ضمرت، إلى درجة أننا لا نستطيع الوقوف بدونها».

«هذا هو الأمر. تشبيه غير دقيق، ولكن هذا هو الأمر».

«وأنت يا إبلينج ماذا عن عضلاتك؟».

أخذ العالم النفسي نفسًا عميقًا من سيجاره وترك الدخان يخرج على مهل، ثم قال: «إن عضلاتي صدئة ولكنها ليست ضامرة. لقد أدَّت بي مهنتي إلى بعضٍ من التفكير المستقل».

«وهل ترى مخرجًا؟».

«لا، ولكن يجب أن يكون هناك مخرج. ربما لم يضع سيلدون أي تنبؤات بشأن البغل، وربما لم يؤكد انتصارنا، ولكنه أيضًا لم يؤكد هزيمتنا. الأمر وما فيه هو أنه قد خرج من اللعبة، وصرنا معتمدين على أنفسنا. من الممكن هزيمة البغل».

«كيف؟».

«بالطريقة الوحيدة التي يُمكن أن يُهزَم بها أي شخص؛ بالهجوم بقوة على نقطة ضعفه. اسمعني يا راندو؛ البغل ليس إنسانًا خارقًا، وإن تمكنا من هزيمته في النهاية فسيرى الجميع هذا بأنفسهم. الأمر وما فيه هو أنه مجهول، والخرافات تجتمع بسرعة. من المفترض أنه متحول جينيًّا، حسنًا، ماذا في هذا؟ المتحول يعني إنسانًا خارقًا بالنسبة للجهلاء من البشر، ولكن هذا ليس حقيقيًا.

تُشير التقديرات إلى أن عدة ملايين من المتحولين جينيًّا يولدون في المجرة كل يوم. من بين هؤلاء الملايين لا يمكن الكشف سوى عن نسبة واحد أو اثنين في المئة، وفقط باستخدام الميكروسكوبات والكيمياء. وهؤلاء الواحد أو الاثنان في المئة من المتحولين جينيًّا الظاهرين ـ أي المتحولين الذين يمكن اكتشافهم بالعين المجردة أو العقل المجرد ـ هم جميعًا مسوخ باستثناء واحد أو اثنين بالمئة، مصيرهم مراكز التسلية أو المختبرات أو الموت. عدد قليل من هؤلاء المتحولين جينيًّا الظاهرين الذين تكون اختلافاتهم مفيدة يكونون جميعًا تقريبًا حالات غريبة غير ضارة، غير مألوفة في بعض النواحي الفردية، وطبيعية ـ وعادة دون الطبيعية ـ في معظم الحالات الأُخرى. هل فهمت هذا يا راندو؟».

«أنا أفهم، ولكن ماذا عن البغل؟».

«فلنفترض أن البغل متحول جينيًّا، إذن يُمكننا أن نفترض أن لديه بعض السمات ـ العقلية بلا شك ـ التي يُمكنه استخدامها في غزو الكواكب. من ناحية أُخرى فإن لديه بلا شك عيوبه التي يجب أن نحددها. لم يكن ليبالغ في التكتم والاختباء من أعين الآخرين لو لم تكن هذه العيوب ظاهرة ومميتة. هذا إن كان متحولًا جينيًّا».

«هل هناك بدائل؟».

«قد يكون هناك؛ فأدلة التحول الجيني تستند إلى أقوال النقيب هان بريتشر الذي كان فيما مضى من استخبارات القاعدة. لقد استخلص استنتاجه من الذكريات الضعيفة لأولئك الذين ادعوا أنهم قد عرفوا البغل ـ أو الشخص الذي قد يكون البغل ـ في مهده وسنوات طفولته الأولى. لقد عمل بريتشر على المعلومات الصغيرة التي عثر عليها هناك، والدليل الذي عثر عليه قد يكون ببساطة مزروعًا بواسطة البغل من أجل أغراضه الخاصة، فمن المؤكد أن البغل قد استفاد إلى حد كبير من سُمعة أنه متحول جينيًّا؛ إنسان خارق».

«هذا مثير للاهتمام. منذ متى وأنت تفكر في هذا؟».

«أنا لم أفكر في هذا من زاوية أنني أؤمن به، إنه مجرد بديل يجب وضعه في الحسبان. فلنفترض على سبيل المثال يا راندو أن البغل قد اكتشف نوعًا من الإشعاع قادرًا على تثبيط الطاقة العقلية، مثلما يمتلك نوعًا من الإشعاع قادرًا على تثبيط التفاعلات النووية. ماذا بعد إذن؟ هل يمكن أن يفسر هذا ما نتعرض إليه الآن، وما قد تعرضت إليه القاعدة؟».

بدا راندو غارقًا في كآبة شبه صامتة، ثم قال: «ماذا عن أبحاثك على مهرج البغل؟».

تردد إبلينج ميس ثم قال: «عديمة الجدوى حتى الآن. لقد تحدَّثت مع العمدة بشجاعة قبل سقوط القاعدة للمحافظة على روحه المعنوية بشكل أساسي، وللمحافظة على روحي المعنوية أيضًا بشكل ثانوي. ولكن إن كان لديَّ الأدوات الرياضية المناسبة يا راندو فيمكنني تحليل شخصية البغل بشكل كامل باستخدام المهرج وحده. يُمكننا حينها أن ننال منه، ثم يُمكننا أن نحل لغز هذه الانحرافات الغريبة التي تثير دهشتي بالفعل».

«مثل ماذا؟».

«فَكِّر يا رجل، لقد هزم البغل أساطيل القاعدة بسهولة، ولكنه لم يستطع ولو مرة واحدة أن يُجبر أساطيل التجار الأحرار على الانسحاب في قتال مفتوح. لقد سقطت القاعدة بضربة واحدة، ولكن التجار الأحرار يقاومون في وجه قوته الكاملة. لقد استخدم في البداية حقل التثبيط في وجه أسلحة التجار الأحرار النووية في منيمون، وقد خسروا هذه المعركة بسبب عنصر المفاجأة، ولكنهم قاوموا في ميدان القتال. لم يكن قادرًا بعدها على استخدامه بنجاح في وجه التجار الأحرار مرة أُخرى.

ولكنه نجح المرة تلو الأخرى في وجه قوات القاعدة، لقد نجح الأمر في وجه القاعدة نفسها. لماذا؟ إن هذا كله غير منطقي بحسب معرفتنا الحالية، إذن لا شك أن هناك عوامل أُخرى لا ندركها».

«الخيانة؟».

«هذا كلام فارغ يا راندو. هراء لعين. لم يكن هناك رجل على القاعدة لا يشعر باليقين في الانتصار. من قد يخون جانبًا انتصاره محسوم».

خطا راندو بالقرب من نافذة مقوسة وحدَّق إلى اللا شيء بنظرة خاوية، ثم قال: «ولكننا متيقنون من الخسارة الآن، حتى ولو كان لدى البغل ألف نقطة ضعف، حتى ولو كان عبارة عن شبكة من الثغرات...».

لم يلتفت وراءه، بدا كأن ظهره المنحني ويديه اللتين تتحسسان بعضهما بتوتر من ورائه هم من يتحدثون. قال: «لقد هربنا بسهولة بعد ما حدث في خزانة الزمن يا إبلينج. كان من الممكن أن يهرب الآخرون أيضًا، ولكن لم يهرب سوى عدد قليل، البقية لم يهربوا، كان من الممكن التصدي لحقل التثبيط. الأمر يتطلب براعة وقدرًا من المجهود. كل سفن القاعدة كان بإمكانها أن تحلق إلى هاڤِن أو الكواكب الأُخرى القريبة لتواصل القتال كما فعلنا. لم يفعل هذا ولو واحد بالمئة منهم. في الواقع لقد التحقوا بالعدو.

مجتمع القاعدة السري ـ الذي يبدو أن معظم الناس هنا يعتمدون عليه ـ لم يفعل حتى الآن شيئًا ذا تأثير. لقد كان البغل دبلوماسيًّا بما يكفي لكي يعد بحماية ممتلكات وأرباح كبار التجار، فانحازوا إليه».

قال إبلينج ميس بعناد: «لطالما كان البلوتوقراطيون ضدنا».

«لطالما كان لديهم القوة أيضًا. اسمعني يا إبلينج، إن لدينا سببًا لاعتقادِ أن البغل أو رجاله قد تواصلوا بالفعل مع أصحاب النفوذ من بين التجار الأحرار، على الأقل عشرة من كواكب التجارة السبعة وعشرين قد انحازوا للبغل، وربما عشرة آخرون يفكرون في الأمر. هناك أشخاص في هاڤِن ذاته لن يشعروا بالحزن لهيمنة البغل. من الواضح أن التخلي عن قوة سياسية مهددة بالخطر هو إغواء لا يمكن مقاومته، إن كان هذا سيحافظ على سيطرتك على الشئون الاقتصادية».

«أنت لا تعتقد أن باستطاعة هاڤِن مقاومة البغل؟».

استدار راندو أخيرًا ليرى العالم النفسي وجهه المضطرب وقال: «لا أعتقد أن هاڤِن سيقاوم، أعتقد أنه ينتظر الاستسلام، هذا هو سبب استدعائي لك إلى هنا. أنا أُريدك أن تغادر هاڤِن».

زفر إبلينج ميس حتى انتفخت وجنتاه ثم قال في دهشة: «بهذه السرعة؟».

كان راندو يشعر بتعب فظيع. قال: «أنت أعظم علماء القاعدة النفسيين يا إبلينج. لقد ذهب سادة علم النفس الحقيقيون مع سيلدون، ولكنك أفضل ما لدينا؛ أنت فرصتنا الوحيدة لهزيمة البغل، ولكن لا يُمكنك أن تفعل هذا هنا، يجب عليك أن تذهب إلى ما تبقى من الإمبراطورية».

«إلى ترانتور؟».

«هذا صحيح. تلك التي كانت إمبراطورية في يوم من الأيام قد صارت اليوم مجرد بقايا محطمة، ولكن لا شك أنه ما زال هناك شيء في المركز. إن لديهم سجلات هناك يا إبلينج، يمكنك أن تتعلم أكثر عن رياضيات علم النفس، ربما ما يكفي لكي تكون قادرًا على تحليل عقل المهرج. إنه سيذهب معك بالطبع».

قال ميس بمرارة: «أشك أنه سيكون على استعداد لهذا، حتى ولو خوفًا من البغل، ما لم تذهب زوجة ابن أخيك معه».

«أنا أعرف هذا، توران وبايتا سيغادران معك لهذا السبب بالتحديد. وهناك غرض آخر يا إبلينج، غرض أهم بكثير. لقد أسس هاري سيلدون قاعدتين منذ ثلاثة قرون، واحدة عند كل طرف من طرفي المجرة. يجب عليك أن تعثر على هذه القاعدة الثانية».

## الفصل العشرون

# المتآمر

كان قصر العمدة ـ أو ما كان يومًا قصر العمدة ـ بقعة ضوء في الظلمة. كانت المدينة هادئة في ظل الغزو وحظر التجوال، وكان ضباب العدسة المجرية العظيمة ـ مع نجم وحيد هنا أو هناك ـ يحتل سماء القاعدة.

في ثلاثة قرون نمت القاعدة من مشروع شخصي لمجموعة صغيرة من العلماء إلى إمبراطورية تجارية متوغلة في عمق المجرة، وفي نصف عام قد هوت من عليائها لتصير مجرد مقاطعة أُخرى خاضعة للاحتلال.

رفض النقيب هان بريتشر أن يستوعب هذا.

كان ليل المدينة الهادئ الكئيب والقصر المظلم الذي يحتله الدخلاء دليلًا كافيًا على هذا، ولكن النقيب هان بريتشر ـ الذي دخل من بوابة القصر الخارجية والقنبلة النووية تحت لسانه ـ رفض أن يفهم.

اقترب منه جسم ما فأحنى النقيب رأسه.

جاء الهمس خفيضًا بشكل حذر: «نظام الإنذار كما كان دومًا أيها النقيب، تقدَّم! لن يلتقط شيئًا».

تابع النقيب طريقه بهدوء وقد أحنى رأسه ليمر عبر المدخل المُقَوَّس منخفض الارتفاع، ثم عبر الطريق ـ الذي تصطف النافورات على جانبيه ـ المؤدي إلى ما كان يومًا حديقة إندبور.

لقد مضى أربعة أشهر على يوم خزانة الزمن، الذي يرفض عقله تذكر كل أحداثه. كانت الذكريات تعود إليه بشكل بغيض فرادى وبصورة متباعدة، وغالبًا ما يكون هذا أثناء الليل.

سيلدون العجوز ينطق بكلماته المتفائلة التي كانت خاطئة بشكل محبط، الارتباك الفوضوي، العمدة إندبور بملابسه الرسمية الفخمة الزاهية، التي تتناقض مع وجهه الممتقع فاقد الوعي، الحشد المذعور الذي يجتمع بسرعة منتظرين بلا صوت كلمة الاستسلام الحتمية، الشاب توران يختفي عند الباب ومهرج البغل يتدلى من فوق كتفه.

وهو نفسه لاحقًا ـ وقد تملَّص بشكل ما من كل هذا ـ مع سيارته التي لا تعمل.

شقَّ طريقه سيرًا على الأقدام عبر الحشد الذي صار بلا قائد، حتى غادر المدينة نحو وجهة مجهولة.

توجَّه بشكل أعمى نحو الجحور التي كانت ذات يوم مقرات المجتمع السري الديموقراطي بالقاعدة التي كان الحال ينحدر بها لمدة ثمانين عامًا.

ولكن الجحور كانت فارغة.

في اليوم التالي ظهرت سفن العدو السوداء في السماء، قبل أن تختفي بين المباني الكثيفة في المدينة القريبة. شعر النقيب هان بريتشر أنه يغرق في إحساس متزايد من العجز واليأس.

بدأ رحلته في إخلاص.

استطاع في ثلاثين يومًا أن يقطع مئتي ميل سيرًا على الأقدام، بعد أن بدَّل ملابسه بملابس أحد عمَّال مصانع الزراعة المائية عثر على جثته حديثة العهد على جانب الطريق. وقد ترك لحيته لتنمو بشكل أشعث... وأخيرًا عثر على ما تبقى من المجتمع السري.

كانت المدينة هي نيوتن، الحي السكني الذي كان يتسم بالأناقة ولكنه ينحدر ببطء ناحية الحضيض. كان البيت واحدًا من صف متماثل من البيوت. وكان الرجل صغير العينين طويل القامة، وقد وضع قبضتيه المضمومتين في جيبيه، بينما بقي جسده النحيف بلا حراك في فتحة الباب الضيقة.

تمتم النقيب قائلًا: «لقد جئت من ميران».

قال الرجل مرددًا كلمة السر: «ميران مبكرة هذا العام».

قال النقيب: «ليست مبكرة أكثر من العام الماضي».

ولكن الرجل لم يتنحَّ جانبًا بل قال: «من أنت؟».

«ألست أنت الثعلب؟».

«هل أنت معتاد على إجابة السؤال بسؤال؟».

أخذ النقيب نفسًا طويلًا غير ملحوظ ثم قال بهدوء: «أنا هان بريتشر، نقيب الأسطول، وعضو حزب المجتمع السري الديموقراطي. هل ستسمح لي بالدخول؟».

تنحَّى الثعلب جانبًا وقال: «اسمي الحقيقي هو أوروم بالي».

ثم مد يده فصافحه النقيب.

كانت الغرفة مُرَتَّبة، ولكنها ليست فخمة. في أحد الأركان كان هناك جهاز عرض الكتب المرئية موضوعًا من أجل الديكور، بدا بالنسبة لعيني النقيب العسكري أنه من الممكن بسهولة أن يكون تمويهًا لسلاح ذي عيار معتبر. كانت عدسة جهاز العرض تُغطي مدخل الباب ويمكن التحكم فيه عن بُعد.

نظر الثعلب إلى حيث ينظر ضيفه الملتحي، ثم ابتسم وقال: «أجل! ولكن كان هذا فقط في أيام إندبور وتابعيه مصاصي الدماء. إنه لن يفعل الكثير في مواجهة البغل، أليس كذلك؟ لا شيء يُمكنه أن يساعدنا في مواجهة البغل. هل أنت جائع؟».

تقلَّصت عضلات فك النقيب أسفل لحيته وهو يومئ برأسه.

قال الثعلب: «سيستغرق الأمر دقيقة، إن كنت لا تمانع الانتظار». ثم تناول بعض المعلبات من الخزانة ووضع اثنتين أمام النقيب بريتشر. «أبقِ إصبعك عليها، وافتحها عندما تصير ساخنة بما يكفي. إن وحدة التحكم في الحرارة لدي لا تعمل بشكل صحيح. أشياء كهذه تذكرك بأن هناك حربًا تجري، أو أنه كان هناك حرب، أليس كذلك؟».

كانت كلماته السريعة ذات طابع مرح، ولكن اللهجة التي قيلت بها لم تكن مرحة. كانت عيناه باردتين وغارقتين في التفكير. جلس قبالة النقيب وقال: «إن أحسست أن هناك شيئًا لا يعجبني بشأنك فلن يتبقى

منك شيء حيث تجلس سوى بقعة محترقة، هل تعرف هذا؟».

لم يجبه النقيب. انفتحت المعلبات الموضوعة أمامه بضغطة من يده.

قال الثعلب على الفور: «إنها يخنة! المعذرة ولكن إمدادنا من الطعام قليل».

قال النقيب: «أعرف هذا». ثم راح يتناول الطعام بسرعة دون أن يرفع عينيه.

قال الثعلب: «لقد رأيتك ذات مرة من قبل. أنا أحاول أن أتذكر ولكن اللحية لا تتسق مع الصورة».

«أنا لم أحلق ذقني منذ ثلاثين يومًا». ثم قال بحدة: «ما الذي تريده؟ أنا لديَّ كلمة السر الصحيحة، ولديَّ ما يثبت هويتي».

لوح الآخر بيده وقال: «أنا واثق أنك بريتشر، ولكن هناك الكثيرين ممن لديهم كلمة السر وأوراق الهوية والتعريف، ولكنهم في صف البغل. هل سمعت من قبل عن ليڤاو؟».

«أجل».

«إنه مع البغل».

«ماذا؟ إنه...».

«أجل إنه الرجل الذي يسمونه لا استسلام». تحركت شفتا الثعلب كأنما يضحك وبدون صوت ولا روح دعابة. «وهناك أيضًا ويليج، مع البغل! جار ونوث، مع البغل! لم لا يكون بريتشر كذلك أيضًا؟ كيف يُمكنني أن أعرف؟».

اكتفى النقيب بأن هزَّ رأسه.

قال الثعلب بهدوء: «ولكن هذا لا يهم، لا شك أن لديهم اسمي إن كان نوث قد انضم إليهم. لذا إن كنت صادقًا فأنت عرضة لخطرٍ جديد أكثر مني بسبب تعارفنا».

أنهى النقيب طعامه ثم مال إلى الوراء وقال: «إن لم يكن لديكم منظمة هنا فأين يمكنني أن أجد واحدة؟ ربما قد استسلمت القاعدة، ولكني لم أستسلم».

«وماذا بعد؟ لا يمكنك أن تتجول إلى الأبد أيها النقيب. يجب على سكان القاعدة أن يمتلكوا تصاريح سفر لكي ينتقلوا من مدينة إلى أخرى هذه الأيام. هل تعرف هذا؟ وبطاقات هوية أيضًا، هل لديك واحدة؟ كما طُلِب من جميع ضباط الأسطول القدامى تسليم أنفسهم لأقرب مقر عسكري، أنت واحد منهم، أليس كذلك؟».

قال النقيب بصوت صارم: «بلى، هل تظن أنني أشعر بالخوف؟ لقد كنت على كالجان بعد فترة قصيرة من سقوطه في قبضة البغل. في غضون شهر لم يظل واحد من ضباط أمير الحرب القديم حرًّا، لأنهم كانوا القادة العسكريين المحتملين لأي تمرد. لقد كان المجتمع السري على علم دومًا بأنه لا يمكن لثورة أن تنجح بدون السيطرة على جزءٍ من الأسطول على الأقل. من الواضح أن البغل يعرف هذا أيضًا».

أومأ الثعلب برأسه مفكرًا وقال: «هذا منطقي إلى حد كبير، البغل لا يفوته شيئًا».

«لقد تخلّصت من الزي الرسمي بمجرد أن استطعت هذا، وأطلقت لحيتي. هناك احتمال كبير أن آخرين قد فعلوا نفس الشيء لاحقًا».

«هل أنت متزوج؟».

«زوجتي ميتة، وليس لديَّ أطفال».

«لا يمكن ابتزازك بالرهائن إذن».

«أجل».

«هل تريد نصيحتي؟».

«إن كان لديك أي نصيحة».

«أنا لا أعرف ما هي سياسة البغل، أو ما الذي ينتويه، ولكن العمال المحترفين لم يُصِبهم أي ضرر حتى الآن، معدلات الأجور ارتفعت، إنتاج كل أنواع الأسلحة النووية في ازدهار».

«أجل؟ يبدو وكأنه اعتداء متواصل».

«أنا لا أعرف، إن البغل داهية لعين، وربما يكون هذا مجرد مداهنة للعمال لكي يخضعوا. إن لم يستطع سيلدون أن يكتشف حقيقته بكل ما لديه من علم التاريخ النفسي فلن أحاول هذا. ولكنك ترتدي ملابس العمال، هذا يوحي بفكرة ما، أليس كذلك؟».

«أنا لست عاملًا محترفًا».

«لقد تلقَّيتَ دورة عسكرية في العلوم النووية، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد».

«هذا كافٍ، فشركة حاملات الحقل النووي تقع هنا في المدينة. أخبرهم أن لديك خبرة. الأوغاد الذين اعتادوا إدارة المصنع لصالح إندبور ما زالوا يديرونه... لصالح البغل. إنهم لن يطرحوا عليك أسئلة، طالما أنهم بحاجة إلى مزيد من العمال لزيادة الأرباح التي يملؤون بها كروشهم. سيمنحونك بطاقة هوية، ويمكنك أن تقدم طلبًا للحصول على غرفة في القطاع السكني الخاص بالشركة. يمكنك أن تبدأ الآن».

على هذا النحو صار النقيب هان بريتشر من الأسطول الوطني هو لو مورو عامل الوقاية من الإشعاع بالمستودع 45 في شركة حاملات الحقل النووي. وبعد أن كان عميل استخبارات انحدر في التدرج الاجتماعي حتى صار «متآمرًا»، وهي التسمية التي أدت به بعد شهور إلى ـ ما كان يومًا ـ حديقة إندبور الخاصة.

في الحديقة تفحَّص النقيب بريتشر مقياس الإشعاع الموجود في راحة يده. كان حقل الإنذار الداخلي لا يزال يعمل فانتظر. تبقى نصف ساعة في عمر القنبلة النووية الموجودة في فمه. أخذ يقلبها بلسانه في حذر.

انطفأ مقياس الإشعاع لتخيم على المكان ظلمة مخيفة فتقدَّم النقيب على الفور.

إن الأمور تسير على نحو جيد حتى هذه اللحظة.

أخذ يفكر بشكل موضوعي في أن حياة القنبلة النووية هي حياته أيضًا، وأن موتها يعني موته... وموت البغل.

وهكذا سيصل إلى ذروة حرب خاصة استمرت لأربعة أشهر، حرب قد أجبرته على الهرب والاختباء في أحد مصانع نيوتن...

طيلة شهرين كان النقيب بريتشر يرتدي المآزر الرصاصية ودروع الوجه الثقيلة، حتى لم يعد هناك شيء في هيئته الخارجية يشي بحقيقته العسكرية. كان مجرد عامل يتقاضى أجره ويقضي أمسياته في المدينة ولا يتناقش في السياسة مطلقًا.

طيلة شهرين لم يرَ الثعلب قط. ثم ذات يوم تعثَّر رجلٌ وهو يمر أمام مقعده، وبعدها صار هناك قصاصة من الورق في جيبه، مكتوب عليها كلمة «الثعلب»، ألقى بها في الحجرة النووية حيث اختفت في نفخة غير ملحوظة مما أدى إلى ارتفاع مستوى الطاقة بمقدار مليميكروثولت، ثم عاد إلى عمله. في تلك الليلة ذهب إلى بيت الثعلب وشارك في لعب الورق مع رجلين آخرين يعرفهما بالشهرة ورجل يعرفه بالاسم والوجه.

كانوا يتحدثون أثناء اللعب وتمرير العملات المعدنية.

قال النقيب: «هذا خطأ جوهري، أنتم تعيشون في الماضي الذي تحطَّم، فطيلة ثماني سنوات كانت منظمتنا تنتظر اللحظة التاريخية الصحيحة. لقد أعمانا علم التاريخ النفسي الذي وضعه سيلدون، وواحد من أول الافتراضات في هذا العلم هو أن الفرد لا يُعوَّل عليه ولا يصنع التاريخ، وأن العوامل الاجتماعية والاقتصادية المعقدة تطغى عليه وتحوله إلى دمية». أعاد ترتيب أوراقه بحرص وهو يحسب قيمتها، ثم وضع عملة معدنية قبل أن يقول: «لمَ لا نقتل البغل؟».

سأله الرجل الجالس على يساره بحدة: «حسنًا، وما فائدة هذا؟».

ألقى النقيب ببطاقتين من الورق وهو يقول: «هذا هو أسلوب التفكير الذي أتحدث عنه. ما قيمة رجل واحدة من أصل كوادريليونات؟ المجرة لن تتوقف عن الدوران بسبب موت شخص واحد. ولكن البغل ليس رجلًا، إنه متحول جينيًّا، لقد أحبط خطة سيلدون بالفعل، وإن توقفتم لتحليل ما ترتب على هذا من آثار فإنه يعني أنه ـ رجل واحد، متحول واحد ـ قد أحبط كل ما وضعه سيلدون من علم التاريخ النفسي. لو لم يكن على قيد الحياة قط لما انهارت القاعدة، لو انتهت حياته فلن تبقى منهارة.

بربكم، لقد حارب الديموقراطيون العُمَد والتجار لثمانين سنة بالتآمر. دعونا نجرب الاغتيال».

تدخَّل الثعلب بمنطق عقلاني صارم سائلًا: «كيف؟».

قال النقيب ببطء: «لقد أمضيت ثلاثة شهور أفكر في الأمر دون أن أصل إلى حل، ثم جئت إلى هنا وتوصَّلت إليه في خمس دقائق». ثم ألقى نظرة خاطفة على الرجل ذي الوجه العريض الوردي المبتسم

الجالس عن يمينه، وقال له: «لقد كنتَ ذات مرة حاجب العمدة إندبور. لم أكن أعرف أنك من المجتمع السري».

«وأنا أيضًا لم أكن أعرف أنك منه».

«حسنًا إذن، بصفتك حاجب العمدة فقد كنت تفحص عمل نظام الإنذار في القصر بشكل دوري».

«هذا صحيح».

«والبغل يحتل هذا القصر الآن».

«هذا ما أُعلن عنه، رغم أنه فاتح متواضع لا يُلقي أي خطب أو تصريحات، ولا يظهر بشكل علني على الإطلاق».

«هذه حكاية قديمة ولا تؤثر في شيء. أنت ـ أيها الحاجب السابق ـ هو كل ما نحتاجه».

كُشِفَت الأوراق فجمع الثعلب الرهانات ثم وزَّع مجموعة جديدة من أوراق اللعب ببطء.

أمسك الرجل ـ الذي كان يومًا حاجب العمدة ـ بأوراقه، واحدة تلو الأخرى، ثم قال: «المعذرة أيها النقيب، لقد كنت أتفحَّص نظام الإنذار، ولكنه كان أمرًا روتينيًّا، أنا لا أعرف أي شيء عنه».

«توقَّعت هذا، ولكن عقلك يحمل ذاكرة تصويرية عن أجهزة التحكم، إن كان من الممكن سبر أغوارها بما يكفي... باستخدام مسبار نفسي».

امتقع وجه الحاجب المتورد على الفور، وتهدلت ملامحه، وانكمشت أوراق اللعب في يده عندما قبض عليها فجأة ثم قال: «مسبار نفسي؟».

قال النقيب بحزم: «لا داعي للقلق، أنا أعرف كيف أستخدمه، لن يُصيبك أي أذى، إلا بعض الضعف لأيام قليلة، وإن حدث هذا فهي مقامرة يجب أن تخوضها، وثمن يجب أن تدفعه. يوجد بيننا بالتأكيد من يمكنه تحديد توليفات الطول الموجي من خلال أجهزة التحكم. هناك بيننا من يستطيع صنع قنبلة زمنية صغيرة، وسأحملها بنفسي إلى البغل».

اجتمع الرجال حول الطاولة.

قال النقيب: «في ليلة محددة سيحدث شغب في مدينة تيرمينوس، في الحي الذي يوجد فيه القصر. لن يحدث قتال حقيقي، سيكون هناك بلبلة ثم هروب. المهم هو أن ينجذب انتباه حرس القصر... أو على الأقل أن يتشتت انتباههم...».

استمرت الاستعدادات منذ ذلك الوقت ولمدة شهر، وبعد أن تحول «النقيب هان بريتشر من الأسطول الوطني» إلى «متآمر» انحدر به الحال أكثر في المرتبة الاجتماعية ليصير «مغتالًا».

كان النقيب بريتشر ـ المغتال ـ في القصر ذاته، ووجد نفسه مسرورًا بشكل كئيب بعلمه النفسي. إن نظام إنذار دقيق بالخارج يعني عددًا قليلًا من الحراس بالداخل، وفي هذه الحالة كان يعني عدم وجود أي حراس على الإطلاق.

كان تصميم الطابق واضحًا في عقله، كان بقعة تتحرك بلا صوت صاعدة ممرًّا منحدرًا مغطى جيدًا بالسجاد، وعندما وصل إلى قمته التصق بالجدار وانتظر.

كان أمامه باب الحجرة الخاصة الصغير المغلق. وراء هذا الباب يوجد بالتأكيد المتحول الذي قد استطاع هزيمة ما لا يُهزَم. لقد وصل مبكرًا، لا يزال هناك عشر دقائق في عمر القنبلة.

مرَّت خمس دقائق وما زال لا يوجد صوت في العالم بأسره. لا يزال لدى البغل خمس دقائق ليحياهم، وكذلك النقيب بريتشر.

خطا إلى الأمام باندفاع مفاجئ، لم يعد من الممكن أن تفشل الخطة، عندما تنفجر القنبلة سينفجر القصر معها... القصر بأكمله. العشر ياردات بينه وبين الباب لم تكن لتصنع فارقًا، ولكنه أراد أن يرى البغل وهما يموتان معًا.

في حركة أخيرة جريئة طرق بقوة على الباب...

انفتح الباب فظهر من ورائه ضوء يعمي الأبصار، ترنَّح النقيب بريتشر ثم تمالك نفسه. الرجل المهيب الواقف في منتصف الحجرة الصغيرة أمام حوض أسماك معلق نظر إليه ببساطة.

كان زيه الموحد ذا لون أسود كئيب، وعندما طرق بأصابعه على الحوض في شرود اهتز على الفور فاندفعت السمكة البرتقالية ذات الزعانف الريشية والسمكة القرمزية في اتجاهات عديدة بحركة جامحة.

قال: «ادخل أيها النقيب».

أحس النقيب أن الكرة المعدنية الصغيرة أسفل لسانه المرتجف تنتفخ بشكل مخيف، وهذا مستحيل فيزيائيًّا كما يعرف النقيب، ولكنها كانت في الدقيقة الأخيرة من عمرها.

قال الرجل ذو الزي الرسمي: «من الأفضل لك أن تبصق تلك الكرة الصغيرة الحمقاء وتحرر نفسك لكي تتحدث، فهي لن تنفجر».

مرت الدقيقة، وبحركة بطيئة أمال النقيب رأسه وأسقط الكرة الفضية المبتلة في راحة يده. بقوة غاضبة ألقاها ناحية الجدار فارتدت إلى الوراء برنين حاد ضئيل بينما تلمع وهي تحلق دون أن تسبب أدنى أذى.

هزَّ الرجل ذو الزي الرسمي كتفيه وقال: «لقد كلَّفت نفسك الكثير من العناء بلا طائل أيها النقيب. لم يكن لينفعك هذا على أي حال، فأنا لست البغل، سيكون عليك أن تكون قانعًا بواليه».

تمتم النقيب بدهشة: «كيف عرفت؟».

«فلتلقِ باللوم على نظام فعَّال لمكافحة التجسس. يمكنني تسمية كل عضو في عصابتكم الصغيرة، كل خطوة في تخطيطكم...».

«وقد سمحت للأمر بأن يصل إلى هذا الحد؟».

«لم لا؟ لقد كان واحدًا من أكبر أهدافي هنا هو أن أعثر عليك أنت وبعض الآخرين، ولكن أنت على وجه الخصوص. كان من الممكن أن أنال منك منذ بضعة أشهر عندما كنت لا تزال عاملًا بأعمال الحاملات في

نيوتن، ولكن هذا أفضل بكثير. إن لم تقترح الخطوط الأساسية العريضة للخطة بنفسك فكان أحد رجالي سيقترح عليك شيئًا مماثلًا إلى حد كبير. النتيجة درامية للغاية وبها نوع كئيب من الدعابة».

قال النقيب بعينين جامدتين: «أجد الأمر كذلك أيضًا. هل انتهى الأمر الآن؟».

«بل بدأ للتو. اجلس أيها النقيب. دعنا نترك الأعمال البطولية للحمقى الذين ينبهرون بها. أنت رجل بارع أيها النقيب. بحسب المعلومات التي لدي فأنت أول شخص في القاعدة تعرَّف على قوة البغل، لقد شغلت نفسك منذ ذلك الوقت ـ وبشكل جريء ـ بحياة البغل المبكرة. لقد كنت أحد هؤلاء الذين اختطفوا المهرج، الذي لم يُعثَر عليه حتى الآن بالمناسبة، والذين سيدفعون ثمن فعلتهم هذه كاملًا. إن براعتك مُسلَّم بها، والبغل لا يخشى براعة أعدائه طالما يستطيع تحويلها إلى براعة صديق جديد».

«هل هذا ما تحاول الوصول إليه؟ لا!».

«نعم! كان هذا هو الهدف وراء عرض الليلة الكوميدي. أنت رجل ذكي، ولكن مؤامرتك الصغيرة ضد البغل قد فشلت بشكل هزلي. لا يمكنك حتى أن تمنحها شرف تسميتها مؤامرة، هل كان جزء من تدريبك العسكري إهدار السفن في تصرفات ميؤوس منها؟».

«يجب على المرء أن يعترف أولًا أنها ميؤوس منها».

قال الوالي بثقة وهدوء: «سيكون عليك الاعتراف بهذا، فالبغل قد غزا القاعدة، ويحولها بشكل متسارع إلى ترسانة عسكرية لتحقيق أهدافه العظمى».

«أي أهداف عظمى؟».

«غزو المجرة بأسرها، إعادة توحيد العوالم المتمزقة لتصير إمبراطورية جديدة، تحقيق حلم سيلدون ـ أيها المناضل الوطني ضيق الأفق ـ قبل سبعمئة سنة من الوقت الذي كان يأمل تحقيقها فيه. وأنت بإمكانك مساعدتنا في تحقيق هذا».

«يمكنني هذا بلا شك، ولكني لن أفعل هذا بالتأكيد».

قال الوالي بشكل عقلاني: «أنا أعرف أن هناك ثلاثة كواكب فقط من كواكب التجارة الحرة ما زالت تقاوم، ولكنهم لن يصمدوا لوقت أطول، ستكون هذه آخر قوى القاعدة، وأنت ما زلت تقاوم».

«أجل».

«ولكنك لن تقاوم. التجنيد التطوعي هو الأكثر كفاءة، ولكن النوع الآخر سيفي بالغرض. إن البغل غائب لسوء الحظ، فهو يقود القتال بنفسه كالعادة، في وجه التجار المقاومين، ولكنه على اتصال دائم بنا، لن يكون عليك الانتظار طويلًا».

«من أجل ماذا؟».

«من أجل تجنيدك».

قال النقيب بحزم: «سيجد البغل أن هذا أكبر من قدراته».

«هذا غير صحيح، أنا لم أكن أكبر من قدراته. ألم تتعرف عليَّ؟ لقد كنتَ في كالجان، إذن لا شك أنك قد رأيتني، كنت أرتدي نظارة بعدسة واحدة ورداءً قرمزيًّا مبطنًا بالفراء وقبعة متوجة عالية...».

تخشَّب جسد النقيب في فزع وقال: «لقد كنت أمير حرب كالجان».

«أجل، وأنا الآن الوالي المخلص للبغل، إنه مقنع كما ترى».

## الفصل الحادي والعشرون

# كمين في الفضاء

تم اختراق الحصار بنجاح. لم يقدر أي أسطول في التاريخ على أن يُبقي مراقبته بمثل هذه الكثافة الشديدة بسبب الحجم الهائل للفضاء الشاسع. إذا كان هناك سفينة واحدة بطيار ماهر بدرجة متوسطة من الحظ فهناك ثغرات يُمكن اختراقها.

بهدوء شديد وعينين باردتين حلَّق توران بسفينة محتجَّة من محيط نجم إلى محيط نجم آخر. إن المنطقة المحيطة بكتلة عظيمة تجعل القفزة النجمية صعبة ومتقلبة، إلا أنها تجعل أجهزة كشف العدو عديمة الجدوى أيضًا إلى حد كبير.

وبمجرد المرور من حزام السفن، فقد مروا أيضًا عبر المجال الداخلي للفضاء الميت الذي لا يمكن توجيه أي رسالة من خلاله عبر الأثير إلى المنطقة المحاصرة. ولأول مرة منذ ثلاثة شهور أحسَّ توران بعدم العزلة.

لقد مرَّ أسبوع قبل أن تتناول البرامج الإخبارية للعدو أي شيء أكثر من مدح الذات والتفاصيل المملة لتزايد السيطرة على القاعدة. في هذا الأسبوع استطاعت سفينة توران التجارية المسلحة أن تهرب إلى الداخل بعيدًا عن الأطراف الخارجية للمجرة في قفزات متعجلة.

نادى إبلينج ميس على توران الموجود في غرفة التحليق فرفع عينيه عن خرائطه، ثم هبط إلى الحجرة المركزية الصغيرة التي حولتها بايتا إلى غرفة معيشة بشكل اضطراري. قال توران: «ما الأمر؟».

هزَّ ميس رأسه وقال: «لا أعرف حقًا، ولكن صحفي البغل قد أعلن عن نشرة إخبارية خاصة، فخمنت أنك قد ترغب في مشاهدتها».

«لم لا؟ أين بايتا؟».

«تعد الطاولة في غرفة تناول الطعام، وتختار من بين قائمة الطعام، أو شيء من هذا القبيل».

جلس توران على الفراش الصغير الذي يمثل سرير ماجنيفيكو وانتظر. كانت الدعاية الروتينية في نشرات البغل الإخبارية الخاصة متشابهة بشكل مثير للملل. أولًا الموسيقى العسكرية، ثم كلمات المذيع الناعمة المعسولة. كانت الأخبار الصغيرة تأتي متتابعة بتزامن محسوب، ثم فاصل ثم الأبواق والحماس المتصاعد والذروة.

تحمَّل توران كل هذا بينما ميس يتمتم لنفسه.

بدأ المذيع الإخباري يتحدث بعبارات المراسل الحربي التقليدية في كلمات متملقة، تترجم مشهد المعدن المنصهر واللحم المتفجر لمعركة في الفضاء إلى كلمات.

«أسراب السفن الحربية السريعة تحت قيادة الفريق سامِن قد ردَّت الضربة اليوم بقوة في وجه الوحدة الحربية التي خرجت من إيس...». تلاشى وجه المتحدث الخالي من التعبيرات من على الشاشة ليحل محله ظلمة الفضاء التي يقطعها عدد كبير من السفن السريعة التي تناور عبر الفراغ في المعركة المميتة. واصل الصوت حديثه عبر الانفجارات الصامتة...

«كان العمل الأكثر لفتًا للانتباه في المعركة هو القتال الفرعي بين السفينة الحربية الثقيلة كلاستر ضد ثلاث سفن معادية من فئة نوڤا...».

تغيرت الصورة على الشاشة ليظهر مشهد جديد؛ سفينة ضخمة تلمع منها شرارة، بينما واحدة من السفن المهاجِمة المحمومة تتوهج في غضب وتلتف خارجة من مركز الرؤية قبل أن تدور مجددًا وتنقض على السفينة الكبيرة. انحنت سفينة كلاستر بشكل عنيف ونجت من الضربة الخاطفة فدفعت السفينة المهاجِمة إلى الميل في الاتجاه المعاكس.

واصل الإخباري حديثه الناعم الخالي من المشاعر حتى آخر ضربة وآخر سفينة.

كان هناك فاصل ثم ظهر مشهد كبير مشابه بالصوت والصورة لمعركة ضد منيمون، مع إضافة جديدة عبارة عن وصف مطول للكر والفر والهبوط، صورة المدينة المدمرة، السجناء المتعبين المتكومين على أنفسهم، ثم الإقلاع مجددًا.

لن يستطيع منيمون الصمود لوقت طويل.

فاصل آخر وهذه المرة جاء الصوت الصاخب المتوقع لخطوات عسكرية. تبدَّلت الشاشة لتظهر صفوف طويلة مذهلة من الجنود في ممر يتحرك عبره ـ بخطوات سريعة ـ المتحدثون الرسميون للحكومة الذين يرتدون ملابس المستشارين الرسمية.

كان الصمت طاغيًا.

الصوت الذي جاء أخيرًا كان رسميًّا وبطيئًا وصارمًا:

«بأمر من حاكمنا، فقد أُعلن أن كوكب هاڤِن ـ الذي كان يُقاوم مشيئته حتى هذه اللحظة بشكل حربي ـ قد استسلم وقَبِلَ الهزيمة. في هذه اللحظة تحتل قوات حاكمنا الكوكب. لقد تحطَّمت المقاومة وتشتَّتت وسُحِقَت بشكل سريع».

تبدَّل المشهد ليعود الإخباري الأصلي ليؤكد بأهمية على أن التطورات الأخرى سوف تبث أثناء حدوثها.

ثم كان هناك موسيقى راقصة، فقطع إبلينج ميس الطاقة عن الجهاز.

اعتدل توران واقفًا وسار مبتعدًا بخطوات مترنحة دون أن ينطق بكلمة واحدة. لم يتحرك العالم النفسي من موضعه لكي يوقفه.

عندما خطت بايتا خارج المطبخ كسر ميس الصمت قائلًا: «لقد استولوا على هاڤِن».

اتسعت عينا بايتا في صدمة وعدم تصديق وهي تقول: «بهذه السرعة؟».

«بدون قتال. بدون قتال لعبـ...». قطع كلامه وازدرد لعابه ثم قال: «من الأفضل أن تتركي توران وحده. إن وطأة الأمر شديدة عليه. دعينا نتناول الطعام بدونه هذه المرة».

نظرت بايتا ناحية غرفة القيادة ثم نظرت إليه مجددًا في يأس وقالت: «لا بأس!».

جلس ماجنيفيكو على الطاولة دون أن يلتفت إليه أحد. لم يكن يتحدث أو يأكل، بل كان يحدق أمامه بخوف مكثف. بدا وكأنه يستنزف كل الحيوية من جسده النحيل.

كان إبلينج ميس يُقَلِّب حلوى الفاكهة المثلجة الموضوعة أمامه في شرود، ثم قال بخشونة: «اثنان من كواكب التجارة يقاتلان. إنهما يقاتلان وينزفان ويموتان ولكنهما لا يستسلمان. فقط في هاڤِن... تمامًا كما حدث في القاعدة...».

«ولكن لماذا؟ لماذا؟».

هز العالم النفسي رأسه وقال: «إنه جزء من المشكلة برمتها. كل جانب غريب هو تلميح عن طبيعة البغل. أولًا مشكلة كيفية تغلبه على القاعدة دون أن يسفك إلا القليل من الدماء، وبضربة واحدة من الأساس، بينما كواكب التجارة الحرة قد صمدت. إن مثبط المفاعلات النووية هو سلاح تافه ـ وقد ناقشنا هذا مرارًا وتكرارًا حتى سئمت منه ـ ولم يعمل في مواجهة أحد سوى القاعدة».

ثم عقد إبلينج حاجبيه الكثين معًا وأكمل قائلًا: «يقترح راندو أنه قد يكون هناك مثبط إرادة إشعاعي. قد يكون هذا هو سبب سقوط هاڤِن. ولكن لماذا لم يستخدمه إذن في منيمون وإيس؟ إنهما يقاتلان حتى الآن بشراسة شيطانية، حتى إن الأمر قد تطلب نصف أسطول القاعدة بالإضافة إلى قوات البغل للتغلب عليهما. أجل، لقد تعرَّفت على سفن القاعدة ضمن المهاجِمين».

همست بايتا: «القاعدة، ثم هاڤِن. يبدو أن الكارثة تلحق بنا دون أن تلمسنا، يبدو أننا نهرب دومًا في اللحظة الأخيرة، هل سيستمر هذا إلى الأبد؟».

لم يكن إبلينج ميس يُنصت لها، كان يحاول أن يُثبت نقطة لنفسه: «ولكن هناك مشكلة أُخرى، مشكلة أُخرى. أنتِ تذكرين يا بايتا الخبر المتعلق بعدم العثور على مهرج البغل في تيرمينوس، وأنهم يشكون في هربه إلى هاڤِن، أو حَمْلِه إلى هناك بواسطة مختطفيه الأصليين. هناك أهمية متعلقة به ولا تتلاشى يا بايتا، ونحن لم نُدرك حقيقتها بعد. لا شك أن ماجنيفيكو يعرف شيئًا مميتًا بالنسبة للبغل. أنا واثق من هذا».

قال ماجنيفيكو محتجًّا بوجهٍ ممتقع ولهجة متلعثمة: «سيدي... النبيل... إن معرفة نواياك تتجاوز حقًّا فهمي الضعيف. لقد أخبرتك بما أعرفه بشكل مطلق، وباستخدام مسبارك استطعت أن تستخرج من عقلي الضئيل كل ما أعرفه، ما لم أكن أعرف أني أعرفه».

«أنا أعرف ... أنا أعرف. إنه شيء صغير؛ تلميح صغير للغاية حتى إنه لا يُمكنني أنا أو أنت التعرف عليه أو التعرف على حقيقته. ولكن يجب أن أعثر عليه، فإن منيمون وإيس سيسقطان قريبًا، وعندما يحدث هذا سنكون نحن آخر البقايا، القطرات الأخيرة في استقلال القاعدة».

بدأت النجوم تزداد كثافة مع اختراق قلب المجرة، وبدأت حقول الجاذبية تتداخل في كثافات كافية لإحداث اضطرابات لا يمكن التغاضي عنها في القفزة النجمية.

أدرك توران هذا عندما انتهت إحدى القفزات بسفينتهم أمام التوهج الكامل لعملاق أحمر تشبَّث بها بشراسة ولم ترتخِ قبضته إلا بانتزاع أنفسهم منها عنوة، بعد اثنتي عشرة ساعة من الإنهاك وعدم النوم.

مع خرائط محدودة النطاق، وخبرة غير مكتملة من الناحية العملية أو الحسابية، استسلم توران لأيام من التخطيط الدقيق بين القفزات.

لقد صار مشروعًا جماعيًّا بشكل ما؛ إبلينج ميس يتفحَّص حسابات توران الرياضية، وبايتا تختبر المسارات المحتملة باستخدام طرق عامة متنوعة، من أجل البحث عن حلول حقيقية. حتى ماجنيفيكو قد وُضِع للعمل على آلة حاسبة لإجراء عمليات حسابية روتينية، وهو نوع من العمل ما إن شُرِح له حتى صار مصدر تسلية عظيم بالنسبة له، وقد كان بارعًا فيه بشكل مدهش.

لذا في نهاية الشهر ـ أو قرب نهايته ـ كانت بايتا قادرة على مسح الخط الأحمر الذي يشق طريقه متلويًا عبر نموذج المجرة ثلاثي الأبعاد متجهًا إلى مركزها، ثم قالت باستمتاع ساخر: «هل تعرفون كيف يبدو الأمر؟ إنه يبدو كدودة طولها عشرة أقدام مُصابة بحالة مريعة من عُسر الهضم. ستعود بنا في نهاية المطاف إلى هاقِن».

قال توران متذمرًا مع صوت خشخشة عنيف من خرائطه: «سأفعل إن لم تصمتي».

أكملت بايتا حديثها قائلة: «هناك مسار على الأرجح يمر مباشرة من هنا عبر خط طول مباشر».

«حقًّا؟ أولًا أيتها الحمقاء سيحتاج الأمر على الأرجح إلى خمسمئة سفينة وخمسمئة عام للمرور عبر هذا المسار عن طريق التجربة والخطأ، وخرائطي اللعينة لا توضح هذا المسار. بالإضافة إلى أن هذه المسارات المباشرة من الأفضل تجنبها، فهي على الأرجح مكتظة بالسفن. وبالإضافة إلى هذا...».

قالت وهي تجذب شعره بيديها: «بحق المجرة، توقَّف عن الثرثرة بهذا الهراء بمثل هذا التعالي».

صاح متألمًا: «اتركي شعري!». ثم أمسك معصميها وجذبها لأسفل، فسقط توران وبايتا والكرسي متشابكين على الأرض. تحوَّل الأمر إلى مباراة مصارعة لاهثة، تتكون بشكل كبير من الضحك المختنق والضربات العديدة المؤلمة.

تخلَّى توران عنها عندما دخل ماجنيفيكو وهو يلهث.

«ما الأمر؟».

كان القلق قد صنع تجاعيد على وجه المهرج، وشد جلده المتقع فوق أنفه الضخم. «الآلات تتصرف بشكل غريب يا سيدي، أنا لم ألمس أي شيء بسبب إدراكي لجهلي...».

في ثانيتين كان توران في غرفة القيادة، ثم قال بهدوء مخاطبًا ماجنيفيكو: «أيقظ إبلينج ميس، واجعله يهبط إلى هنا على الفور».

ثم قال مخاطبًا بايتا، التي كانت تحاول تصفيف شعرها باستخدام أصابعها: «لقد تم رصدنا يا باي».

سقط ذراعا بايتا وقالت: «رصدنا؟ ممن؟».

تمتم توران: «المجرة وحدها تعرف، ولكني أتخيل أنه شخص معه أسلحة مصوبة ناحيتنا بالفعل، ونحن في نطاقها».

ثم جلس وبدأ ـ بصوت منخفض ـ يُرسل رمز تعريف السفينة عبر الأثير.

عندما دلف إبلينج ميس بعينين ناعستين قال توران بهدوء يائس: «يبدو أننا بداخل حدود مملكة محلية داخلية، تُسمَّى سلطنة فيليا».

قال ميس باقتضاب: «لم أسمع عنها من قبل».

أجابه توران: «وأنا أيضًا لم أسمع عنها من قبل، ولكن على أي حال هناك سفينة من فيليا قد اعترضت طريقنا، وأنا لا أعرف ما سيترتب على الأمر الآن».

صعد على متن سفينتهم مفتش السفينة الفيليّة بصحبة ستة رجال مسلحين. كان شعره قصيرًا وخفيفًا وشفتاه نحيلتان وبشرته جافة. سعل بشكل حاد وهو يجلس ويفتح الملف الموضوع تحت إبطه على صفحة فارغة.

قال: «من أين أنتم؟».

قال توران بحذر: «من سيوينا».

«أين تقع هذه؟».

«على بعد ثلاثين ألف فرسخ نجمي، ثمانون درجة غرب ترانتور، أربعون درجة...».

«لا يهم، لا يهم». استطاع توران أن يرى ما قد كتبه المفتش، «نقطة الأصل؛ محيط المجرة الخارجي».

أكمل المفتش قائلًا: «إلى أين أنتم ذاهبون؟».

قال توران: «قطاع ترانتور».

«الغرض؟».

«رحلة ترفيهية».

«هل تحملون أي حمولة؟».

«لا».

«هممم، سوف نتحقق من هذا». ثم أومأ إلى اثنين من رجاله فتحركا بنشاط. لم يُبدِ توران أدنى حركة للتدخل.

سأله المفتش وعيناه تلمعان بشكل مبهم: «ما الذي أتى بكم إلى داخل الحدود الفيليّة؟».

«لم نكن نعرف أين نحن. نحن نفتقر إلى الخرائط المناسبة».

«سيكون عليكم دفع مئتي نقطة رصيد بسبب هذا الافتقار، وبالطبع الرسوم المعتادة المطلوبة من أجل التعريفة الجمركية وما إلى ذلك».

ثم تحدَّث مجددًا إلى ميكروفون، ولكنه كان يصغي أكثر مما يتحدث. ثم قال لتوران: «هل تعرف أي شيء عن التكنولوجيا النووية؟».

أجابه توران بحذر: «القليل».

أغلق المفتش الملف وأضاف: «حقًّا؟ إن رجال محيط المجرة الخارجي لديهم سمعة بأنهم على اطلاع بهذه الأمور. ارتدِ بذلتك وتعالَ معي».

خطت بايتا إلى الأمام وقالت: «ما الذي ستفعلونه معه؟».

أزاحها توران جانبًا برفق وسأله ببرود: «إلى أين تريدني أن أذهب؟».

«إن محطة الطاقة لدينا تحتاج إلى تعديل طفيف. سوف يأتي هذا معك». كان يشير بإصبعه ناحية ماجنيفيكو مباشرة، الذي اتسعت عيناه البنيتان في فزع شديد.

سأله توران بشراسة: «ما دخله بالأمر؟».

نظر الموظف الرسمي إليه ببرود وقال: «لقد أُبلغت بوجود أنشطة قراصنة في هذه المنطقة، وأوصاف أحد المجرمين المشهورين تتشابه معه بشكل تقريبي. إنه مجرد إجراء روتيني لتحديد الهوية».

تردد توران، ولكن ستة رجال مسلحين وستة مسدسات طاقة حسموا النقاش، فمد يده ناحية الخزانة لكي يُخرج بذلته.

بعد ساعة كان يقف منتصبًا في قلب السفينة الفيليّة وهو يقول بغضب: «لا أرى أي شيء خاطئ في المحركات، قضبان التوصيل صحيحة، وأنابيب التغذية تعمل على النحو المناسب، وتحليلات الاستجابة سليمة. من المسؤول هنا؟».

قال رئيس المهندسين بهدوء: «أنا».

«حسنًا، فلتخرجني من هنا».

اقتاده إلى طابق المسؤولين الرسميين، ولم يكن هناك أحد في غُرفة الانتظار الصغيرة سوى ملازم يجلس بلا اكتراث.

«أين الرجل الذي جاء معي؟».

بعد خمس عشرة دقيقة أحضروا ماجنيفيكو.

سأله توران على الفور: «ما الذي فعلوه بك؟».

هزَّ ماجنيفيكو رأسه نافيًا ببطء: «لا شيء، لا شيء على الإطلاق».

تطلب الأمر مئتي وخمسين نقطة رصيد لتسوية الأمر مع فيليا، وخمسين نقطة رصيد من أجل إطلاق السراح الفوري، ثم صاروا في الفضاء الحر مرة أخرى.

أجبرت بايتا نفسها على الضحك وقالت: «ألا نستحق موكب مرافقة؟ ألن نحصل على الركلة المجازية خارج الحدود؟».

فأجابها توران بوجوم: «هذه لم تكن سفينة فيليّة، ونحن لن نغادر لبعض الوقت. تعالوا هنا».

اجتمعوا حوله فقال بوجهٍ شاحب: «لقد كانت هذه سفينة من القاعدة، وهؤلاء الذين على متنها هم رجال البغل».

انحنى إبلينج ليلتقط سيجارًا سقط من يده ثم قال: «هنا؟ نحن على بعد خمسة عشر ألف فرسخ نجمي من القاعدة».

سألته بايتا بشكل منطقي: «وكيف وصلوا إلى هنا؟ ما هي فرصة اللقاء العشوائي لأي سفينة في الفضاء؟».

سألها توران بحدة: «ما علاقة هذا بالأمر؟ إن هذا يُثبت فقط أننا مُلاحَقون».

صاحت بايتا: «مُلاحَقون؟ عبر الفضاء الفائق؟».

تدخَّل إبلينج ميس قائلًا بإرهاق: «من الممكن فعل هذا في حال وجود سفينة جيدة وطيار بارع، ولكن الاحتمال يظل ضئيلًا».

قال توران بإصرار: «من السهل تعقب أثرنا لأنني لم أكن أُخفيه، فقد كنت أُعزز سرعة السفينة من أجل القفزات عن طريق التحليق في خط مستقيم، ويُمكن لرجل أعمى أن يحسب مسارنا».

صاحت بايتا: «بحق النجوم المحترقة، لا يستطيع أحد فعل هذا مع القفزات المجنونة التي تقطعها. إن ملاحظة اتجاهنا الأوَّلي لا يعني شيئًا، فنحن قد خرجنا من القفزة في المكان الخاطئ أكثر من مرة».

قال توران بغضب وهو يجز على أسنانه: «نحن نضيع وقتنا، إنها سفينة من القاعدة تابعة للبغل. لقد أوقفونا، وفتشونا، وأبقوا ماجنيفيكو وحده معي كرهينة لإبقاء بقيتكم هادئين في حالة أن اشتبهتم في الأمر، ونحن سنفجرها في الفضاء الآن».

أمسك إبلينج ميس بيده وقال: «مهلًا، هل ستدمرنا من أجل سفينة تعتقد أنها من سفن العدو؟ فَكِّر يا رجل، هل كان هؤلاء الأوغاد سيطاردوننا في مسار مستحيل عبر نصف المجرة اللعينة ليفتشونا ثم يدعونا نمضي وشأننا؟».

«إنهم مهتمون بمعرفة وجهتنا».

«إذن لماذا يوقفوننا ويضعوننا تحت الحراسة؟ لا يمكنك الجمع بين الأمرين».

«سأفعل ما أشاء. اتركني يا إبلينج وإلا طرحتك أرضًا».

مال ماجنيفيكو للأمام من جلسته المتوازنة على ظهر كرسيه المفضل، وقد انتفخت فتحتا أنفه بحماس وهو يقول: «المعذرة على مقاطعتكما، ولكن عقلي المسكين قد اجتاحته فجأة فكرة غريبة».

لاحظت بايتا بادرة الانزعاج على وجه توران فساعدت إبلينج في الإمساك به وهي تقول: «تحدَّث يا ماجنيفيكو، كلنا آذان مصغية».

قال ماجنيفيكو: «أثناء وجودي في سفينتهم أحسَّ عقلي المشوش بالذهول والاندهاش من الثرثرة التي تنم عن الخوف الذي يغلب عليهم. الحقيقة أنني لا أذكر جل ما حدث. العديد من الرجال يحدقون إليَّ، وحديث لم أفهمه. ولكن قُرب النهاية ـ كشعاع من الشمس قد اخترق حُجُب السحاب ـ رأيت وجهًا أعرفه، لمحة خاطفة، مجرد بصيص، ولكنه رغم ذلك يتوهج في ذاكرتي بقوة وإشراق».

قال توران: «من كان هذا؟».

«النقيب الذي كان معنا منذ وقت طويل، عندما أنقذتم حياتي من العبودية في البداية».

كان من الواضح أن ماجنيفيكو يقصد خلق إحساس بالإثارة، والابتسامة المبتهجة العريضة التي ظهرت في ظل أنفه الضخم تدل على أنه قد نجح في تحقيق مقصده.

سأله ميس بحزم: «النقيب... هان... بريتشر؟ هل أنت واثق من هذا؟ تمام الثقة؟».

وضع ماجنيفيكو يده النحيفة على صدره الضئيل وقال: «أنا أقسم يا سيدي. سأتمسك بهذه الحقيقة وأقسم عليها في وجه البغل حتى لو استخدم كل قوته لإنكار هذا».

قال بايتا في دهشة مطلقة: «إذن ما الهدف وراء كل هذا؟».

نظر المهرج إليها بلهفة وقال: «لدي نظرية يا سيدتي. لقد راودتني مكتملة كأنما الروح المجرية قد وضعتها برفق في عقلي». كان قد رفع صوته بالفعل فوق احتجاج توران الذي يحاول مقاطعته.

وجَّه حديثه بشكل حصري إلى بايتا قائلًا: «إن كان النقيب يا سيدتي قد هرب بسفينة مثلنا، وإن كان مثلنا أيضًا في رحلة لغرض في نفسه، وإن كان قد التقى بنا صدفة، فإنه سيشك في ملاحقتنا له ومحاولة إيقافه كما راودنا نحن الشك فيه بنفس الطريقة. فما العجب أنه قد صنع هذه المسرحية الهزلية للدخول إلى سفينتنا؟».

سأله توران: «لم سيرغب في أن ندخل نحن إلى سفينته إذن؟ هذا لا يتسق مع نظريتك».

صاح المهرج بإلهام متدفق: «بل يتسق، لقد أرسل تابعًا له لا يعرفنا، ولكنه وصفنا عبر الميكروفون، النقيب الذي كان يُصغي له سيتفاجأ بسبب تشابه الوصف مع ملامحي الغريبة، والحقيقة أنه لا يوجد الكثيرون في هذه المجرة العظيمة الذين يشبهون هيئتي الهزيلة. لقد كنت الدليل على هوية بقيتكم».

«لماذا أطلق سراحنا إذن؟».

«ما الذي نعرفه نحن عن مهمته ومدى سريتها؟ لقد استشعر أننا لسنا أعداءً فتصرف بهذه الطريقة. ألا يحتاج إلى أن يفكر إذا ما كان من الحكمة تعريض خطته للخطر من خلال توسيع نطاق من يعرفون بها؟».

قالت بايتا ببطء: «لا تكن عنيدًا يا توري، هذا يفسر الكثير من الأشياء».

وافقها ميس قائلًا: «قد يكون الأمر هكذا حقّا».

بدا توران عاجزًا في وجه المقاومة الجماعية. شيء ما قد أزعجه في تفسير المهرج السلس، شيء ما بدا خاطئًا، ولكنه كان يشعر بالارتباك، ورغمًا عنه انحسر غضبه.

همس قائلًا: «لقد ظننت لوهلة أننا ربما قد نلنا من إحدى سفن البغل».

أظلمت عيناه بألم فقدان هاڤِن.

تفهَّم الآخرون هذا.

**نيوترانتور**: ... كوكب ديليكاس الصغير، الذي تم تغيير اسمه بعد النهب العظيم، كان مقر آخر أسرة من الإمبراطورية الأولى لقرابة قرن من الزمان تقريبًا. لقد كان كوكبًا مهمشًا وإمبراطورية مهمشة، تستمد وجودها فقط من أهميتها السياسية. تحت حكم الأسرة النيوترانتورية الأولى ...

## الفصل الثاني والعشرون

# الموت في نيوترانتور

كان نيوترانتور هو الاسم! ترانتور الجديد! وعندما تقول هذا الاسم تكون قد استنفدت كل التشابهات بين ترانتور الجديد وترانتور الأصلي العظيم. لا تزال شمس ترانتور القديم مضيئة على بعد فرسخين نجميين وعاصمة الإمبراطورية المجرية في القرن الماضي لا تزال في مدارها تقطع الفضاء في صمت وتكرار أبدي.

لا يزال هناك سكان في ترانتور القديم، عددهم ليس كبيرًا، ربما مئة مليون، بينما منذ خمسين عامًا كان يحتشد بأربعين مليار. كان الكوكب المعدني الضخم عبارة عن شظايا متعرجة؛ الأبراج العديدة الشاهقة التي تبرز من الغطاء المعدني الذي يحيط الكوكب بأكمله ممزقة وفارغة، وما زالت تحمل آثار ثقوب الضربات والانفجارات، بقايا النهب العظيم قبل أربعين عامًا.

لقد كان من الغريب أن يموت في شهر واحد كوكب قد كان مركز المجرة لألفي سنة، وحكم مساحة لا حدود لها من الفضاء، وكان مركز المشرعين والحكام الذين امتدت نزواتهم عبر فراسخ نجمية. لقد كان من الغريب أن يموت في نهاية المطاف كوكب لم يمسه أذى خلال موجات شاسعة من الغزو والانسحاب أثناء ألف سنة، ولم يمسه أيضًا أذى في ظل الحروب الأهلية وثورات القصر في ألف سنة أخرى. لقد كان من الغريب أن يتحول مجد المجرة إلى جثة متعفنة.

وكان هذا مثيرًا للشفقة أيضًا!

فإن قرون سوف تمر قبل أن تضمحل الأعمال العظيمة لخمسين جيلًا من البشر حتى تصير بلا نفع. وحدها القوى المنحدرة للبشر أنفسهم تجعلها عديمة النفع الآن.

الملايين الذين تبقوا بعد أن مات المليارات قد مزقوا القاعدة المعدنية اللامعة للكوكب وكشفوا التربة التي لم تلمسها أشعة شمس منذ ألف سنة.

رغم كونهم محاطين بالكمال الميكانيكي للجهود البشرية، ومطوقين بعجائب الصناعة البشرية المتحررة من استبداد الطبيعة، الا أنهم قد عادوا إلى الأرض الترابية. في مساحات مكشوفة واسعة نما القمح والذرة، وفي ظلال الأبراج ترعى الأغنام.

ولكن نيوترانتور كان موجودًا، كوكب قروي مغمور، غارق في ظلال ترانتور العظيم، حتى أسرع إليه قلب العائلة الملكية المختنق، هاربًا من نيران وحرائق النهب العظيم، مسرعًا إلى ملاذه الأخير، وصمد هناك بشق الأنفس حتى انحسرت موجة التمرد الهادرة. هنالك فرض حكمه في مجد شبحي على بقايا جثة الإمبراطورية.

عشرون كوكبًا زراعيًّا كانوا يمثلون إمبراطورية مجرية!

داجوبيرت التاسع، حاكم عشرين كوكبًا من الإقطاعيين الصارمين والفلاحين العابسين، كان إمبراطور المجرة وسيد الكون.

كان داجوبيرت التاسع في الخامسة والعشرين من عمره عندما وصل هو وأبوه إلى نيوترانتور في ذلك اليوم الدموي. كان عقله وعيناه ما زالوا معلقين بقوة الإمبراطورية ومجدها الضائع، ولكن ابنه ـ الذي قد يصير يومًا داجوبيرت العاشر ـ قد وُلِد على نيوترانتور.

إن الكواكب العشرين هي كل ما يعرفه.

كانت سيارة جورد كوماسون الطائرة هي المركبة الأولى من نوعها على الإطلاق في نيوترانتور، وكان هذا بديهيًّا، ليس فقط لكون كوماسون أكبر إقطاعي في نيوترانتور، فقد كان في أيام شبابه محراك شر ورفيق ولي عهد شاب متمرد تسيطر عليه قبضة إمبراطور متوسط العمر. وهو الآن لا يزال محراك شر ورفيق ولي عهد متوسط العمر يكره إمبراطورًا عجوزًا ويسيطر عليه.

لذا كان جورد كوماسون في سيارته الطائرة ـ التي لم تكن بحاجة إلى شعار النبالة لتحديد هوية مالكها بسبب زخرفتها باللآلئ وتطعيمها بالذهب واللومترون ـ يستطلع الأراضي التي هي ملكه، وأميال القمح والدرَّاسات والحصَّادات الضخمة الخاصة به، والفلاحين المستأجرين والأشخاص الذين يعتنون بآلاته، وهو يفكر في مشاكله بحذر.

بجواره كان السائق منحني الظهر متغضن الوجه يوجه السفينة برفق عبر الرياح العليا وهو يبتسم.

تحدَّث جورد كوماسون إلى الرياح والهواء والسماء قائلًا: «هل تتذكر ما قلته لك يا إنشني؟».

كان شعر إنشني الرمادي الخفيف يتطاير بخفة في الرياح، وقد اتسعت ابتسامته ـ التي تكشف عن سِنٍّ مفقود ـ في شفتيه النحيلتين لتعمق تجاعيد خديه كأنه يخفي عن نفسه سر أبدي، وتردد صوته الهامس كالصفير من بين أسنانه.

«أنا أتذكر يا سيدي وقد فكَّرت في الأمر».

سأله بشيء من نفاد الصبر: «وما الذي فكرت فيه يا إنشني؟».

تذكَّر إنشني أنه قد كان شابًّا وسيمًا ولوردًا عظيمًا في ترانتور القديم. تذكر إنشني أنه عجوز قبيح في نيوترانتور يعيش في نعمة الإقطاعي جورد كوماسون وأنه يدفع ثمن هذه النعمة بأن يعيره دهاءه عند الحاجة. تنهَّد في هدوء شديد.

همس مجددًا قائلًا: «إن وجود زوار من القاعدة هو أمر لا يستحق القلق يا سيدي، وخصوصًا عندما يكونون بسفينة واحدة ورجل مقاتل واحد يا سيدي، مهما كان مقدار الترحيب بهم».

قال كوماسون بوجوم: «الترحيب؟ ربما، ولكن هؤلاء الرجال سحرة وقد يكونون أقوياء».

تمتم إنشني قائلًا: «هراء، إن ضبابية المسافات البعيدة تخفي الحقيقة. القاعدة ليست سوى عالم ومواطنوها ليسوا سوى رجال. إن أطلقت عليهم النار سيموتون».

أبقى إنشني السفينة في مسارها. كان هناك نهر متعرج يتلألأ بالأسفل. همس قائلًا: «أليس هناك رجل يقولون عنه إنه قد زعزع استقرار عوالم محيط المجرة الخارجي؟».

سأله كوماسون فجأة بريبة: «ما الذي تعرفه عن هذا الأمر؟».

أجابه السائق دون أن يبتسم: «لا شيء يا سيدي، هذا مجرد سؤال عابر».

كان تردد الإقطاعي قصيرًا فقد سأله بشكل مباشر وحشي: «وطريقتك في الحصول على المعلومات ستجعلك تفقد عنقك الهزيل يومًا ما. ولكني أعرف الأمر! هذا الرجل يُدعى البغل، وأحد رعاياه كان هنا منذ بضعة أشهر، من أجل... مناقشة العمل. وأنا أنتظر واحدًا آخر... الآن... لحسم الأمر».

«وهؤلاء القادمون الجدد؟ ربما هم من تنتظرهم؟».

«إنهم لا يملكون أوراق الهوية التي يجب أن تكون معهم».

«لقد قيل إن القاعدة قد تعرضت للاحتلال...».

«أنا لم أخبرك بهذا».

تابع إنشني بهدوء: «هذا ما ذكرته التقارير، وإن كان صحيحًا فقد يكون هؤلاء لاجئين هاربين من الدمار، ويمكننا احتجازهم حتى يأتي رجال البغل كعربون صداقة».

قال كوماسون في تردد: «أجل؟».

«وبما أنه من المعروف يا سيدي أن صديق الغازي ليس سوى الضحية الأخيرة فقد يكون هذا إجراءً صادقًا للدفاع عن النفس. وهناك أشياء مثل المسبارات النفسية، ولدينا هنا أربعة عقول من القاعدة. هناك الكثير عن القاعدة سيكون من المفيد معرفته، والأكثر بكثير عن البغل، وبعدها ستكون الصداقة مع البغل أمرًا بسيطًا وأقل طغيانًا».

عاد كوماسون إلى فكرته الأولى وهو يرتجف في هدوء طبقات الهواء العليا، ثم قال: «ولكن إن كانت القاعدة لم تسقط، وكانت التقارير كاذبة. يقال إن هناك نبوءة أنها لا يمكن أن تسقط».

«لقد تجاوزنا عصر العرافين يا سيدي».

«ولكن إن كانت لم تسقط يا إنشني؛ فكر! إن كانت لم تسقط! لقد قطع البغل لي وعودًا بالطبع...». ثم شرد بأفكاره قبل أن يفيق من شروده ويقول: «الأمر وما فيه هو أنه كان يتفاخر، ولكن التفاخر أمر سهل، بينما الأفعال أمر صعب».

ضحك إنشني بلا صوت ثم قال: «الأفعال أمر صعب حقًّا، حتى تبدأ. لا يكاد المرء يجد خوفًا أكبر من القاعدة التي في نهاية المجرة».

تمتم كوماسون لنفسه تقريبًا: «لا يزال هناك الأمير أيضًا».

«هل يتعامل مع البغل بدوره يا سيدي؟».

لم يستطع كوماسون أن يمنع ملامح وجهه من التغير تمامًا وهو يقول: «ليس بالكامل، ليس كما أفعل أنا، ولكنه يزداد جموحًا، والسيطرة عليه صارت أكثر صعوبة؛ هناك شيطان بداخله. إن أمسكت بهؤلاء الأشخاص وقرر هو أن يأخذهم من أجل مصلحته الخاصة ـ فهو لا يفتقر إلى بعض الدهاء ـ فأنا حينها لست مستعدًّا للصراع معه».

عقد حاجبيه وتهدلت وجنتاه السمينتان في عبوس.

قال السائق العجوز خارج السياق: «لقد رأيت هؤلاء الغرباء لبضع لحظات بالأمس، وغريبة هي تلك المرأة ذات الشعر الأسود، إنها تتصرف بحرية كأنها رجل، وبشرتها ذات لون أبيض مذهل بجوار بريق شعرها الأسود». كان هناك نوع من الدفء في صوته الهامس المبحوح المتغضن، حتى إن كوماسون قد التفت إليه بدهشة مفاجئة.

أكمل إنشني قائلًا: «أعتقد أن دهاء الأمير لن يكون منيعًا في وجه مساومة معقولة. يمكنك أن تحصل على البقية إن تركت له الفتاة...».

تهلَّلت أسارير كوماسون وقال: «يا لها من فكرة! يا لها من فكرة حقًّا! فلنعد أدراجنا يا إنشني! وإن سارت الأمور على ما يرام يا إنشني فسوف نناقش مسألة حريتك بمزيد من التفصيل».

أحس كوماسون بنوع ما من الرمزية الخرافية عندما وجد كبسولة شخصية تنتظر في مكتبه الخاص عندما عاد. لقد وصلت عبر طول موجي لا يعرفه إلا القليل. ابتسم كوماسون ابتسامة سمينة؛ إن رجال البغل قادمون والقاعدة قد سقطت بالفعل.

إن التصورات الضبابية التي كانت تراود بايتا عن قصر إمبراطوري لم تتماشَ مع الواقع، وبداخلها كان هناك إحساس مبهم بخيبة الأمل. كانت الغرفة صغيرة للغاية وبسيطة للغاية وعادية للغاية. لم يكن القصر يُضاهي حتى منزل العمدة هناك في القاعدة. أما عن داجوبيرت التاسع...

كان لدى بايتا أفكار محددة عن الشكل الذي يجب أن يبدو عليه إمبراطور؛ فلم يكن من المفترض أن يبدو كجد طيب لشخص ما، ولم يكن من المفترض أن يبدو نحيفًا وشاحبًا وهزيلًا... أو أن يقدم أكواب الشاي بيديه في حالة من القلق من أجل راحة زواره.

ولكنه كان هكذا.

ضحك داجوبيرت التاسع وهو يصب الشاي في كوبها الذي تمسكه في يدها بعدم ارتياح.

«إن هذا من دواعي سروري حقًّا يا عزيزتي، إنها لحظة بعيدة عن المراسم الاحتفالية وطقوس البلاط. لم أحظَ بفرصة الترحيب بزوار من مقاطعاتي الخارجية منذ وقت طويل؛ يعتني ابني بهذه التفاصيل الآن وقد صرت عجوزًا. ألم تلتقي بابني بعد؟ إنه شاب طيب، ربما يكون عنيدًا ولكنه لا يزال صغيرًا حقًّا. هل ترغبين في كبسولة نكهة؟ لا؟».

حاول توران أن يتدخل لمقاطعته قائلًا: «يا جلالة الإمبراطور...».

«أجل؟».

«لم يكن في نيتنا أن نتطفل عليك يا جلالة الإمبراطور...».

«هراء، ليس هناك أي تطفل. سيكون هناك حفل استقبال رسمي الليلة، ولكن حتى هذا الوقت فنحن أحرار. دعنا نرى، قلتم لي من أين جئتم؟ يبدو أن هناك وقت طويل قد مضى منذ أن كان لدينا حفل استقبال رسمي. قلتم إنكم من مقاطعة أناكريون؟».

«من القاعدة يا جلالة الإمبراطور!».

«أجل، القاعدة، أنا أتذكر الآن. لقد حددت موقعها، إنها في مقاطعة أناكريون. أنا لم أذهب إلى هناك من قبل، يمنعني الطبيب من السفر بعيدًا. لا أتذكر وصول أي تقارير مؤخرًا من والينا في أناكريون. كيف الحال هناك؟». اختتم حديثه بترقب.

تمتم توران قائلًا: «أنا لا أحمل أي شكوى يا سيدي».

«هذا يُثلج الصدر، إن والينا يستحق الثناء».

نظر توران بيأس إلى إبلينج ميس الذي ارتفع صوته الفظ قائلًا: «لقد قيل لنا يا سيدي إننا نحتاج إلى تصريح منك لزيارة مكتبة الجامعة الإمبراطورية في ترانتور».

سأله الإمبراطور بنبرة خاليةٍ من المشاعر: «ترانتور؟».

ثم اكتست ملامحه بنظرة من الحيرة والألم وهو يهمس: «ترانتور؟ لقد تذكرت، أنا أخطط الآن للعودة إلى هناك ومن ورائي أسطول من السفن. يجب أن تأتوا معي، معًا سوف ندمر المتمرد جيلمر، معًا سنستعيد الإمبراطورية!».

اعتدل ظهره المنحني واكتسى صوته بالقوة، ولوهلة كانت عيناه صارمتين، ثم رمش بعينيه وقال بضعف: «ولكن جيلمر قد مات. يبدو أنني قد تذكرت، أجل، أجل! جيلمر قد مات! ترانتور قد مات... لوهلة بدا لي... قلتم من أين أتيتم؟».

همس ماجنيفيكو إلى بايتا: «هل هذا إمبراطور حقًّا؟ كنت أعتقد ـ لسبب ما ـ أن الأباطرة أعظم من الرجال العاديين وأكثر حكمة منهم».

أشارت إليه بايتا كي يصمت ثم قالت: «لو أنك تكرمت فقط يا جلالة الإمبراطور بتوقيع أمرٍ يسمح لنا بالذهاب إلى ترانتور فهذا سيُساعدنا كثيرًا في هدفنا المشترك».

قال الإمبراطور بخواء وعدم فهم: «إلى ترانتور؟».

«إن والي أناكريون ـ الذي نتحدث باسمه يا سيدي ـ يرسل إليك ليخبرك بأن جيلمر لا يزال حيًّا...».

صرخ داجوبيرت: «حي! حي! أين؟ سيكون هناك حرب!».

«هذا ليس معروفًا بعد يا جلالة الإمبراطور، إن مكان وجوده غير مؤكد. لقد أرسلنا الوالي لنطلعك على الحقيقة، ونحن لن نعرف مكان اختبائه إلا في ترانتور. ما إن نكتشفه...».

«أجل، أجل، يجب أن نعثر عليه». اقترب الإمبراطور العجوز مترنحًا من الجدار ولمس الخلية الضوئية الصغيرة بإصبع مرتجف، ثم تمتم بعد انتظار قصير: «الخدم لا يستجيبون. لا يمكنني انتظارهم».

ثم أخذ يكتب على ورقة فارغة واختتمها بحرف د مزخرف، قبل أن يقول: «إن جيلمر لم يعرف بعد قوة إمبراطوره. قلتم لي من أين أتيتم؟ أناكريون؟ كيف الحال هناك؟ هل لا يزال اسم الإمبراطور قويًّا؟».

أخذت بايتا الورقة من أصابعه الضعيفة، وقالت: «إن شعبك يحبك يا جلالة الإمبراطور، والجميع يعرفون بحبك لهم».

«يجب أن أزور رعاياي الطيبين في أناكريون، ولكن طبيبي يقول... لا أذكر ما قاله ولكن...». ثم لمعت عيناه الرماديتان العجوزتان بحدة وقال: «هل كنتم تقولون شيئًا عن جيلمر؟».

«لا يا جلالة الإمبراطور».

«لا يجب أن نسمح له بالتقدم أكثر من هذا. فلتعودوا أدراجكم وتخبروا قومكم بأن ترانتور لا يزال صامدًا. أبي يقود الأسطول الآن، وهذا المتمرد الحشرة جيلمر سيتجمد في الفضاء مع رعاعه المهزومين».

ثم جر قدميه إلى أحد المقاعد ونظر بخواء مجددًا وهو يقول: «ما الذي كنت أقوله؟».

اعتدل توران واقفًا وانحنى له قائلًا: «لقد كنت كريمًا معنا يا صاحب الجلالة، ولكن الوقت المخصص لنا لمقابلتك قد انتهى».

لوهلة بدا داجوبيرت التاسع كإمبراطور حقًّا وهو يعتدل واقفًا بظهر منتصب، بينما زواره يتراجعون إلى الوراء واحدًا تلو الآخر عبر الباب...

...حيث تدخل عشرون رجلًا مسلحًا ليضيقوا الخناق حولهم.

ومض سلاح يدوي..

عاد الوعي إلى بايتا ببطء ولكن بدون إحساس «أين أنا؟». تذكرت بوضوح الرجل غريب الأطوار الذي يسمي نفسه الإمبراطور والرجال الآخرين الذين كانوا ينتظرون بالخارج. كان الوخز الملتهب في مفاصل أصابعها يعني مسدسًا صاعقًا.

أبقت عينيها مغلقتين وأصغت السمع بانتباه متألم إلى الأصوات.

كان هناك صوتان، أحدهما كان بطيئًا وحذرًا، مع نوع من الخبث أسفل التذلل الظاهري. الصوت الآخر كان خشنًا وغليظًا، وكادت أن تشعر باللعاب يتناثر من فمه مع كلماته اللزجة. لم تحب بايتا أيًّا منهما.

كان الصوت الغليظ مهيمنًا.

سمعت بايتا الكلمات الأخيرة، «هذا العجوز الخرف سيعيش إلى الأبد. هذا يرهقني ويزعجني يا كوماسون، أنا أتقدم في العمر أيضًا».

«دعنا نرى كيف يمكن أن نستفيد من هؤلاء الأشخاص أولًا سموك، قد يكون لدينا مصادر أخرى للقوة خلاف تلك التي لا يزال يمدنا بها والدك».

تحول الصوت الغليظ إلى تمتمة هامسة، ولم تسمع بايتا سوى كلمة «...الفتاة...»، ولكن الصوت المتزلف الآخر تحول إلى ضحكة خافتة كريهة قبل أن يقول بنبرة متوددة شبه متملقة: «أنت لا تتقدم في العمر يا داجوبيرت، من يقول إنك لست شابًّا في العشرين من عمره كاذب».

ضحكا معًا فتجمدت الدماء في عروق بايتا. داجوبيرت... سموك... لقد تحدث الإمبراطور عن ابن عنيد، وكانت الوساوس تطرق رأسها بلا رحمة. ولكن مثل هذه الأشياء لا تحدث للناس في الحياة الواقعية...

وصل صوت توران إليها في سيل بطيء وقاسٍ من الشتائم.

فتحت عينيها فظهر الارتياح على وجه توران الذي كان ينظر إليها، ثم قال بشراسة: «سوف يحاسبكم الإمبراطور على هذا الفعل الإجرامي. أطلقوا سراحنا».

أدركت بايتا في هذه اللحظة أن معصميها وكاحليها مثبتون إلى الجدار والأرض عن طريق حقل استقطاب محكم.

اقترب صاحب الصوت الغليظ من توران، كان ممتلئ الجسم ذا كرش كبير، وجفناه السفليان أسودان ومنتفخان، وشعره آخذ في الصلع. كان هناك ريشة ملونة في قبعته المدببة، وكانت حواف صدريته مطرزة بقطع معدنية فضية.

قال بسخرية واستمتاع شديد: «الإمبراطور؟ الإمبراطور المسكين المجنون؟».

«لقد حصلت على تصريح منه. ليس من حق أحد رعاياه أن يعتدي على حريتنا».

«ولكني لست أحد رعاياه يا حثالة الفضاء، أنا الوصي على العرش وولي العهد، ويجب عليك أن تخاطبني على هذا النحو. أما بالنسبة لأبي المسكين السخيف فإنه يستمتع بمقابلة الزوار بين الحين والآخر، ونحن نسمح له بهذا، إنه يدغدغ خياله الإمبراطوري، ولكن هذا بالطبع ليس له أي معنى آخر».

ثم وقف أمام بايتا فنظرت إليه بازدراء، قبل أن يميل مقتربًا منها أكثر فكانت أنفاسه بها رائحة نعناع طاغية وهو يقول: «إن عينيها تناسبانها حقًّا يا كوماسون، بل إنها أجمل وعيناها مفتوحتان. أعتقد أنها ستفي بالغرض، سيكون هذا طبقًا استثنائيًّا من أجل ذائقة قد أصابها الملل، أليس كذلك؟».

كان هناك محاولة عديمة الجدوى من توران لتخليص نفسه، تجاهلها ولي العهد، بينما أحسَّت بايتا بقشعريرة باردة تسري في جسدها. كان إبلينج ميس لا يزال فاقدًا الوعي وقد تدلَّت رأسه بضعف على صدره، ولكن بايتا لاحظت في دهشة أن عينيّ ماجنيفيكو مفتوحتان على اتساعهما كأنه قد استيقظ منذ دقائق عديدة. التفتت العينان البنيتان الواسعتان إلى بايتا وحدقتا إليها من الوجه غير متناسق الملامح.

قال بصوت مرتجف وهو يومئ ناحية ولي العهد: «لقد أخذ هذا الرجل محفز العقل الخاص بي».

التفت ولي العهد بحدة إلى الصوت الجديد وقال: «هل هذا ملكك أيها المسخ؟». ثم انتزع الآلة الموسيقية من على كتفه حيث كانت معلقة من حزامها الأخضر دون أن تلاحظها بايتا.

مرر أصابعه عليه بشكل أخرق محاولًا أن يدق على أحد الأوتار، ولكنه لم يحصل على شيء مقابل تعبه، فقال: «هل يمكنك أن تعزف عليه أيها المسخ؟».

أومأ ماجنيفيكو برأسه إيماءة واحدة.

قال توران فجأة: «لقد نهبتم سفينة من سفن القاعدة، إن لم ينتقم الإمبراطور لنا فإن القاعدة ستنتقم».

أجابه الآخر الذي يُدعى كوماسون ببطء: «أي قاعدة؟ أم أن البغل لم يعد له وجود؟».

لم يكن هناك إجابة على هذا السؤال، فابتسم الأمير كاشفًا عن أسنان ضخمة غير مستوية، ثم كُسِر الحقل الذي يقيد المهرج ودُفِع به بخشونة لكي يقف على قدميه، قبل أن يُدفَع بمحفز العقل إلى يده.

قال الأمير: «فلتعزف لنا أيها المسخ، فلتعزف لحنًا من الحب والجمال من أجل سيدتنا الأجنبية هذه. أخبرها أن سجن أبي الريفي ليس قصرًا ولكن يمكنني أن أصطحبها إلى قصر حيث يمكنها أن تسبح في ماء الورد، وأن تعرف ما هو حب الأمير. غنِّ لنا عن حب الأمير أيها المسخ».

وضع إحدى فخذيه الثخينتين على طاولة رخامية وراح يؤرجح ساقه بلا اكتراث، وأحسَّت بايتا بغضب صامت يجتاحها بسبب نظرته المبتسمة السخيفة. شد توران عضلاته للتخلص من الحقل في جهد مؤلم جعله يتصبب عرقًا. بدأ إبلينج ميس يتململ وهو يتأوه.

شهق ماجنيفيكو وقال: «أصابعي متيبسة وعديمة النفع...».

صرخ الأمير: «اعزف أيها المسخ». خفتت الأضواء بإشارة منه إلى كوماسون، وفي الضوء الخافت عقد ذراعيه وانتظر.

مرر ماجنيفيكو أصابعه في قفزات سريعة متناغمة من طرف الآلة متعددة المفاتيح حتى الطرف الآخر، فقفز عبر الغرفة قوس قزح حاد منزلق من الضوء، وتردد صوت نغمة هادئة خافتة باكية، تعالت في ضحك حزين، ومن تحتها تردد صوت قرع مكتوم.

بدا أن الظلمة تتعاظم وتزداد كثافة، فوصلت الموسيقى إلى بايتا عبر ثنايا مكتومة لأغطية خفية، ووصل إليها ضوء متلألئ من الأعماق كأنما شمعة تتوهج في قاع هاوية.

حدَّجت النظر بشكل تلقائي. ازداد الضوء سطوعًا ولكنه ظل مبهمًا، يتحرك بشكل غامض في ألوان مربكة، وصارت الموسيقى فجأة شريرة كقرع النحاس، تتصاعد حتى تصل إلى ذروتها. ومض الضوء على الفور في حركة سريعة مع الإيقاع الشرير. شيء ما يتلوى بداخل الضوء، شيء بقشور معدنية سامة يتلوى ويفغر فاه، وكانت الموسيقى تتلوى وتفغر فاها معه.

كانت بايتا تصارع مع شعور غريب، ثم أدركت أنها تشهق في عقلها. لقد كاد هذا أن يذكرها بذلك الوقت في خزانة الزمن، بالأيام الأخيرة على هاڤِن. لقد كانت تلك الشبكة العنكبوتية اللزجة المتشبثة الفظيعة من الرهبة واليأس، انكمشت أسفلها وهي تضغط عليها.

كانت الموسيقى تتغذى عليها، تضحك بشكل مروع، والرعب المتلوي المتعاظم في دائرة الضوء الصغيرة قد اختفى عندما أدارت وجهها بعيدًا بشكل محموم. كانت جبهتها رطبة وباردة.

انتهت الموسيقى. لا شك أنها قد استمرت خمس عشرة دقيقة، وقد غمر بايتا إحساس بالسرور عند اختفائها. سطع الضوء وكان وجه ماجنيفيكو قريبًا منها، يتصبب عرقًا، حزينًا، بعينين جامحتين.

شهق وقال: «هل أنتِ بخير يا سيدتي؟».

همست قائلة: «بخير بما يكفي، ولكن لم عزفت بهذه الطريقة؟».

لاحظت حالة بقية الموجودين في الغرفة. توران وميس كانا متخدري الأطراف وعاجزين وهما معلقان على الجدار، ولكنها مرت بعينيها عليهما سريعًا. كان هناك الأمير، مستلقيًا ساكنًا على نحو غريب بجوار الطاولة، وكان هناك كوماسون يئن بشكل جامح عبر فم مفتوح يسيل منه اللعاب.

جفل كوماسون وصرخ بجنون عندما خطا ماجنيفيكو ناحيته.

استدار ماجنيفيكو وبقفزة أطلق سراح الآخرين. اعتدل توران واقفًا على الفور، وبقبضتين صارمتين حريصتين أمسك بالإقطاعي من عنقه وقال: «سوف تأتي معنا، نحن نحتاجك لضمان وصولنا إلى سفينتنا».

بعد ساعتين، في مطبخ السفينة، كانت بايتا تقدم فطيرة كبيرة مُعَدَّة منزليًّا، وقد احتفل ماجنيفيكو بعودتهم إلى الفضاء بالهجوم عليها متجاهلًا آداب المائدة.

«لذيذة يا ماجنيفيكو؟».

«امم!».

«ماجنيفيكو؟».

«أجل يا سيدتي».

«ما كان هذا الذي عزفته هناك؟».

انكمش المهرج وقال: «أنا... أنا أفضل ألا أخبرك. لقد تعلمته ذات مرة، فمحفز العقل له تأثير عميق للغاية على الجهاز العصبي. لقد كان شيئًا شريرًا بالتأكيد، ولا يناسب براءتك اللطيفة يا سيدتي».

«أوه، بحقك يا ماجنيفيكو، أنا لست بمثل هذه البراءة، لا تبالغ في الإطراء. هل ما رأيته أنا يُشبه أي شيء رأياه؟».

«آمل أن هذا لم يحدث. لقد عزفته من أجلهما فقط. إن كنتِ قد رأيتِ شيئًا فقد كان الإطار الخارجي فقط... من بعيد».

«وهذا كان كافيًا. هل تعرف أنك أفقدت الأمير الوعي؟».

تحدث ماجنيفيكو بوجوم وهو يمضغ قطعة كبيرة من الفطيرة: «بل قتلته يا سيدتي».

ابتلعت ما في فمها بألم وقالت: «ماذا؟».

«لقد كان ميتًا عندما توقفت عن العزف، وإلا فلم أكن لأتوقف. لم أكن أُبالي بشأن كوماسون، فإن أكبر تهديداته كانت القتل أو التعذيب. ولكن هذا الأمير يا سيدتي كان ينظر إليك بخبث و...». اختنق في مزيج من السخط والإحراج.

أحست بايتا بأفكار غريبة، ولكنها قمعتها بحزم وقالت: «إن لديك روحًا نبيلة يا ماجنيفيكو».

«أوه يا سيدتي». ثم أحنى أنفه الأحمر بداخل فطيرته، ولكنه بشكلٍ ما لم يأكل.

حدق إبلينج ميس خارج النافذة. كان ترانتور قريبًا، وبريقه المعدني يلمع بشكل مخيف. كان توران يقف هناك أيضًا.

قال بمرارة قاتمة: «لقد أتينا من أجل لا شيء يا إبلينج. رجال البغل يسبقوننا».

فرك إبلينج ميس جبهته بيد بدا أنها قد انكمشت عن امتلائها السابق. كان صوته مجرد غمغمة مبهمة.

قال توران بانزعاج: «أنا أقول لك إن هؤلاء الناس يعرفون أن القاعدة قد سقطت. أنا أقول...».

نظر إليه ميس بحيرة وقال: «ماذا؟»، ثم وضع يده برفق على معصم توران غافلًا تمامًا عن المحادثة السابقة، «توران، لقد... لقد كنت أنظر إلى ترانتور. هل تعرف... لدي إحساس غريب... منذ أن وصلنا إلى نيوترانتور. إنه إحساس مُلِحٌّ يواصل دفعي من الداخل. باستطاعتي أن أفعلها يا توران، أنا أعرف أن باستطاعتي أن أفعلها. الأشياء تصير واضحة في عقلي... إنها لم تكن قط بمثل هذا الوضوح».

حدق إليه توران ثم هز كتفيه؛ لم تجلب له الكلمات أي طمأنينة.

قال مترددًا: «ميس؟».

«أجل؟».

«ألم ترَ سفينة تهبط على نيوترانتور بينما نحن نغادر؟».

فكَّر لوهلة ثم قال: «لا».

«أنا رأيتها. ربما أكون قد تخيلت هذا ولكني أعتقد أنها السفينة الفيليّة».

«السفينة التي يوجد على متنها النقيب هان بريتشر؟».

«السفينة التي يعلم الفضاء وحده من يوجد على متنها. ما أخبرنا به ماجنيفيكو... لقد لحقت بنا إلى هنا يا ميس».

لم يقل إبلينج ميس شيئًا.

قال توران بقلق: «هل هناك خطب ما؟ هل أنت بخير؟».

كانت عينا إبلينج ميس لامعتين وغريبتين وغارقتين في الأفكار؛ لم يجب سؤاله.

## الفصل الثالث والعشرون

# أطلال ترانتور

إن تحديد موقع هدف على كوكب عظيم مثل ترانتور يمثل مشكلة لا يوجد مثيل لها في المجرة؛ لا يوجد أي قارات أو محيطات يمكن تحديد موقعها من على بعد آلاف الأميال، لا توجد أنهار أو بحيرات أو جزر يمكن رؤيتها من خلال الفراغات بين السحب.

كان الكوكب المغطى بالمعدن عبارة عن مدينة ضخمة، ووحده القصر الإمبراطوري القديم يمكن أن يتعرف عليه غريب من الفضاء الخارجي بسهولة. دارت السفينة بايتا حول الكوكب عدة مرات بارتفاع سيارة هوائية في بحث شاق. شقوا طريقهم نحو الجنوب بدءً من المناطق القطبية، حيث كان الطلاء الجليدي للأبراج المعدنية دليلًا كئيبًا على انهيار آلات تكييف الطقس أو إهمالها. من آن لآخر كانوا يحاولون وضع ارتباطات ـ أو ارتباطات مفترضة ـ بين ما يرونه وما تُظهره الخريطة القاصرة التي حصلوا عليها في نيوترانتور.

ولكن عندما ظهرت كان من الصعب أن تخطئها العين، الفجوة في غلاف الكوكب المعدني كانت على مساحة خمسين ميلًا، الخضرة غير المعتادة ممتدة على مساحة مئات الأميال المربعة، تحيط بالمساكن الإمبراطورية القديمة بالغة الفخامة.

حلَّقت السفينة بايتا ببطء وهي تضبط وجهتها. لم يكن هناك سوى الطرق الضخمة لترشدهم؛ أسهم طويلة مستقيمة على الخريطة، شرائط لامعة ملساء أسفلهم.

استطاعوا الوصول إلى ما تشير إليه الخريطة على أنه منطقة الجامعة عن طريق التقدير الموضعي، وبدأت السفينة في الهبوط فوق المنطقة المنبسطة التي كانت بلا شك في الماضي حقل هبوط مزدحم. ما إن غرقوا في فوضى المعدن حتى تلاشى الجمال الأملس الذي كان ظاهرًا من الهواء ليحل محله الخراب المحطم المتلوي الذي تُرِك في أعقاب النهب العظيم. الأبراج كانت مبتورة، والجدران الملساء مشوهة وملتوية، ولوهلة كان هناك لمحة من قطعة أرض عارية، ربما تمتد إلى مئات الأفدنة، داكنة ومحروثة.

انتظر لي سينتِر بينما السفينة تهبط بحذر. كانت سفينة غريبة، لم تكن من نيوترانتور، فأخذ نفسًا عميقًا. إن السفن الغريبة والتعاملات المرتبكة مع رجال الفضاء الخارجي قد تعني نهاية أيام السلام القصيرة والعودة إلى زمن الموت والمعارك القديم العظيم. كان سينتِر قائد المجموعة، والكتب القديمة تقع تحت مسؤوليته، وقد قرأ عن تلك الأيام الخوالي؛ لم يكن يرغب في عودتها.

ربما لم يمضِ سوى عشر دقائق بينما السفينة الغريبة تستقر على الأرض المنبسطة، ولكن ذكريات طويلة قد كشفت عن نفسها في ذلك الوقت القصير. لقد كان هناك أولًا المعركة العظيمة في طفولته، التي بقيت في

عقله مجرد حشود من البشر منهمكة في العمل. ثم كانت هناك رحلة العائلات الصغيرة إلى أراضٍ جديدة. كان في العاشرة من عمره حينها؛ طفل وحيد حائر وخائف.

ثم كان هناك المباني الجديدة، لقد نُزعت الألواح المعدنية من جذورها ومزقت، وحُرِثت التربة المكشوفة وُجدِّدت ونُشِّطت، ثم هُدِمت المباني المجاورة وسويت بالأرض، وأخرى أُعيد تحويلها إلى مساكن للمعيشة. كان هناك محاصيل لزراعتها وحصادها، وعلاقات سلمية مع المزارع المجاورة لإقامتها...

كان هناك النمو والتوسع، والحكم الذاتي الهادئ الفعال. ثم كان هناك مجيء الجيل الجديد من الصغار المتمرسين الذين وُلِدوا على التربة. كان هناك اليوم العظيم الذي جرى فيه اختياره ليكون قائد المجموعة، ولأول مرة منذ عيد ميلاده الثامن عشر لم يحلق ذقنه ورأى أول شعيرات من مظهر لحية القائد الخاص به.

والآن قد تتدخل المجرة وتضع نهاية للعزلة المسالمة القصيرة...

هبطت السفينة، ثم شاهد الباب وهو ينفتح دون أن ينطق بكلمة. خرج منه أربعة أشخاص حذرين ومترقبين. كان هناك ثلاثة رجال متباينون؛ ما بين عجوز وشاب، وما بين نحيف وذي أنف كبير، وامرأة تخطو بجوارهم على قدم المساواة. تركت يده خصلتي لحيته السوداوين اللامعتين وهو يخطو إلى الأمام.

أشار لهم بإشارة السلام الكونية؛ كلتا يديه أمامه، وراحتاه الجافتان الخشنتان مرفوعتان لأعلى.

اقترب الشاب منه خطوتين وبادله نفس الإشارة قائلًا: «لقد جئت في سلام».

كانت اللهجة غريبة ولكن الكلمات كانت مفهومة وموضع ترحاب، فأجاب قائلًا بنبرة عميقة: «فليكن سلامًا إذن. مرحبًا بكم في ضيافة المجموعة، إن كنتم جوعى ستأكلون، وإن كنتم عطشى ستشربون».

جاء الرد ببطء: «نحن نشكرك على كرمك، وسنحمل تقريرًا جيدًا عن مجموعتك عندما نعود إلى كوكبنا».

إجابة غريبة، ولكن لا بأس بها. من ورائه كان رجال المجموعة يبتسمون، ومن خبايا المباني المحيطة خرجت النساء.

في مسكنه أخرج من مخبئه الصندوق المغلق المغطى بالمرايا وقدَّم لكل واحد من ضيوفه سيجارًا طويلًا ممتلئًا من السجائر التي يحتفظ بها من أجل المناسبات العظيمة. تردد عندما وصل إلى المرأة؛ كانت تجلس بين الرجال، ومن الواضح أن الغرباء يسمحون لها بمثل هذه الوقاحة، بل وحتى يتوقعون هذا. قدم إليها الصندوق على مضض.

■ تم نشر هذا الكتاب من خلال قناة رف 404 | للمزيد من الكتب تفضلوا بزيارة قناتنا على تيليجرام ■ Rff404

قبلت واحدًا بابتسامة وجذبت دخانه العطري بكل الاستمتاع الذي يمكن للمرء أن يتوقعه. قمع سينتِر إحساسًا بالخزي.

المحادثة الروتينية التي سبقت وجبة الطعام تطرقت بأدب إلى موضوع الزراعة على ترانتور.

كان الرجل العجوز هو من سأل: «ماذا عن الزراعة المائية؟ بالنسبة لكوكب مثل ترانتور فإن الزراعة المائية ستكون هي الحل بلا شك».

هزَّ سينترِ رأسه ببطء، كان يشعر بعدم اليقين، إن معرفته كانت تقتصر على الأمر غير المألوف المتعلق بقراءته للكتب. «الزراعة الصناعية في المواد الكيميائية حسبما أعتقد؟ لا، ليس على ترانتور. هذه الزراعة المائية تتطلب كوكبًا صناعيًّا، صناعة كيميائية عظيمة على سبيل المثال. وعندما تنهار الصناعة في الحروب أو الكوارث يتضور الناس جوعًا. ولا يمكن زراعة جميع الأطعمة بشكل صناعي، بعضها يفقد قيمته الغذائية. التربة أقل تكلفة ومع ذلك فهي أفضل، ويمكن دومًا الاعتماد عليها».

«ومواردكم الغذائية كافية؟».

«كافية، وربما رتيبة. لدينا طيور تزودنا بالبيض، ومدرات اللبن من أجل منتجات الألبان، ولكن إمدادنا من اللحوم يعتمد على تجارتنا الخارجية».

بدا على الشاب اهتمام مفاجئ وهو يقول: «تجارة؟ أنتم تتاجرون إذن، ولكن ما الذي تصدرونه؟».

كان الجواب مقتضبًا: «المعدن. انظر بنفسك، لدينا مخزون لا نهائي جاهز بالفعل. إنهم يأتون من نيوترانتور بالسفن ليدمروا جزءً محددًا ـ مما يؤدي إلى زيادة رقعتنا الزراعية ـ ويتركوا لنا في المقابل اللحوم والفواكه المعلبة ومركزات الطعام والآلات الزراعية وما إلى ذلك. يحملون هم المعدن ويحقق كلا الجانبين ربحًا».

تناولوا خبزًا وجبنًا وخضروات مطهوة كانت لذيذة إلى حد كبير. أثناء تناول حلوى الفواكه المجمدة ـ العنصر الوحيد المستورد في قائمة الطعام ـ صار الغرباء لأول مرة أكثر من مجرد ضيوف. أخرج الشاب خريطة لترانتور.

تفحَّصها لي سينترِ بهدوء وهو يُصغي السمع ثم قال بجدية: «إن أراضي الجامعة منطقة ثابتة. نحن المزارعون لا نزرع فيها محاصيلنا، بل ونحن نفضل أيضًا ألا ندخلها، إنها واحدة من آثارنا القليلة الشاهدة على زمن آخر، ولا نسمح بالاعتداء عليها».

قال العجوز بلهفة وبشكل محموم: «نحن باحثون عن المعرفة، لن نعتدي على شيء، ستكون سفينتنا رهينة لديكم».

قال سينترِ: «يمكنني أن آخذكم إلى هناك إذن».

في هذه الليلة نام الغرباء، وفي هذه الليلة أرسل لي سينترِ رسالة إلى نيوترانتور.

## الفصل الرابع والعشرون

# التجنيد

انحسرت الحياة الرقيقة على ترانتور إلى لا شيء عندما دلفوا بين المباني الشاسعة في أراضي الجامعة؛ كان هناك صمت مهيب ووحيد يخيم عليها.

لم يكن الغرباء من القاعدة يعرفون شيئًا عن أيام وليالي النهب العظيم المتلاحقة الدامية، التي تركت الجامعة دون أن يمسها أذى. لم يكونوا يعرفون شيئًا عن الوقت الذي تلى انهيار السلطة الإمبراطورية عندما شكَّل الطلاب ـ بأسلحتهم المستعارة ووجوههم الشاحبة وشجاعتهم غير المتمرسة ـ جيشًا دفاعيًّا متطوعًا لحماية قبلة العلوم في المجرة. لم يكونوا يعرفون شيئًا عن معركة الأيام السبعة والهدنة التي أبقت الجامعة حرة، بينما القصر الإمبراطوري نفسه قد وطأته أحذية جيلمر وجنوده أثناء فترة حكمهم القصيرة.

لم يدرك هؤلاء القادمون من القاعدة لأول مرة سوى أنهم في عالم ينتقل من قديم مدمر إلى جديد يتطلب مشقة، وأن هذه المنطقة عبارة عن قطعة أثرية هادئة وجميلة تدل على عظمة قديمة.

لقد كانوا دخلاء بشكل ما، الفراغ الكئيب يرفضهم، وبدا أن الجو الأكاديمي لا يزال حيًّا ويتململ في غضب بسبب تعكير صفوه.

كانت المكتبة عبارة عن مبنى صغير بشكل مخادع يمتد على اتساع كبير أسفل الأرض إلى مساحة هائلة من الصمت والتأمل. توقَّف إبلينج ميس أمام اللوحات الجدارية المتقنة في غرفة الاستقبال.

قال هامسًا، فالمرء عليه أن يهمس في مكان كهذا: «أعتقد أننا قد تجاوزنا غرف الفهارس وراءنا. سأذهب إلى هناك».

كانت جبهته تتصبب عرقًا ويده ترتجف وهو يقول: «لا يجب أن يزعجني أحد يا توران. هل ستجلب وجبات الطعام إليَّ بالأسفل؟».

«سأفعل كل ما تريد، سنفعل ما في وسعنا لمساعدتك. هل ترغب في أن نعمل تحت إمرتك...».

«لا، يجب أن أكون وحدي».

«هل تعتقد أنك ستحصل على ما تريده؟».

فأجابه إبلينج ميس بثقة وهدوء: «أنا واثق من هذا».

استطاع توران وبايتا تهيئة المكان للمعيشة والتدبير المنزلي بطريقة أكثر سلاسة من أي وقت مضى في حياتهما الزوجية. لقد كان نوعًا غريبًا من التدبير المنزلي؛ فقد كانوا يعيشون في مكان عظيم، ببساطة غير لائقة، يحصلون على طعامهم بشكل أساسي من مزرعة لي سينتِر، ويدفعون ثمنه عن طريق الأدوات النووية الصغيرة التي توجد في أي سفينة تجارية كسفينتهم.

علّم ماجنيفيكو نفسه كيفية استخدام أجهزة العرض في غرفة القراءة بالمكتبة، وجلس مستغرقًا في روايات المغامرة والرومانسية، حتى أنه كان ينسى موعد الوجبات والنوم، تمامًا مثل إبلينج ميس.

إبلينج نفسه كان منهمكًا في العمل بالكامل. لقد أصر على وضع فراش معلق من أجله في غرفة المراجع النفسية. صار وجهه نحيفًا وشاحبًا، وفقد حيويته في الحديث وماتت لعناته المفضلة موتًا بطيئًا. كان هناك أوقات يبدو عليه فيها أنه يبذل مجهودًا ليتعرف على توران أو بايتا.

كان يجد نفسه أكثر مع ماجنيفيكو، الذي يجلب له وجباته، وغالبًا ما يجلس ليراقبه لساعات في المرة الواحدة في استغراق منبهر غريب، بينما العالم النفسي العجوز ينسخ معادلات لا نهاية لها، ويحيل المراجع إلى عدد لا نهاية له من الكتب المرئية، ويندفع بلا نهاية في مجهود عقلي جامح نحو هدف لا يراه أحد سواه.

جاء توران إلى بايتا في الغرفة المظلمة وقال بحدة: «بايتا!».

قالت بايتا بنبرة تشي بالإحساس بالذنب: «أجل، هل تريدني يا توري؟».

«بالتأكيد أريدك، لمَ تجلسين هنا بحق الفضاء؟ أنتِ تتصرفين بغرابة منذ أن وصلنا إلى ترانتور. ما خطبك؟».

قالت بضجر: «أوه، كف عن هذا يا توري».

قلدها في نفاد صبر قائلًا: «أوه، كف عن هذا يا توري». ثم قال برقة مفاجئة: «ألن تخبريني ما الخطب يا باي؟ هناك شيء يزعجك».

«لا، لا يوجد شيء يزعجني يا توري. إن واصلت الإلحاح باستمرار فسوف تصيبني بالجنون. أنا فقط... أفكر».

«تفكرين في ماذا؟».

«لا أفكر في شيء معين. حسنًا أفكر في البغل وهاڤِن والقاعدة وكل شيء؛ أفكر في إبلينج ميس وعما إن كان سيجد أي شيء عن القاعدة الثانية، وعما إن كان هذا سيساعدنا إن وجده... ومليون شيء آخر. هل أنت راضٍ؟». كان صوتها منفعلًا.

«إن كنتِ لا تفعلين شيئًا سوى التفكير، فهلا كففتِ عنه رجاءً؟ إنه ليس أمرًا سارًّا ولن يساعد على تحسين الوضع الراهن».

اعتدلت بايتا واقفة على قدميها وقالت بضعف: «حسنًا، أنا سعيدة، انظر، أنا مبتسمة ومرحة».

جاء صوت ماجنيفيكو وهو يصيح بانفعال من الخارج: «سيدتي...».

«ما الأمر؟ تعالَ...».

اختنق صوت بايتا بحدة عندما ظهر عند الباب الرجل الضخم ذو الوجه الصارم...

صاح توران: «بريتشر».

شهقت بايتا وقالت: «كيف عثرت علينا أيها النقيب؟».

خطا هان بريتشر إلى الداخل، كان صوته واضحًا ورتيبًا، وخاليًا تمامًا من المشاعر: «إن رتبتي هي عقيد الآن، تحت قيادة البغل».

«تحت قيادة... البغل!».

خفت صوت توران حتى تلاشى تمامًا، فشَكَّل ثلاثتهم هناك لوحة صامتة.

حدَّق ماجنيفيكو بجموح وقد انكمش وراء توران. لم يكلف أحدهم نفسه عناء الالتفات إليه.

قالت بايتا ويداها ترتجفان وتقبض إحداهما على الأخرى: «هل أنت هنا لإلقاء القبض علينا؟ هل انضممت إليهم حقًّا؟».

أجابها العقيد على الفور: «لم آتِ لاعتقالكم، إن التعليمات الموجهة إليَّ لم تشِر إليكم. أنا حر فيما أفعله معكم، وأنا أختار الاستمرار في صداقتنا القديمة، إن سمحتم لي بهذا».

تلوى وجه توران وهو يحاول أن يكبح جماح غضبه بينما يقول: «كيف استطعت العثور علينا؟ هل كنت في السفينة الفيليّة إذن؟ هل كنت تلاحقنا؟».

أظهر وجه بريتشر الخشبي الخالي من المشاعر بريقًا من الخجل وهو يقول: «لقد كنت بالفعل على متن السفينة الفيليّة! لقد التقيت بكم في المقام الأول... حسنًا... عن طريق المصادفة».

«إنها مصادفة مستحيلة رياضيًّا».

«ليست مستحيلة، بل بالأحرى غير محتملة، لذا فما قلته لكم يظل ممكنًا. على أي حال لقد اعترفتم لرجال فيليا ـ بالطبع لا يوجد هناك أمة تُدعى فيليا في الواقع ـ أنكم متجهون إلى قطاع ترانتور. وبما أن البغل لديه بالفعل اتصالات مع نيوترانتور فقد كان من السهل احتجازكم هناك. لقد هربتم ـ لسوء الحظ ـ قبل وصولي، ولكن ليس قبله بوقت طويل. لقد كان لدي الوقت لكي أُصدر أمرًا للمزارعين على ترانتور بالإبلاغ عن وصولكم. هذا ما حدث وها أنا ذا. هل يمكنني أن أجلس؟ لقد جئت بشكل ودي صدقوني».

ثم جلس فأطرق توران برأسه وهو يفكر بلا جدوى، بينما بايتا تعد الشاي بتبلد خالٍ من المشاعر.

رفع توران نظره بحدة وقال: «حسنًا، ما الذي تنتظره يا... سيادة العقيد؟ ما هي صداقتك؟ إن لم تكن الاعتقال فما هي إذن؟ الحبس الاحتياطي؟ فلتنادِ على رجالك وتصدر أوامرك».

هزَّ بريتشر رأسه بصبر وقال: «لا يا توران، لقد جئت بمحض إرادتي للحديث معكم، لإقناعكم بعدم جدوى ما تفعلونه، وإن فشلت فسوف أغادر، هذا كل شيء».

«هذا كل شيء؟ حسنًا إذن، فلتقدم حملتك الدعائية، ألقِ علينا خطبتك، ثم ارحل. أنا لا أريد شيئًا يا بايتا».

قَبِل بريتشر الكوب بكلمة شكر متحفظة، ثم نظر إلى توران بقوة واضحة وهو يرتشف الشاي بخفة قبل أن يقول: «البغل متحول جينيًّا، لا يمكن هزيمته بسبب طبيعة طفرته الجينية».

سأله توران بسخرية مريرة: «لماذا؟ ما هي طفرته الجينية؟ أفترض أنك ستخبرنا الآن أليس كذلك؟».

«بلى، سأخبركما، فمعرفتكما بهذا لن تضره. إنه قادر كما ترى على تعديل التوازن الشعوري للبشر. يبدو الأمر وكأنها خدعة صغيرة، ولكن لا يمكن التغلب عليها إطلاقًا».

تدخلت بايتا قائلة: «التوازن الشعوري؟». ثم عقدت حاجبيها وقالت: «ألن تشرح لنا؟ أنا لا أفهم حقًّا».

«أعني أنه من السهل عليه أن يغرس في جنرال بارع شعور الولاء المطلق للبغل والإيمان المطلق بانتصار البغل. إنه يسيطر على جنرالاته تمامًا بشكل شعوري؛ لا يمكن أن يخونوه، ولا يمكن إغواؤهم، وهذه السيطرة دائمة. إن أكثر أعدائه براعة يصبحون أكثر تابعيه ولاءً. لقد سلم له أمير حرب كالجان الكوكب وصار واليه على القاعدة».

أضافت بايتا بمرارة: «وأنت خنت قضيتك وصرت مبعوث البغل إلى ترانتور. لقد فهمت!».

«أنا لم أُنهِ حديثي. إن موهبة البغل تعمل في الاتجاه المعاكس بشكل أكثر فاعلية، فاليأس شعور! في اللحظة الحاسمة أحس الرجال المهمون في القاعدة ـ والرجال المهمون في هاڤِن ـ باليأس، فسقطت كواكبهم بدون مقاومة كبيرة».

سألته بايتا في توتر: «هل تريد أن تقول إن ذلك الشعور الذي راودني في خزانة الزمن كان بسبب تلاعب البغل بمشاعري؟».

«ومشاعري أيضًا، ومشاعر الجميع. كيف كان الوضع في هاڤِن قرب النهاية؟».

أشاحت بايتا بوجهها بعيدًا.

أكمل العقيد بريتشر حديثه بإخلاص: «وهذا الأمر ينجح في مواجهة الكواكب كما ينجح في مواجهة الأشخاص. هل يمكنك أن تحارب قوة يمكنها أن تجعلك تستسلم بإرادتك متى شاءت، ويمكنها أن تجعلك خادمًا مخلصًا متى شاءت؟».

قال توران ببطء: «كيف يمكنني أن أعرف أن هذه هي الحقيقة؟».

«هل يمكنك تفسير سقوط القاعدة وسقوط هاڤِن بطريقة أخرى؟ هل يمكنك أن تفسر... تجنيدي بطريقة أخرى؟ فكر يا رجل! ما الذي أنجزته أنت أو أنا أو المجرة بأسرها في مواجهة البغل طيلة هذا الوقت؟ هل أنجزنا ولو شيئًا واحدًا صغيرًا؟».

أحس توران بالتحدي فصاح بلمسة مفاجئة من الرضا العنيف: «بحق المجرة، أنا أستطيع! إن بغلك الرائع كان لديه اتصالات مع أشخاص في نيوترانتور تقول أنت إنه كان عليهم احتجازنا، أليس كذلك؟ هؤلاء الأشخاص ميتون أو ما هو أسوأ، فقد قتلنا ولي العهد وتركنا الآخر مخبولًا متشنجًا من الخوف. البغل لم يستطع أن يوقفنا هناك، وهذا يعني أننا أفسدنا خطته في هذا الشأن».

«بالطبع لا، على الإطلاق. هذان لم يكونا رجلينا؛ ولي العهد كان سكيرًا ومتوسط الذكاء، والرجل الآخر ـ كوماسون ـ غبي بدرجة لا تصدق؛ فهو يمثل قوة في كوكبه ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون خبيثًا وشريرًا

وغير كفء تمامًا. ليس لنا علاقة بهما على الإطلاق، بل كانا بشكل ما مجرد تمويه...».

«لقد كانا هما من احتجزانا، أو بالأحرى حاولا».

«مجددًا، لا؛ فكوماسون لديه عبد شخصي، رجل يُدعى إنشني، كان هو وراء احتجازكم. إنه عجوز ولكنه سيفي بالغرض مؤقتًا. ما كنت لتقدر على قتله كما ترى».

بايتا التي لم تلمس شايها قالت بغضب: «ولكن مشاعرك قد تعرضت للتلاعب كما قلت بنفسك، إن لديك ولاءً للبغل وإيمانًا به، ولاء مَرَضي غير طبيعي للبغل. ما قيمة آرائك الخاصة؟ لقد فقدت كل قدرة على التفكير الموضوعي».

قال العقيد وهو يهز رأسه ببطء: «أنتِ مخطئة، مشاعري فقط هي ما تم التلاعب به، أما منطقي العقلاني فهو كما كان دومًا، قد يتأثر في اتجاه معين بسبب مشاعري المُكَيَّفة، ولكنه لم يُفرَض عليَّ. وهناك بعض الأشياء التي يمكنني أن أراها الآن بوضوح أكثر بعد أن تحررت من نزعتي الشعورية السابقة.

يمكنني أن أرى أن مخطط البغل ذكي ويستحق التقدير. في الوقت الذي جرى فيه... تجنيدي، كنت أتابع مسيرته منذ بدايتها قبل سبعة أعوام. باستخدام قدرته العقلية الناتجة عن طفرة جينية استطاع الانتصار على زعيم عصابة وعصابته، وبهذا ـ بالإضافة إلى قدرته ـ استطاع الانتصار على كوكب، وبهذا ـ بالإضافة إلى قدرته ـ مد قبضته حتى استطاع إسقاط أمير حرب كالجان. كل خطوة كانت تتبع الأخرى بشكل منطقي. بوجود كالجان في جيبه صار لديه أسطول من الطراز الأول، وبهذا ـ بالإضافة إلى قدرته ـ استطاع الهجوم على القاعدة.

القاعدة هي المفتاح، فهي أعظم منطقة من التركيز الصناعي في المجرة، والآن وقد صارت تقنيات القاعدة النووية بين يديه فهو السيد الفعلي للمجرة. بهذه التقنيات ـ بالإضافة إلى قدرته ـ يمكنه أن يُجبر بقايا الإمبراطورية على الاعتراف بحكمه، وفي نهاية المطاف مع موت الإمبراطور العجوز ـ وهو مجنون ولن يعيش طويلًا في هذا العالم ـ سيُتوج نفسه إمبراطورًا. وحينها سيكون إمبراطورًا اسمًا وحقيقة. وبهذا ـ بالإضافة إلى قدرته ـ فأي كوكب في المجرة يمكن أن يُعارضه؟

في هذه الأعوام السبعة الأخيرة استطاع تأسيس إمبراطورية جديدة. وفي سبعة أعوام ـ بعبارة أُخرى ـ سيُنجز كل ما لا يقدر علم التاريخ النفسي الخاص بسيلدون على تحقيقه في أقل من سبعمئة عام أخرى. سوف تنعم المجرة بالسلام والنظام أخيرًا.

وأنتم لا تقدرون على إيقافه أكثر من قدرتكم على إيقاف كوكب مندفع بأكتافكم».

تلى خطبة بريتشر صمت طويل، ما تبقى من شايه قد صار باردًا، فأفرغ الكوب وملأه مجددًا، ثم راح يرتشفه ببطء.

كان توران يعض ظفر إبهامه بعنف، أما بايتا فكان وجهها جامدًا وشاردًا وشاحبًا.

ثم قالت بايتا بصوت ضعيف: «نحن لم نقتنع. إن كان البغل يرغب في أن يقنعنا فدعه يأتي إلى هنا ويعدل مشاعرنا بنفسه. أتخيل أنك قد قاومته حتى اللحظة الأخيرة من تجنيدك، أليس كذلك؟».

قال العقيد بريتشر بجدية: «لقد فعلت».

«إذن فلتمنحنا نفس الشرف».

اعتدل العقيد بريتشر واقفًا وقال بنبرة حاسمة: «إذن فسأغادر، إن مهمتي كما قلت سابقًا لا تتعلق بكما بأي وجه من الوجوه، لذا لا أعتقد أنه سيكون من الضروري الإبلاغ عن وجودكما هنا. هذا ليس كرمًا عظيمًا، فإن كان البغل راغبًا في الإمساك بكما فلا شك أن لديه رجالًا آخرين مكلفين بهذه المهمة، وسوف يمسكون بكما. ولكني لن أسهم في هذا الأمر بأكثر مما هو مطلوب مني، بغض النظر عن قيمة هذا بالنسبة لكما».

قالت بايتا بضعف: «شكرًا لك».

«أما بالنسبة لماجنيفيكو، أين هو؟ تعالَ يا ماجنيفيكو، أنا لن أؤذيك».

سألته بايتا بانفعال مفاجئ: «ما شأنك به؟».

«لا شيء إن تعليماتي لم تُشر إليه أيضًا، لقد سمعت أنهم يبحثون عنه، ولكن البغل سيجده عندما يرى أن الوقت مناسب. لن أقول أكثر من هذا. هل نتصافح؟».

هزت بايتا رأسها بينما توران يحدق إليه بازدراء وخيبة أمل.

أطرق العقيد بكتفيه العظيمتين في يأس بحركة لا تكاد تكون ملحوظة، ثم خطا ناحية الباب قبل أن يلتفت ويقول: «شيء واحد أخير؛ لا تظنا أنني لا أُدرك مصدر عنادكما، من المعروف أنكما تبحثان عن القاعدة الثانية. البغل سوف يتخذ الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب. لا شيء سيساعدكما... ولكني قد عرفتكما في أوقات أخرى، ربما هناك شيء في ضميري قد حثني على فعل هذا، على أي حال لقد حاولت أن أساعدكما وأن أنتشلكما من هذا الخطر الأخير قبل أن يفوت الأوان. وداعًا».

أشار بيده لتحيتهما بحدة ثم انصرف.

التفتت بايتا إلى توران الصامت وهمست: «إنهم يعرفون حتى بشأن القاعدة الثانية».

في ثنايا المكتبة كان إبلينج ميس غافلًا عن كل هذا وهو رابض أسفل شرارة ضوء وسط المساحات المظلمة وهو يتمتم بانتصار لنفسه.

## الفصل الخامس والعشرون

# موت عالم نفسي

بعد هذا لم يتبقَّ سوى أسبوعين في حياة إبلينج ميس.

وفي هذين الأسبوعين كانت بايتا معه ثلاث مرات. المرة الأولى كانت في الليلة التي تلت الأمسية التي رأوا فيها العقيد بريتشر. الثانية كانت بعد أسبوع، والثالثة كانت أيضًا بعد أسبوع، في اليوم الأخير، اليوم الذي مات فيه ميس. أولًا كان هناك ليلة أمسية العقيد بريتشر، التي قضى فيها الزوجان الساعة الأولى في التفكير الكئيب والتأمل.

قالت بايتا: «دعنا نخبر إبلينج يا توري».

قال توران بوجوم: «تعتقدين أن باستطاعته المساعدة؟».

«نحن اثنان فقط، علينا أن نزيح بعض العبء عن صدرينا، وربما باستطاعته المساعدة».

قال توران: «لقد تغير، فقد وزنه وازداد نحافة. أحيانًا ما أفكر أنه لن يستطيع مساعدتنا كثيرًا... لن يستطيع مساعدتنا إطلاقًا. أحيانًا أفكر أنه لا يوجد أي شيء سيساعدنا».

قالت بايتا بصوت مختنق: «لا تقل هذا يا توري! لا تقل هذا! عندما تقول هذا يُخيَّل إليَّ أن البغل قد نال منا. دعنا نخبر إبلينج يا توري... الآن!».

رفع إبلينج ميس رأسه من فوق مكتبه الطويل، ونظر إليهما بعينين غائمتين وهما يقتربان منه، كان شعره الخفيف أشعث والنعاس باديًا على وجهه.

قال: «ماذا؟ هل هناك أحد يريدني؟».

ثنت بايتا ركبتيها وقالت: «هل أيقظناك؟ هل يجب أن نغادر؟».

«نغادر؟ من هذا؟ بايتا؟ لا، لا، فلتبقي! ألا يوجد هناك كراسي، لقد رأيتهم...». كان يشير بإصبعه بشكل مبهم.

جذب توران كرسيين، فجلست بايتا على أحدهما وأمسكت بيد العالم النفسي الضعيفة بين يديها وقالت: «هل يمكن أن نتحدث معك يا دكتور؟». نادرًا ما كانت تستخدم هذا اللقب.

«هل هناك خطب ما؟»، عاد القليل من البريق إلى عينيه الذاهلتين واستعادت وجنتاه الشاحبتان بعض اللون، «هل هناك خطب ما؟».

قالت بايتا: «النقيب بريتشر كان هنا. دعني أتحدث يا توري. هل تذكر النقيب بريتشر يا دكتور؟».

قرص شفتيه بإصبعيه ثم تركهما وقال: «أجل... أجل... رجل طويل، ديموقراطي».

«أجل هو، لقد اكتشف طبيعة طفرة البغل الجينية، لقد كان هنا يا دكتور وأخبرني بهذا».

«ولكن هذا ليس شيئًا جديدًا، إن طفرة البغل الجينية أمر معروف». ثم قال بدهشة صادقة: «ألم أخبركما؟ هل نسيت أن أخبركما؟».

قال توران على الفور: «نسيت أن تخبرنا بماذا؟».

«عن طفرة البغل الجينية بالطبع؛ إنه يتلاعب بالمشاعر، تحكم شعوري! ألم أخبركما؟ الآن ما الذي جعلني أنسى؟»، ثم عض على شفته السفلى ببطء مفكرًا.

ثم ببطء تسللت الحياة عائدة إلى صوته، ورفع جفنيه عاليًا، كما لو أن عقله الخامل قد انزلق عبر مسار منحدر مغطى بالزيت. كان يتحدث كأنه في حلم، وهو ينظر ما بين الاثنين المنصتين له بدلًا من أن ينظر إليهما. «الأمر بسيط حقًّا ولا يتطلب أي معرفة متخصصة. في رياضيات علم التاريخ النفسي ينجح الأمر على الفور بالطبع، في معادلة من المستوى الثالث لا تتضمن أكثر من... دعكما من هذا، يمكن وصف الأمر بشكل تقريبي بكلمات عادية وجعله منطقيًّا، وهو أمر غير معتاد مع الظواهر التاريخية النفسية.

اسألا نفسيكما، ما الذي يمكن أن يُفشِل مخطط هاري سيلدون التاريخي الدقيق، ها؟»، كان ينقل نظره بينهما في تساؤل قلق طفيف، «ما هي افتراضات سيلدون الأصلية؟ أولًا أنه لن يكون هناك أي تغير جوهري في المجتمع البشري خلال الألف سنة القادمة.

على سبيل المثال فلنفترض أن تغير جوهري قد حدث في تكنولوجيا المجرة، مثل اكتشاف مبدأ جديد لاستغلال الطاقة، أو اتقان دراسة علم الأحياء العصبية الإلكترونية، هذه التغيرات الاجتماعية ستجعل معادلات سيلدون عديمة الجدوى، ولكن هذا لم يحدث أليس كذلك؟

أو فلنفترض أن قوى خارج القاعدة قد ابتكرت سلاحًا جديدًا قادرًا على الصمود في وجه جميع أسلحة القاعدة، هذا قد يؤدي إلى انحراف مدمر رغم أن هذا أقل يقينًا، ولكن هذا لم يحدث، إن حقل التثبيط النووي الخاص بالبغل هو سلاح غير متقن ويمكن مواجهته، وكان هذا هو الشيء الحديث الوحيد الذي يقدمه بغض النظر عن قلة كفاءته.

ولكن هناك افتراضًا آخر غير مباشر! لقد افترض سيلدون أن رد الفعل البشري للمحفزات العقلية سيظل ثابتًا. بما أن الافتراض الأول ظل صحيحًا بشكل قطعي إذن فلا شك أن الافتراض الثاني قد انهار! لا شك أن هناك عاملًا ما قد أدى إلى تحريف وتشويه الاستجابات الشعورية للبشر، وإلا فلم يكن سيلدون ليفشل، ولم تكن القاعدة لتسقط. وأي عامل هذا سوى البغل؟

هل أنا محق؟ هل هناك خلل في هذا الاستدلال المنطقي؟».

ربتت بايتا على يده بيدها الممتلئة وقالت: «لا يوجد أي خلل يا إبلينج».

ابتهج ميس ابتهاجًا طفوليًّا وقال: «إن هذه الأفكار وأكثر منها تراودني بسهولة. أقول لكما إنني أحيانًا أتساءل عما يدور بداخلي، يبدو لي أنني أتذكر وقتًا كان فيه الكثير من الأمور الغامضة بالنسبة لي، والآن صارت الأمور واضحة للغاية؛ لقد اختفت المشكلات. لقد واجهني ما يبدو أنه مشكلة، وبشكل ما بداخلي

صرت أرى وأفهم، ويبدو أن نظرياتي وتخميناتي دومًا ما يثبت صحتها. هناك دافع بداخلي... يحثني دومًا على المضي قدمًا، لذا لا يمكنني أن أتوقف... ولا أريد أن آكل أو أنام... ولكن أن أمضي قدمًا دومًا... وأمضي... وأمضي...».

كان صوته هامسًا، ويده الذابلة ذات العروق الزرقاء البارزة مسترخية وهي ترتجف على جبهته، كان هناك جنون في عينيه يذهب ويجيء.

قال بصوت أكثر هدوءً: «إذن فأنا لم أخبركما قط عن طفرة البغل الجينية، أليس كذلك؟ ولكن إذن... هل قلتما إنكما تعرفان بشأنها؟».

قالت بايتا: «لقد كان النقيب بريتشر يا إبلينج، هل تذكر؟».

قال بمسحة غضب في صوته: «هو من أخبركما؟ كيف عرف هذا؟».

«لقد عدل البغل مشاعره. إنه عقيد الآن، رجل من رجال البغل. لقد أتى لينصحنا بأن نستسلم للبغل، وأخبرنا... بما أخبرتنا به».

«إذن فالبغل يعرف أننا هنا؟ يجب أن أُسرع، أين ماجنيفيكو؟ أليس معكما؟».

قال توران في نفاد صبر: «ماجنيفيكو نائم، لقد تجاوز الوقت منتصف الليل».

«حقًّا؟ إذن... هل كنتُ نائمًا عندما جئتما؟».

قالت بايتا بحزم: «أجل كنتَ نائمًا، ولن تعود إلى العمل أيضًا، يجب عليك أن تذهب إلى فراشك. تعالَ يا توران ساعدني، وأنت توقف عن دفعي يا إبلينج، فمن حسن حظك أنني لن أدفعك للاستحمام أولًا. انتزع حذاءه يا توري، وغدًا سنهبط إلى هنا ونجره إلى الهواء الطلق بالخارج، قبل أن يتلاشى تمامًا. انظر إلى نفسك يا إبلينج، ستنمو عليك شباك العنكبوت. هل أنت جائع؟».

هز إبلينج ميس رأسه ثم نظر إليهما من فوق فراشه في حيرة وعناد متمتمًا: «أريدكما أن تُرسلا ماجنيفيكو إليَّ بالأسفل هنا غدًا».

دثَّرته بايتا بالغطاء وطوته حول عنقه قبل أن تقول: «سوف أهبط إليك أنا في الغد، مع ملابس نظيفة. سيكون عليك أن تأخذ حمامًا جيدًا، وبعدها ستخرج وتزور المزرعة وتعرض نفسك للقليل من أشعة الشمس».

قال ميس بضعف: «لن أفعل هذا، هل تسمعينني؟ أنا منشغل للغاية».

كان شعره الخفيف متناثرًا على الوسادة كأهداب فضية تحيط برأسه. همس بصوت يتسم بالسرية: «أنتما تريدان تلك القاعدة الثانية، أليس كذلك؟».

التفت إليه توران على الفور وربض بجوار فراشه قائلًا: «ماذا بشأن القاعدة الثانية يا إبلينج؟».

أخرج العالم النفسي ذراعه من أسفل الغطاء وتشبَّثت أصابعه الضعيفة بكُمِّ توران قائلًا: «لقد وُضِع أساس القاعدتين في مؤتمر نفسي كبير برئاسة هاري سيلدون. لقد استطعت الحصول على الدقائق المنشورة

من هذا المؤتمر؛ خمسة وعشرين فيلمًا ثريًّا. لقد تفحَّصت بالفعل العديد من الملخصات».

«وماذا بعد؟».

« هل تعرف أنه كان من السهل للغاية تحديد الموقع الدقيق للقاعدة الأولى من خلالها، هذا إن كنت تعرف أي شيء على الإطلاق عن علم التاريخ النفسي. من السهل تحديد الإشارات المتكررة إليها إن كنت تفهم المعادلات. ولكن يا توران لم يذكر أحد القاعدة الثانية، لم يكن هناك أي إشارة إليها في أي مكان».

عقد توران حاجبيه متجهمًا وقال: «أهي غير موجودة إذن؟».

صاح ميس في غضب: «إنها موجودة بالطبع، من قال إنها غير موجودة؟ ولكن هناك حديثًا أقل عنها. إن أهميتها ـ وكل ما يتعلق بها ـ مخفية جيدًا، محجوبة جيدًا. ألم تفهم؟ إنها القاعدة الأكثر أهمية في الاثنتين، القاعدة الأساسية، القاعدة التي لها الأولوية! وأنا لديَّ دقائق مؤتمر سيلدون. البغل لم ينتصر بعد...».

في هدوء أطفأت بايتا الأنوار وقالت: «اخلد إلى النوم!».

شق توران وبايتا طريقهما عائدين إلى غرفتهما بدون كلمة واحدة.

في اليوم التالي اغتسل ميس وارتدى ملابس نظيفة ورأى شمس ترانتور وأحس برياح ترانتور للمرة الأخيرة. في نهاية اليوم غرق مرة أخرى في ثنايا المكتبة العملاقة ولم يخرج منها مرة أخرى.

في الأسبوع التالي عادت الحياة إلى الروتين المعتاد. كانت شمس نيوترانتور نجمًا هادئًا ساطعًا في سماء ليل ترانتور، والمزرعة مشغولة بمحاصيل الربيع، وأراضي الجامعة صامتة ومهجورة. بدت المجرة فارغة، وكأن البغل ليس له وجود.

كانت بايتا تفكر في هذا وهي تراقب توران يشعل سيجاره بحرص وينظر لأعلى إلى الأجزاء الزرقاء من السماء المرئية من بين الأبراج المعدنية المحتشدة التي تطوق الأفق.

قال: «إنه يوم لطيف».

«أجل إنه كذلك. هل كتبت كل شيء في القائمة يا توري؟».

«بالطبع. نصف رطل من الزبد، دستة من البيض، فاصولياء... لقد كتبت كل شيء هنا يا باي. سوف أحضر كل شيء».

«جيد. واحرص على أن تكون الخضروات من الحصاد الأخير وليست حفريات من المتحف. بالمناسبة، هل رأيت ماجنيفيكو في أي مكان؟».

«لم أره منذ الإفطار. أعتقد أنه بالأسفل مع إبلينج يشاهد كتابًا مرئيًّا».

«حسنًا، لا تضيع وقتًا، لأنني سأحتاج البيض من أجل الغداء».

غادر توران مبتسمًا وهو يلوح لها.

بمجرد أن اختفى توران عن ناظريها استدارت بايتا وخطت عائدة عبر متاهة المعدن. وقفت مترددة أمام باب المطبخ، ثم استدارت ببطء ودلفت إلى الرواق المؤدي إلى المصعد الذي يهبط إلى المكتبة.

كان إبلينج ميس هناك منحنيًا لينظر عبر عدسة جهاز العرض وجسده المستغرق في مهمته متجمد بلا حراك. بالقرب منه يجلس ماجنيفيكو على أحد الكراسي متحفزًا، يراقب بعينين حادتين كأنه كتلة من الأطراف غير المنتظمة، يتوسطها أنف يتناقض مع وجهه الهزيل.

قالت بايتا بهدوء: «ماجنيفيكو...».

قفز ماجنيفيكو واقفًا على قدميه وهمس بلهفة: «سيدتي!».

قالت بايتا: «لقد ذهب توران إلى المزرعة يا ماجنيفيكو ولن يعود إلا بعد فترة من الوقت، هل يمكنك أن تكون فتى مطيعًا وتلحق به برسالة سأكتبها لك؟».

«بكل سرور يا سيدتي. إن خدماتي البسيطة تحت تصرفك بكل لهفة، مهما كان نفعها قليلًا بالنسبة لك».

صارت وحدها مع إبلينج ميس الذي لم يتحرك، فوضعت يدها على كتفه بحزم وقالت: «إبلينج...».

جفل العالم النفسي وهو يصيح بانزعاج: «ما الأمر؟»، ثم ضيق عينيه وقال: «أهذه أنت يا بايتا؟ أين ماجنيفيكو؟».

«لقد أرسلته بعيدًا، أريد أن أكون وحدي معك لبعض الوقت»، كانت تنطق كلماتها بتشديد مبالغ فيه، «أريد أن أتحدث معك يا إبلينج».

حاول العالم النفسي أن يعود إلى جهاز العرض، ولكن يدها الموضوعة على كتفه كانت حازمة. أحست بالعظام تحت الثوب بشكل واضح؛ بدا كأن اللحم قد ذاب إلى حد كبير منذ وصولهم إلى ترانتور. كان وجهه نحيفًا ومصفرًّا وبه لحية خفيفة، وكتفاه منحنيتان بشكل واضح حتى وهو جالس.

قالت بايتا: «إن ماجنيفيكو لا يزعجك، أليس كذلك يا إبلينج؟ يبدو أنه يبقى معك بالأسفل هنا ليلًا ونهارًا».

«لا، لا، لا، على الإطلاق! أنا لا أُمانع وجوده، فهو يجلس صامتًا ولا يزعجني قط. أحيانًا ما يحمل الكتب جيئة وذهابًا من أجلي. يبدو أنه يعرف ما أريده بدون أن أتحدث، فلتتركيه وشأنه».

«حسنًا يا إبلينج، ولكن ألا يجعلك ماجنيفيكو تتساءل؟ هل تسمعني يا إبلينج؟ ألا يجعلك تتساءل؟».

جذبت كرسيًّا بالقرب من كرسيه وحدقت إليه كأنها تحاول انتزاع الإجابة من عينيه.

هز إبلينج ميس رأسه وقال: «لا، ما الذي تعنيه؟».

«أعني أنك أنت والعقيد بريتشر كلاكما يؤكد على أن البغل باستطاعته تعديل مشاعر البشر، ولكن هل أنتما واثقان من هذا؟ ألا يعد ماجنيفيكو نفسه خللًا في النظرية؟».

كان هناك صمت.

قاومت بايتا رغبتها في هز العالم النفسي وهي تسأله: «ماذا دهاك يا إبلينج؟ لقد كان ماجنيفيكو مهرج البغل، لمَ لم يعدل مشاعره إلى الحب والولاء؟ لماذا هو ـ من بين كل الذين رأوا البغل ـ يكرهه بهذا القدر».

«ولكن... ولكن مشاعره معدلة بالتأكيد يا باي!»، بدا وكأنه يستجمع الثقة وهو يتحدث، «هل تفترضين أن البغل يعامل مهرجه بنفس الطريقة التي يعامل بها جنرالاته؟ إنه يحتاج الإيمان والولاء من جنرالاته، ولكنه لا يحتاج من مهرجه إلا الخوف. ألم تلاحظي قط أن حالة ماجنيفيكو المستمرة من الذعر هي نوع من المرض النفسي؟ هل تعتقدين أنه من الطبيعي أن يكون الإنسان خائفًا بمثل هذا القدر طيلة الوقت؟ خوف إلى هذا الحد الذي يصير فيه هزليًّا. لقد كان هزليًّا على الأرجح بالنسبة للبغل، ومفيدًا أيضًا، لأنه قد حجب المساعدة التي ربما كنا لنحصل عليها باكرًا من ماجنيفيكو».

قالت بايتا: «هل تعني أن معلومات ماجنيفيكو عن البغل خاطئة؟».

«لقد كانت مُضلِّلة، ملونة بالخوف المرضي؛ البغل ليس العملاق ذا القوة البدنية كما يظن ماجنيفيكو، إنه على الأرجح رجل عادي باستثناء قواه العقلية. ولكن إن كان من المسلي بالنسبة له أن يظهر كإنسان خارق بالنسبة لماجنيفيكو المسكين...»، ثم هز العالم النفسي كتفيه وقال: «على أي حال لم تعد معلومات ماجنيفيكو ذات أهمية».

«ما المهم إذن؟».

ولكن ميس انتزع نفسه من قبضتها وعاد إلى جهاز العرض.

كررت قائلة: «ما المهم إذن؟ القاعدة الثانية؟».

نظر إليها العالم النفسي على الفور وقال: «هل أخبرتك أي شيء عن هذا؟ أنا لا أتذكر إخبارك بأي شيء، أنا لست مستعدًا بعد. ما الذي قلته لكِ؟».

قالت بايتا بحدة: «لا شيء، بحق المجرة لم تخبرني بأي شيء، ولكني أتمنى لو أنك أخبرتني لأني متعبة حد الموت. متى سينتهي كل هذا؟».

حدق إليها إبلينج ميس بأسى غامض وقال: «حسنًا يا... يا عزيزتي، أنا لم أقصد جرح مشاعرك. أنا أنسى أحيانًا... من هم أصدقائي. يخيل لي أحيانًا أنني لا يجب أن أتحدث عن كل هذا؛ هناك حاجة لإخفاء الأمر، ولكن إخفاؤه عن البغل وليس عنكِ يا عزيزتي». ثم ربت على كتفها بلطف وضعف.

قالت: «ماذا عن القاعدة الثانية؟».

صار صوته بشكل تلقائي هامسًا ورقيقًا وأشبه بالصفير وهو يقول: «هل تعرفين الدقة التي أخفى بها سيلدون آثاره؟ لم تكن مداولات مؤتمر سيلدون لتكون ذات نفع لي منذ شهر مضى قبل أن يأتي لي هذا الإلهام الغريب. حتى الآن يبدو الأمر... واهيًا؛ الأوراق التي صدرت عن المؤتمر تبدو غير ذات صلة بالأمر، وغامضة دومًا. تساءلت أكثر من مرة عمّا إن كان أعضاء المؤتمر أنفسهم يعرفون كل ما كان يدور في عقل سيلدون. أحيانًا أفكر أنه قد استخدم المؤتمر كواجهة عملاقة فقط، وأنه بمفرده قد أنشأ هذا الصرح...».

قالت بايتا بإلحاح: «هل تقصد القاعدتين؟».

«أقصد القاعدة الثانية! إن قاعدتنا بسيطة، ولكن القاعدة الثانية كانت مجرد اسم، لقد ذُكِرت بدون تفاصيل، وإن كان هناك أي تفاصيل فإنها مخفية في أعماق المعادلات الرياضية. لا يزال هناك الكثير الذي لم أبدأ حتى في فهمه، ولكن طيلة سبعة أيام كانت الأجزاء الصغيرة تجتمع معًا لتشكل صورة مبهمة.

القاعدة رقم واحد كانت كوكبًا من العلماء المتخصصين في العلوم المادية، إنها تمثل تركيزًا للعلم المحتضر في المجرة في ظل الظروف الملائمة لإعادتها للحياة مجددًا. لم يشمل الأمر أي علماء نفسيين. لقد كان هذا خللًا غريبًا ولا شك أن له هدف معين. التفسير المعتاد كان أن علم التاريخ النفسي الخاص بسيلدون يعمل بشكل أفضل عندما لا يكون لدى وحدات العمل الفردية ـ البشر ـ أي معرفة مسبقة بما سيأتي، وبالتالي يمكنهم الاستجابة بشكل طبيعي لكل المواقف. هل تفهمين ما قلته حتى الآن يا عزيزتي...».

«أجل يا دكتور».

«إذن فأنصتي إليَّ جيدًا. القاعدة رقم اثنان كانت كوكبًا من العلماء النفسيين، إنها الصورة المعاكسة لكوكبنا. العلم النفسي وليس المادي هو الأساس». ثم قال بانتصار: «هل فهمتِ الآن؟».

«لم أفهم».

«فَكِّري يا بايتا، استخدمي عقلك. كان هاري سيلدون يعرف أن علم التاريخ النفسي يمكنه فقط أن يتنبَّأ بالاحتمالات وليس الحقائق. هناك دومًا هامش خطأ، وبمرور الوقت سيتزايد هذا الهامش في متوالية هندسية. من الطبيعي أن يضع سيلدون دفاعًا في مواجهة هذا قدر المستطاع. إن قاعدتنا قوية من الناحية العلمية، يمكنها أن تقهر الجيوش والأسلحة، يمكنها أن تواجه القوة بالقوة، ولكن ماذا عن هجوم عقلي من متحول جينيًّا مثل البغل؟».

أحست بايتا بالحماس يتعاظم بداخلها وهي تقول: «سيكون هذا دور العلماء النفسيين في القاعدة الثانية».

«أجل، أجل، أجل! بالتأكيد!».

«ولكنهم لم يفعلوا شيئًا حتى الآن».

«هل لديك دليل على أنهم لم يفعلوا شيئًا؟».

قالت بايتا وهي تفكر في الأمر: «لا، هل لديك أنت دليل على أنهم فعلوا؟».

«لا، هناك الكثير من العوامل التي لا أعرف شيئًا عنها. لم تُنشأ القاعدة الثانية مكتملة النمو إلا بقدر ما حدث معنا. لقد تطورنا ببطء وازدادت قوتنا، ولا شك أن هذا ما حدث معهم أيضًا. النجوم وحدها تعرف المستوى الذي وصلت إليه قوتهم الآن. هل هم أقوياء بما يكفي لمواجهة البغل؟ هل يدركون الخطر من الأساس؟ هل لديهم قادة متمكنون؟».

«ولكن إن كانوا يتبعون خطة سيلدون إذن فيجب أن تكون القاعدة الثانية هي من يهزم البغل».

تجعَّد وجه إبلينج ميس مفكرًا وهو يقول: «هل هذا هو الأمر حقّا؟ ولكن القاعدة الثانية كانت مهمة أكثر صعوبة من القاعدة الأولى؛ إن طبيعتها معقدة أكثر بكثير، وبالتالي فإن احتمال الخطأ أكبر كذلك. وإن لم يكن من المفترض أن تهزم القاعدة الثانية البغل فالأمر سيئ، سيئ إلى أبعد مدى؛ ربما تكون نهاية الجنس البشري كما نعرفه».

«لا».

«أجل، إن كان ذرية البغل سيرثون قواه العقلية... هل تفهمين؟ لن يستطيع الجنس البشري منافستهم. سيكون هناك جنس مهيمن جديد، أرستقراطية جديدة، حيث سينحدر الحال بالجنس البشري إلى العمل الاستعبادي كجنس أدنى. أليس الأمر هكذا؟».

«بلى، الأمر هكذا».

«حتى لو بصدفة ما لم يؤسس البغل أسرة حاكمة فإنه على الأقل سيؤسس إمبراطورية جديدة مشوهة، لا تدعمها إلا قوته الشخصية. ستموت بموته وستعود المجرة إلى ما كانت عليه قبل مجيئه، باستثناء أنه لن يكون هناك قاعدتين يمكن أن تجتمع حولهما إمبراطورية ثانية حقيقية وصحية، وهذا سيعني آلاف السنين من البربرية، وسيعني عدم وجود نهاية واضحة».

«ما الذي يمكننا فعله؟ هل يمكننا تحذير القاعدة الثانية؟».

«يجب علينا فعل هذا، وإلا فقد يهزمون بسبب جهلهم بالأمر، وهو ما لا يمكننا المخاطرة به. ولكن لا يوجد وسيلة لتحذيرهم».

«لماذا؟».

«أنا لا أعرف موقعهم، إنهم «على الطرف الآخر من المجرة» ولكن هذا كل شيء، وهناك الملايين من الكواكب للاختيار من بينها».

أشارت بشكل مبهم إلى الكتب التي تغطي الطاولة وهي تقول: «ألم تجد فيها شيئًا يا إبلينج؟».

«لا، لم أجد، لا يوجد طريقة لمعرفة هذا... حتى الآن. لا شك أن هذا التكتم يعني شيئًا، لا شك أن هناك سببًا...»، ثم عادت النظرة الحائرة إلى عينيه قبل أن يقول: «ولكني أتمنى لو تغادرين، لقد أهدرتُ ما يكفي من الوقت، والوقت ينفد منا... الوقت ينفد منا».

أشاح بنظره عنها في عبوس وتجهم.

اقترب صوت خطوات أقدام ماجنيفيكو الهادئة، ثم قال: «لقد عاد زوجك إلى البيت يا سيدتي».

لم يرحب إبلينج ميس بالمهرج، كان قد عاد إلى جهاز العرض.

في هذا المساء أصغى إليها توران قبل أن يقول: «وهل تعتقدين أنه محق بالفعل يا باي؟ ألا تعتقدين أنه...». ثم تردد.

«إنه محق يا توري. إنه مريض، أنا أعرف هذا؛ التغيرات التي أصابته؛ فقدان الوزن، والطريقة التي يتحدث بها... إنه مريض، ولكن بمجرد طرح موضوع البغل أو القاعدة الثانية أو أي شيء يعمل عليه، أصغِ إليه؛ إنه يصير صافي الذهن وواضحًا كسماء الفضاء الخارجي. إنه يعرف ما يتحدث عنه، أنا أصدقه».

«إذن فهناك أمل». كان نصف سؤال.

«أنا... أنا لم أجد حلًّا بعد. ربما هناك أمل! ربما لا! أنا سأحمل مسدس طاقة من الآن فصاعدًا». كان المسدس ذو الماسورة اللامعة في يدها وهي تتكلم. «فقط من باب الاحتياط يا توري، فقط من باب الاحتياط».

«الاحتياط من ماذا؟».

ضحكت بايتا بلمسة من الهيستيريا وقالت: «لا تشغل بالك، ربما أنا مجنونة بعض الشيء أيضًا... مثل إبلينج ميس».

في ذلك الوقت كان لدى إبلينج ميس سبعة أيام ليحياهم، وقد مرت الأيام السبعة بهدوء، يومًا تلو الآخر.

بالنسبة لتوران فقد مرت هذه الأيام في حالة من الخدر؛ كانت الأيام الدافئة والصمت الفاتر يغلفانه بالخمول، بدت الحياة بأكملها وكأنها فقدت أي نوع من الحركة، وتغيرت إلى بحر لا متناهٍ من السبات.

كان ميس كيانًا مخفيًّا لم ينتج عن بحثه الدؤوب شيء، ولم يفصح شيء عن نفسه، لقد أقام حاجزًا حول نفسه فلم يستطع أن يراه توران أو بايتا. كان ماجنيفيكو وسيطًا بينهم، وكانت ملامحه المميزة هي الدليل الوحيد على وجوده.

صار ماجنيفيكو صامتًا وغارقًا في التفكير، يحمل صواني الطعام وهو يسير على أطراف أصابعه، وينظر في صمت وترقب من بين الظلال.

تغيرت طباع بايتا أكثر فأكثر، ماتت حيويتها وتزعزعت كفاءتها الناتجة عن الثقة بالنفس. كانت تنفرد بنفسها أيضًا في قلق واستغراق، وما إن اقترب توران منها حتى امتدت يدها إلى مسدسها ثم وضعته جانبًا على الفور وأجبرت نفسها على الابتسام.

«ما الذي تفعلينه بهذا يا باي؟».

«أُمسك به، هل هذه جريمة؟».

«سوف تفجرين رأسك الأحمق».

« فلأفجره إذن، خسارة بسيطة!».

علمت الحياة الزوجية توران عدم جدوى الجدال مع أنثى في حالة مزاجية سيئة، فهزَّ كتفيه وتركها وحدها.

في اليوم الأخير اندفع ماجنيفيكو إليهما وهو يلهث، ثم تشبث بهما في رعب وقال: «الدكتور العلّامة أرسل في طلبكما. إنه ليس على ما يرام».

لم يكن على ما يرام حقًّا، فقد كان في الفراش، عيناه جاحظتان بشكل غير طبيعي، وتلمعان بشكل غير طبيعي. كان رثًّا ولا يُمكن التعرف عليه.

صاحت بايتا: «إبلينج!».

اتكأ العالم النفسي بثقله على مرفقه النحيل بمجهود عظيم، ثم قال بصوت أجش: «دعوني أتحدث، دعوني أتحدث. لقد انتهى أمري، العمل سأمرره لكم، أنا لم أحتفظ بأي ملحوظات وتخلصت من قصاصات البيانات. لا يجب أن يعرف أحد هذا، يجب أن يبقى كل شيء في أذهانكم».

قالت بايتا بنبرة مباشرة جافة: «ماجنيفيكو، اصعد لأعلى».

اعتدل المهرج واقفًا على مضض، وتراجع خطوة للوراء وعيناه الحزينتان تنظران إلى ميس، فأشار ميس بيده بضعف وقال: «إنه لن يصنع فارقًا، دعيه يبقى، ابقَ يا ماجنيفيكو».

جلس المهرج على الفور، فحدقت بايتا إلى الأرض وببطء راحت تعض على شفتها السفلى بأسنانها.

قال ميس بصوت هامس أجش: «أنا مقتنع أن القاعدة الثانية يمكنها أن تنتصر إن لم يعثر عليها البغل في وقت سابق لأوانه. لقد أبقت وجودها سرًّا، ويجب الحفاظ على هذه السرية، فهناك غرض ما منها. يجب أن تذهبوا إلى هناك، فمعلوماتكم حيوية... ويمكن أن تصنع فارقًا كبيرًا. هل تسمعوني؟».

صاح توران في حزن شديد: «أجل، أجل! أخبرنا كيف نصل إلى هناك يا إبلينج، أين هي؟».

قال بصوت واهن: «يمكنني أن أخبركم».

ولكنه لم يفعل قط.

بايتا بوجه متجمد ممتقع رفعت مسدسها وأطلقت النار مع تردد صوت دوي هائل. لم يعد ميس موجودًا من خصره إلى أعلاه، وبدلًا من هذا كان هناك ثقب ممزق بالجدار وراءه، ومن أصابع بايتا المتخدرة سقط مسدسها على الأرض.

## الفصل السادس والعشرون

# نهاية البحث

لم يكن هناك ما يمكن أن يُقال. ترددت أصداء انفجار المسدس مبتعدة عبر الغرف الخارجية وخفتت حتى صارت همسًا خافتًا محتضرًا. قبل أن تختفي تمامًا حجبها صوت الاصطدام الحاد لمسدس بايتا الذي سقط من يدها، وخنقتها صرخة ماجنيفيكو الحادة، وأغرقها هدير صوت توران غير المفهوم.

ثم خيم صمت متألم.

أطرقت بايتا برأسها في غموض، ولمعت دمعة وهي تسقط من عينها. لم تبكِ بايتا منذ طفولتها. كادت عضلات توران أن تتمزق في تشنجها، ولكنه لم يسترخِ، أحس كأنه لن يستطيع أن يتوقف عن الجز على أسنانه مجددًا. كان وجه ماجنيفيكو قناعًا شاحبًا خاليًا من الحياة.

وأخيرًا من بين أسنانه التي لا يزال يجز عليها قال توران بصوت مختنق لا يمكن التعرف عليه: «أنتِ تعملين لصالح البغل إذن. لقد تمكن منكِ!».

نظرت إليه بايتا والتوى فمها بمرح متألم قائلة: «أنا أعمل لصالح البغل؟ هذا مثير للسخرية».

حاولت محاولة هشة أن تبتسم وألقت بشعرها للوراء. ببطء عاد صوتها إلى طبيعته، أو شيء قريب من هذا، وهي تقول: «لقد انتهى الأمر يا توران، يمكنني الحديث الآن. لا أعرف كم من الوقت سأنجو، ولكن يمكنني أن أبدأ في الحديث».

انكسر توتر توران بسبب ثقله، وتلاشى ليحل محله بلادة رخوة. «تتحدثين عن ماذا يا بايتا؟ ماذا هناك لتتحدثي عنه؟».

«عن الكارثة التي كانت تتتبعنا. لقد لاحظت هذا بنفسك يا توري، ألا تتذكر؟ كيف أن الهزيمة تلحق دومًا بأعقابنا دون أن تنجح أبدًا في إحكام قبضتها حولنا؟ لقد كنا في القاعدة، وقد انهارت بينما التجار الأحرار ما زالوا يقاتلون، ولكننا استطعنا الهروب في الوقت المناسب والوصول إلى هاڤِن. لقد كنا في هاڤِن وقد انهار بينما الآخرون ما زالوا يقاتلون، ومجددًا استطعنا الهروب في الوقت المناسب. لقد ذهبنا إلى نيوترانتور، وبحلول هذا الوقت فإنه قد انضم إلى البغل بلا شك».

أنصت لها توران ثم هز رأسه وقال: «أنا لا أفهم».

«مثل هذه الأشياء لا تحدث في الحياة الواقعية يا توري، أنا وأنت لسنا شخصين بالغي أهمية، لا يمكن أن نسقط من دوامة سياسية إلى أخرى بشكل مستمر على مدار عام ما لم نكن نحمل الدوامة معنا، ما لم نكن نحمل مصدر العدوى معنا! هل تفهم الآن؟».

أطبق توران شفتيه ونظره مُرَكَّز بشكل فظيع على البقايا الدامية التي كانت ذات يوم إنسانًا، ثم أحس بالغثيان، فقال: «دعينا نخرج من هنا يا باي، دعينا نخرج إلى الهواء الطلق».

كان الجو غائمًا بالخارج، والرياح تندفع حولهما في هبات كئيبة، تطاير على إثرها شعر بايتا. كان ماجنيفيكو قد تسلل وراءهما، وبدأ يصغي إلى محادثتهما من بعيد.

قال توران بحزم: «هل قتلتِ إبلينج ميس لأنك تعتقدين أنه بؤرة العدوى؟». شيء في عينيها أصابه بالصدمة فهمس قائلًا: «هل كان هو البغل؟». لم يكن يصدق ـ لم يستطع أن يصدق ـ ما تنطوي عليه كلماته.

ضحكت بايتا وقالت: «إبلينج المسكين هو البغل؟ بحق المجرة لا! لم أكن لأقدر على قتله إن كان البغل، كان سيكتشف المشاعر المصاحبة لهذه الخطوة، ويغيرها بداخلي إلى الحب أو الإخلاص أو العشق أو أيًّا ما يحلو له. لقد قتلت إبلينج لأنه لم يكن البغل؛ قتلته لأنه يعرف مكان القاعدة الثانية، وفي غضون ثانيتين كان سيخبر البغل بالسر».

كرر توران كلماتها بغباء: «كان سيخبر البغل بالسر. يخبر البغل...».

ثم صرخ في حدة، والتفت ليحدق في رعب إلى المهرج، الذي كان رابضًا هناك في هدوء دون أن يبدو عليه أنه قد فهم ما سمعه.

همس توران متسائلًا: «ماجنيفيكو؟».

قالت بايتا: «اسمعني، هل تذكر ما حدث في نيوترانتور؟ فكر بنفسك يا توري...».

ولكنه هز رأسه وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة.

أكملت حديثها في تعب قائلة: «هناك رجل مات على نيوترانتور، رجل مات دون أن يلمسه أحد، أليس هذا صحيحًا؟ لقد عزف ماجنيفيكو على محفز العقل، وعندما انتهى كان ولي العهد ميتًا، أليس هذا غريبًا؟ أليس من الغريب أن مخلوقًا يخاف من كل شيء، ويبدو عاجزًا بسبب رعبه، لديه القدرة على القتل متى يشاء؟».

قال توران: «الموسيقى والمؤثرات الضوئية لها تأثير شعوري عميق...».

«أجل، تأثير شعوري، تأثير كبير حقًّا، ويتصادف أن التأثيرات الشعورية هي اختصاص البغل. أفترض أن هذا يمكن أن يعد مصادفة، وأن مخلوقًا مليئًا بالرعب يمكنه أن يقتل بالإيحاء، حسنًا، فلنفترض أن البغل قد تلاعب بعقله، حتى يمكننا تفسير هذا، ولكني يا توران لمحت القليل من هذه الأشياء التي قتلت ولي العهد، القليل فقط، ولكن هذا كان كافيًا لإعطائي نفس الإحساس باليأس الذي راودني في خزانة الزمن وفي هاڤِن. لا يمكنني أن أخطئ في هذا الشعور بالتحديد يا توران».

تجهم وجه توران وقال: «أنا... أحسست به أيضًا. لقد نسيت، لم أعتقد قط...».

«لقد راودتني الفكرة حينها للمرة الأولى، كان مجرد شعور مبهم، حدس إن جاز التعبير، فلم يكن لدي شيء لأستند إليه، ثم أخبرنا بريتشر عن البغل وطفرته الجينية، فصار الأمر واضحًا لي في تلك اللحظة؛ لقد

كان البغل هو من زرع اليأس في خزانة الزمن، وكان ماجنيفيكو هو من زرع اليأس في نيوترانتور. لقد كان نفس الشعور، ومن ثم فإن البغل وماجنيفيكو هما الشخص ذاته. ألا يتسق كل هذا بشكل رائع يا توري؟ ألا تشبه مُسَلَّمة هندسية؛ الأشياء التي تساوي الشيء ذاته تتساوى مع بعضها البعض؟».

كانت على حافة الهيستيريا، ولكنها تمالكت نفسها لتعود إلى الاتزان بجهد كبير، ثم أكملت حديثها قائلة: «هذا الاكتشاف جعلني أشعر بالرعب حد الموت. إن كان ماجنيفيكو هو البغل فإنه يعرف مشاعري، ويكيفها حسب أغراضه. لم أجرؤ على أن أدعه يعرف، لقد تجنبته تمامًا. لحسن الحظ كان يتجنبني أيضًا، فقد كان يولي اهتمامه إلى إبلينج ميس. لقد خططت لقتل ميس قبل أن يقدر على التحدث، خططت للأمر بشكل سري ـ سري قدر استطاعتي ـ سري للغاية حتى أنني لم أقدر على إخبار نفسي به. لو كان باستطاعتي لقتلت البغل نفسه... ولكني لم أقدر على المجازفة بهذا. كان سيلاحظ هذا وكنت سأخسر كل شيء».

بدت كأن كل المشاعر قد نضبت منها.

قال توران بقسوة وحزم: «هذا مستحيل، انظري إلى هذا المخلوق البائس. هذا هو البغل؟ إنه لا يسمع حتى ما نقوله».

ولكن عندما نظر إلى حيث يشير بإصبعه كان ماجنيفيكو منتصبًا ومنتبهًا وعيناه حادتان وتلمعان بشكل مخيف، ثم قال بصوت لا يبدو فيه أدنى أثر للهجته السابقة: «أصغِ إليها يا صديقي، الأمر ببساطة هو أنني كنت أجلس هنا وأفكر في حقيقة أنني رغم كل ذكائي وبصيرتي يمكنني أن أرتكب خطأً وأخسر الكثير».

تعثر توران إلى الوراء، وكأنه يخشى أن يلمسه المهرج أو أن تلوثه أنفاسه.

أومأ ماجنيفيكو برأسه وأجاب السؤال الذي لم يطرحه أحد: «أنا البغل».

بدا وكأن قبحه لم يعد هزليًّا؛ أطرافه الرفيعة وأنفه الخطافي فقدوا كل سمات الدعابة، اختفى خوفه وصارت ملامحه صارمة.

لقد صار سيد الموقف بسهولة فطرية تدل على اعتياده هذا.

قال بتسامح: «فلتجلسا، هيا. يمكنكما أن تتمددا وتسترخيا، لقد انتهت اللعبة وأريد أن أحكي لكما حكاية. إنها نقطة ضعف عندي؛ أريد أن يفهمني الناس». ثم نظر إلى بايتا فكانت عيناه نفس العينين القديمتين اللطيفتين الحزينتين البنيتين للمهرج ماجنيفيكو.

بدأ حديثه على الفور وقد غرق بجسده في خطبة سريعة نافدة الصبر: «لا يوجد الكثير حقًّا في طفولتي مما أبالي بتذكره، ربما يمكنكما أن تفهما هذا. لقد كان سبب التحقير مني هو أنفي الذي وُلِدت به، كان من المستحيل بالنسبة لي أن أحظى بطفولة طبيعية. لقد ماتت أمي قبل أن تراني ولم أكن أعرف أبي. لقد ترعرعت بشكل عشوائي مجروحًا ومعذبًا في عقلي، مليئًا بالشفقة على الذات وكراهية الآخرين. لقد كنت معروفًا حينها بالطفل الغريب. تجنبني الجميع؛ معظمهم بسبب الكراهية، وبعضهم بسبب الخوف. لقد وقعت حوادث غريبة... حسنًا، لا تُباليا! لقد حدث ما يكفي لكي يتمكن النقيب بريتشر أثناء تحقيقه في طفولتي

من أن يدرك أنني متحول جينيًّا، وكان هذا أكثر مما كنت أدركه أنا حتى عندما كنت في العشرينيات من عمري».

كان توران وبايتا ينصتان إليه بشرود. كانت أمواج صوته تتكسر عليهما، وهما جالسان على الأرض، بلا مبالاة تقريبًا. كان المهرج ـ أو البغل ـ يسير جيئة وذهابًا أمامهما بخطوات صغيرة مُطرقًا برأسه كأنه يخاطب ذراعيه المطويتين.

«لقد بدأت أستوعب فكرة قدراتي غير العادية ببطء شديد وبخطوات متثاقلة، وحتى آخر لحظة تقريبًا لم أستطع أن أصدقها. إن عقول البشر بالنسبة لي هي أجهزة عرض مع مؤشرات تشير إلى الشعور السائد. إنه تشبيه قاصر، ولكن كيف لي أن أشرح الأمر سوى هكذا؟ ببطء تعلمت أن باستطاعتي أن أمد يدي إلى داخل العقول وأن أحول المؤشر إلى الموضع الذي أريده، وأن باستطاعتي أن أثبته هناك إلى الأبد، وبعد ذلك استغرق مني الأمر وقتًا أطول لأُدرك أن الآخرين لا يستطيعون فعل هذا.

ولكني أدركت قوتي أخيرًا، ومعها الرغبة في التعويض عن الوضع المزري لحياتي المبكرة. ربما يمكنكما أن تفهما، ربما يمكنكما أن تحاولا أن تفهما، ليس من السهل على المرء أن يكون مسخًا؛ أن يكون لديك عقلٌ وفهمٌ وتكون مسخًا. السخرية والقسوة! أن تكون مختلفًا! أن تكون منبوذًا!

لم يقاسِ أحدكما هذا!».

رفع ماجنيفيكو بصره إلى السماء ووقف على مشطي قدميه وغرق في تفكيره في سكون ثم قال: «ولكني بمرور الوقت تعلمت، وقررت أنه أنا والمجرة يمكننا أن نتبادل الأدوار، لقد نالوا دورهم لاثنين وعشرين عامًا، بينما تحليت أنا بالصبر، الآن جاء دوري! والآن يتوقف الأمر على بقيتكم لأخذه مني! والاحتمالات ستكون عادلة بما يكفي بالنسبة للمجرة. أنا واحد! وهم كوادريليونات!».

صمت ليختلس النظر إلى بايتا ثم قال: «ولكن كان لدي نقطة ضعف، أنا لا شيء في نفسي؛ إن كان بإمكاني الحصول على السلطة فلن يكون ذلك إلا عن طريق الآخرين، النجاح يأتي لي من خلال وسطاء، هكذا كان الأمر دومًا! لقد كان الأمر كما ذكره بريتشر، لقد استطعت الحصول على أول قاعدة كويكبية من خلال قرصان، واستطعت أنا أنال موطئ قدم في كوكب من خلال رجل صناعة، وأخيرًا استطعت الاستيلاء على كالجان نفسه والحصول على أسطول من خلال مجموعة متنوعة من الآخرين، آخرهم أمير حرب كالجان. وبعد ذلك كانت القاعدة، ومن هنا يأتي دوركما أنتما الاثنين في القصة».

قال بهدوء: «القاعدة كانت أصعب مهمة تواجهني، بهزيمتها كان عليَّ أن أستميل إلى صفي نسبة كبيرة من الطبقة الحاكمة، أو أن أكسرهم، أو أن أجعلهم عديمي الجدوى. كان بإمكاني أن أفعل هذا من الصفر، ولكن الطريق المختصر كان متاحًا، فبحثت عنه، فرغم كل شيء إن كان هناك رجل قادر على حمل خمسمئة رطل فهذا لا يعني أنه سيكون متحمسًا لفعل هذا بشكل متواصل. إن سيطرتي الشعورية ليست مهمة

سهلة، وأنا أفضل ألا أستخدمها إلا عند الضرورة القصوى، لذا فقد قبلت وجود حلفاء في هجومي الأول على القاعدة.

أثناء تظاهري بأني مهرج البغل رحت أبحث عن العميل أو العملاء، الذين قد أُرسلوا بلا شك إلى كالجان للتحقيق بشأن شخصنا المتواضع. أنا أعرف الآن أن هان بريتشر كان هو من أبحث عنه، ولكن بضربة حظ عثرت عليكما بدلًا منه. أنا متخاطر عقلي ولكن ليس بشكل كامل، وقد كنتِ أنتِ يا سيدتي من القاعدة، لقد ضللني هذا. لم يكن خطأً قاتلًا، فقد انضم إلينا بريتشر بعد ذلك، ولكنها كانت نقطة البداية لخطأ قاتل».

تململ توران للمرة الأولى وتحدث بلهجة غاضبة: «مهلًا يا هذا، هل تقصد أنني عندما واجهت هذا الملازم على كالجان وأنا لا أملك سوى مسدس صاعق وأنقذتك أنك كنت تتحكم بي شعوريًّا لفعل هذا؟». كان اللعاب يتطاير من فمه وهو يتحدث. «هل تقصد أنك كنت تتلاعب بي طيلة الوقت؟».

ظهرت ابتسامة شاحبة على وجه ماجنيفيكو وقال: «لِمَ لا؟ ألا تعتقد أن هذا مرجحًا؟ اسأل نفسك إذن؛ هل كنت ستغامر بحياتك من أجل مسخ غريب لم تره من قبل إن كان عقلك يعمل بشكل صحيح؟ أتخيل أنك قد فكَّرت بدهشة في الأحداث بعد أن انتهت».

قالت بايتا بشرود: «أجل لقد فعل هذا، وبوضوح شديد».

أكمل البغل قائلًا: «الحقيقة هي أن توران لم يكن في خطر قط، فقد كان لدى الملازم تعليمات صارمة بالسماح لنا بالرحيل، وهكذا ذهب ثلاثتنا بصحبة بريتشر إلى القاعدة. انظرا كيف تشكلت خطتي من تلقاء نفسها على الفور، عندما كان بريتشر خاضعًا للمحاكمة العسكرية وكنا نحن حاضرين كنت أنا مشغولًا. هؤلاء القضاة العسكريون هم من قادوا أسرابهم لاحقًا في الحرب، لقد استسلموا بسهولة كبيرة وربح أسطولي الحرب في هورليجور ومعارك أخرى أصغر.

عن طريق بريتشر التقيت بالدكتور ميس، الذي جلب لي محفز العقل من تلقاء نفسه، وجعل مهمتي أكثر يسرًا إلى حد كبير، ولكن الحقيقة هي أن الأمر لم يكن من تلقاء نفسه تمامًا».

قاطعته بايتا قائلة: «هذه الحفلات الموسيقية، لقد كنت أحاول تنظيمها بكل شكل ممكن. الآن أنا أفهم».

قال ماجنيفيكو: «أجل، إن محفز العقل يعمل كآلة تركيز. إنها في حد ذاتها آلة بدائية للتحكم في المشاعر، باستخدامها يمكنني أن أتعامل مع البشر في أعداد كبيرة، ومع الأشخاص المنفردين بشكل أكثر كثافة. الحفلات الموسيقية التي قدمتها في تيرمينوس قبل سقوطه، وفي هاڤِن قبل سقوطه، ساهمت في حالة الانهزامية العامة. من دون محفز العقل كان من الممكن أن أجعل ولي عهد نيوترانتور مريضًا للغاية، ولكن لم أكن لأقدر على قتله. هل فهمتِ؟

ولكن إبلينج ميس كان أهم شيء عثرت عليه، كان من الممكن أن يصير...»، قالها ماجنيفيكو باستياء، ثم قال على الفور: «هناك جانب من التحكم الشعوري لا تعرفان بشأنه، يمكن التعامل مع الحدس أو البصيرة

أو الغريزة ـ سمياها كما تريدان ـ على أنها شعور، يمكنني أنا على الأقل التعامل معها على هذا النحو. أنتما لا تفهمان أليس كذلك؟».

قال بدون أن ينتظر ردًّا: «إن العقل البشري يعمل بكفاءة منخفضة، عشرون بالمئة هو الرقم الذي يُذكَر عادةً، وعندما يكون هناك وميض مؤقت من قوة أكبر يُطلق عليه حدس أو بصيرة أو غريزة. لقد اكتشفت باكرًا أنه بإمكاني تحفيز استخدام متواصل لكفاءة العقل المرتفعة، إنها عملية مميتة للشخص المصاب بها، ولكنها مفيدة؛ حقل التثبيط النووي الذي استخدمته في الحرب ضد القاعدة كان نتيجة ضغط كبير على تقني من كالجان. مجددًا أنا أعمل من خلال الآخرين.

إبلينج ميس كان الهدف المثالي، فقد كانت إمكانياته عالية وكنت بحاجة إليه. كنت قد أرسلت بالفعل مندوبين للتفاوض مع الإمبراطورية قبل حتى أن تبدأ الحرب مع القاعدة. لقد بدأ بحثي عن القاعدة الثانية في ذلك الوقت. بطبيعة الحال لم أعثر عليها، وبطبيعة الحال كنت أعرف أنني يجب أن أعثر عليها، وكان إبلينج ميس هو الحل؛ فقد كان بإمكانه على الأرجح أن يحاكي عمل هاري سيلدون باستخدام عقله بكفاءة عالية.

لقد فعل هذا بشكل جزئي. لقد دفعته إلى حدوده القصوى. كانت العملية قاسية، ولكن كان يجب إكمالها. كان يحتضر في النهاية ولكنه ظل على قيد الحياة». صمت مرة أخرى في استياء قبل أن يُكمل: «كان سيعيش طويلًا بما يكفي، وكنا ثلاثتنا معًا سنكمل طريقنا إلى القاعدة الثانية. كان من الممكن أن تكون المعركة الأخيرة، لولا خطئي».

صبغ توران صوته بالصرامة وهو يقول: «لم لا تدخل في صلب الموضوع؟ ماذا كان خطأك و... وهل انتهيت من خطبتك؟».

«لقد كانت زوجتك هي خطئي بالطبع، فقد كانت زوجتك شخصًا استثنائيًّا؛ لم ألتقِ بشخصٍ مثلها من قبل في حياتي. أنا... أنا...». تهدج صوت ماجنيفيكو فجأة واستعاده بصعوبة شديدة. كان هناك كآبة تخيم عليه وهو يكمل حديثه قائلًا: «لقد أحبتني دون أن أحتاج إلى التلاعب بمشاعرها، إنها لم تشعر بالنفور مني، ولم تسخر مني. لقد أحبتني!

ألا تفهم؟ ألا ترى ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لي؟ لم يشعر أحد ناحيتي من قبل... حسنًا، أنا كنت مُعْتَزًّا بهذا، لقد تلاعبت مشاعري بي، رغم كوني سيد مشاعر الآخرين. لقد بقيت خارج عقلها، لم أرغب في العبث به، كنت مُعْتَزًّا بالشعور الطبيعي إلى حد كبير. كان هذا خطئي... الأول. أنت يا توران كنت تحت السيطرة، فلم تشك فيَّ قط، ولم تشعر بالارتياب ناحيتي قط، ولم ترَ أي شيء غريب أو استثنائي بشأني. على سبيل المثال عندما أوقفتنا السفينة الفيليّة. كانوا يعرفون موقعنا بالمناسبة لأني كنت على تواصل معهم، كما أنني بقيت على تواصل مع جنرالاتي طيلة الوقت. عندما أوقفونا أخذوني إلى سفينتهم لكي أُعدِّل هان بريتشر. عندما غادرت كان قد صار عقيدًا ورجلًا من رجال البغل والشخص الذي يتولى زمام الأمور. كان

الأمر فجًّا تمامًا حتى بالنسبة لك يا توران، ولكنك قبلت تفسيري للأمر رغم كونه مليئًا بالمغالطات. هل ترى ما أعنيه؟».

تجهم توران ثم قال في تحدٍّ: «كيف بقيت على تواصل مع جنرالاتك؟».

«لا يوجد صعوبة في الأمر، إن أجهزة بث الموجات الفائقة يسهل حملها والتعامل معها، ولا يمكن لأحد أن يكشفني بالمعنى الحقيقي! أي شخص كان يمسك بي متلبسًا كنت أحذف هذا الجزء من ذاكرته. لقد حدث هذا بضع مرات.

في نيوترانتور خانتني مشاعري الحمقاء مرة أخرى. لم تكن بايتا تحت سيطرتي ولكن رغم هذا لم تكن لتشك فيَّ لو لم أفعل ما فعلته مع ولي العهد. إن نواياه تجاه بايتا... أزعجتني. لقد قتلته، وكان هذا تصرفًا أحمق. إن الهرب بشكل غير لافت للنظر كان سيفي بالغرض.

ومع ذلك فإن شكك لم يكن ليتحول إلى يقين إن منعت بريتشر من ثرثرته حسنة النية، أو لو كنت أوليت اهتمامًا أقل إلى ميس واهتمامًا أكثر إليك...». ثم هز كتفيه.

سألته بايتا: «أهذه هي نهاية حديثك؟».

«هذه هي النهاية».

«ماذا الآن إذن؟».

«سأمضي قدمًا في مخططي. أشك أنني سأجد شخصًا آخر مثل إبلينج ميس يتمتع بالعقل والتدريب الكافي في هذه الأيام المتردية. سيكون عليَّ البحث عن القاعدة الثانية بطريقة أخرى. لقد استطعتما هزيمتي بشكل ما».

في تلك اللحظة اعتدلت بايتا واقفة على قدميها في انتصار وقالت: «بشكل ما؟ بشكل ما فقط؟ لقد هزمناك بالكامل! كل انتصاراتك خارج القاعدة لا تساوي شيئًا، بما أن المجرة هي خواء من البربرية الآن، القاعدة في حد ذاتها هي مجرد انتصار صغير، بما أن هدفها لم يكن إيقاف أزمات من هذا النوع كأزمتك. إنها القاعدة الثانية هي من يجب عليك التغلب عليها، القاعدة الثانية! والقاعدة الثانية هي التي ستهزمك. لقد كانت فرصتك الوحيدة هي تحديد موقعها والانقضاض عليها قبل أن تكون مستعدة. لن تستطيع فعل هذا الآن، مع مرور كل دقيقة من الآن فصاعدًا سيكونون أكثر استعدادًا لك، ربما تكون الآلة قد بدأت عملها في تلك اللحظة. سوف تعرف عندما تنقض عليك وسوف ينتهي عهد حكمك القصير، وستكون مجرد غازٍ متغطرسٍ آخر يمضي بسرعة وبخسة عبر صفحة التاريخ الدامية».

كانت تتنفس بصعوبة وتكاد تلهث وهي تقول بعنف: «ونحن قد هزمناك، أنا وتوران، وأنا راضية بالموت».

ولكن عيني البغل البنيتين الحزينتين صارتا عيني ماجنيفيكو البنيتين الحزينتين المحبتين وقال: «أنا لن أقتلك أنتِ أو زوجك، فرغم كل شيء من المستحيل عليكما أنتما الاثنين أن تؤذياني أكثر من هذا، وقتلكما لن

يعيد إبلينج ميس. ما حدث كان خطئي وأنا سأتحمل مسؤوليته. يمكنكِ أن ترحلي أنتِ وزوجكِ! اذهبا في سلام، إكرامًا لما أسميه... الصداقة».

ثم قال فجأة بنبرة فخر: «وفي هذه الأثناء سأظل أنا البغل، أقوى رجل في المجرة. ورغم كل شيء سوف أهزم القاعدة الثانية».

أطلقت بايتا سهمها الأخير في يقين هادئ حازم: «لن تهزمها! لا يزال لديَّ إيمان في حكمة سيلدون، وكما أنك أول حاكم من أسرتك فستكون الأخير».

ظهرت المفاجأة على وجه ماجنيفيكو وقال: «من أسرتي؟ أجل لقد فكرت في هذا كثيرًا، أنني قد أؤسس أسرة حاكمة، وأني قد أختار لنفسي زوجة مناسبة».

أدركت بايتا فجأة معنى النظرة في عينيه فتجمدت في رعب، هز ماجنيفيكو رأسه وقال: «أنا أشعر بنفورك، ولكن هذا سخيف. لو كانت الأمور على نحو مختلف كان بإمكاني أن أجعلك سعيدة بسهولة، ستكون نشوة مصطنعة، ولكن لن يكون هناك فارق بينها وبين الشعور الحقيقي، ولكن الأمور ليست على نحو مختلف. لقد أطلقت على نفسي اسم البغل ليس بسبب قوتي بالطبع...».

ثم تركهما ولم ينظر وراءه قط.